

# رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة



١٧

السنة الخامسة - العدد السابع عشر - محرم ١٤٣٠ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨ م

اقرأ فبي كذا | Read it and see

## تساؤلات عاشورائية

• إحياء عاشوراء

• جلاء العين في حكم صوم العاشورائين

• كي يبقى الدم أداة للمصلحين

• الآثار العملية لصفة الرضا

• آثار الذنوب

• مشكل تأخير البيان.. وحله

Resalat Alqalam



# رسالة القمر

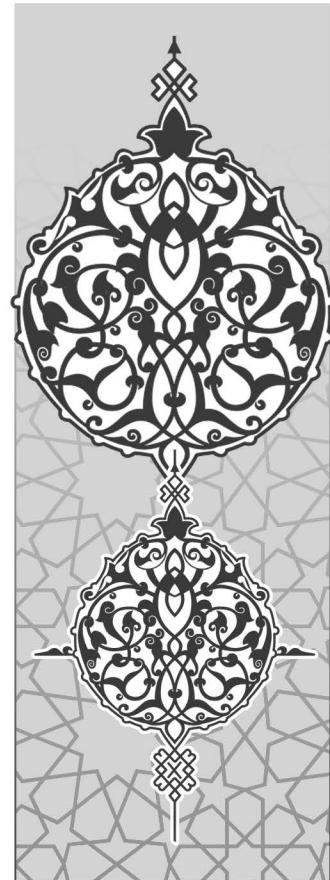
## إسلامية ثقافية شاملة

فصلية تصدر عن

طلاب البحرين في الحوزة العلمية  
بمدينة قم المقدسة

برعاية

مكتب البيان للمراجعات الدينية



- المشرف العام والمدير المسؤول:  
عبد الله علي الدقاق
- رئيس التحرير:  
علي أحمد الكريباudi
- مدير التحرير:  
علي أحمد الجفيري
- هيئة التحرير:  
عبد الرؤوف حسن الربيع  
عزيز حسن سلمان  
غازي عبد الحسن إبراهيم  
فاضل عبد الجليل الزاكي



- ٥ تساؤلات عاشورائية  
في حوار مع سماحة الشيخ نجم الدين الطبسي
- ٢٤ إحياء عاشوراء  
غازي عبد الحسن إبراهيم
- ٥٤ جلاء العين في حكم صوم العاشورائين  
محمد علي العربي
- ٧١ كي يبقى الدم أداة للمصلحين في التغيير والإصلاح  
رائد ميرزا الستري
- ٨٤ الآثار العملية لصفة الرضا  
حسين علي أبورويس
- ٩٦ مناقشة كتاب (آل البيت وحقوقهم الشرعية) الحلقة الثانية  
حسن عبد الله القصّاص
- ١١٧ آثار الذنوب  
عيسي جاسم الفقّاصل
- ١٣٠ مشكل تأخير البيان.. وحله  
علي فاضل الصددي
- ١٤٥ بحث في أدلة الشفاعة عند المعتزلة (القسم الثاني)  
سعید جعفر حماد
- ١٨٦ دروس في الأخلاق السياسية (الحلقة الثانية)  
عادل علي الشعلة
- ٢٠١ المنهجية الصحيحة لدراسة العلوم الدينية (الحلقة الثانية)



## بكاء فاطمة عالشيلان

إن كان من خبرٍ يبقى فهو ما اتصل بعنوان البقاء، ورمز الخلود، فكلّ ما كان فهو إلى فناءٍ  
وكلّ موجودٍ فهو هالك، ويبقى وجه الله، فلا وجدة لنا نحطُّ عندها رحالنا، إلا وجه الله الذي إليه  
يتوجه الأولياء، والسبب المتصل بين الأرض والسماء... فعظم الله لكم الأجر آل الله بتجدد  
الأحزان، وعظم الله لكِ الأجر يا سيدة النساء.  
وهذه بعض الأبيات، نظمت بلسان حالك..

إن كان عزّ على الرسول عزائي  
أو كنت في فقد النبي محمد  
فعلى الحسين بكربلاء معفراً  
آه.. وهل بعد الحسين ملامة  
ما مثل يوم الغاضرية مائتمٌ  
فلقد وقفت عند رأس المصطفى  
ها قد نظرت له مسجى حاسراً  
ولقد وقفت على حسين ليتني  
أبصرت منه الجسم ملقى في العرا  
في كفه اليمنى المهدى قاطعاً  
رأس الحسين أفيك يُغرس ذابل؟!  
من أجل طه قد بكى محاربه  
هذا له قبر الولد بظلّه  
فالرأس يُهدي في البلاد وقلبه

فعلى الحسين السبط كلّ بكاءٍ  
أبكيه مدراراً بفيض دماءٍ  
أشجي السماء تزفري وندائي  
فالعرش مال وضجّ كلّ فناءٍ  
إن كان في طه عظيم بلائي  
هاجت عيوني أدمع الكرماء  
يا عين جودي جمرة بدماءٍ  
ما كنت، وهو موزع الأعضاء  
والشمر فوق الصدر أي جفاء؟!  
وبكفه اليسرى عظيم رجائي  
هل بعد حلم فيك حلم سماء؟!  
وأنا أضجّ بأرض كربلاءٍ  
ولذاك ذاك موزع الأعضاء  
فالرأس يُهدي في البلاد وسهم عداءٍ

قد كتَّ ألمه، وكان شفائي؟!  
هيمات.. لا أسلو وأنتَ عزائي  
بعد الطفوافِ الدمعُ صار قضائي  
وتجلبي ما شئت من أرزائي  
فقميصه لازال غضن دماءِ  
دهر الدهور بقيةٌ غراء

يا كربلاء وهل تعidi خصراً  
قد كان يرجو الناسُ مني سلواً  
يا ابن المدى علمَ ملائكة السما  
ظلَّي أيَا ذكرى الحسين بظاهري  
وتنشقَّي يا روح عطر ثواكلِ  
وترقرقي يا أدمعي في نَيَّوى

رئيس التحرير

## تساؤلاتٌ عاشورائيةٌ

في حوارٍ مع حجّة الإسلام والمسلمين سماحة العلامة الشيخ نجم الدين الطبسي<sup>رحمه الله</sup>

حاوره: عماد علي الشعلة

كذلك تُحتلُّ الثورة الحسينية المباركة من الأهميّة، والأصالة، وقوّة التأثير مكانةً جعلتها فريدةً من نوعها، وإنّ لها أبعاداً عميقاً قد تخفي على أيّ إنسانٍ، وموافقٌ غامضةً لها دلالاتٍ قد يُغفل عنها، أو لا يُلتفت إليها، ولكنَّ المدقق وممن النظر قد ينظر إلى أمور لا يراها إلا من كان في مكانه، وللوصول إلى إدراك بعضٍ من محتوى الثورة الحسينية، ننظر إليها بنظار العالم، المدقق، الباحث في التاريخ، سماحة حجّة الإسلام والمسلمين، الشيخ نجم الدين الطبسي<sup>رحمه الله</sup>، سائلين الله عزّوجلّ أن يرزقه خير الدنيا والآخرة.

وقد وجّه سماحة الشيخ - في مفتتح الحوار - نداء شكرٍ وتقديرٍ، فقال: (قبل أن أبدأ أودّ أنأشكركم، وأشكّر الإخوة الأجلاء، السادة العلماء، أصحاب الفضيلة، أرباب القلم، الذين وقفوا أنفسهم للدفاع عن مذهب أهل البيت علیهم السلام، وإليصال الحقائق إلى الأجيال، سيّما في هذا العصر الذي بدأ تأثير الأقلام المأجورة تقلب الحقائق، وتُبدي الضغينة والأحقاد البدريّة والخميريّة، وبعضها عادت تعلن حرّيتها من جديدٍ على آل بيت الرسول علیه السلام، من خلال بعض الفضائيّات، وبعض الصحف، وبعض المجالّات، وبعض الأفراد المشبوهين؛ ففي هذه الفترة والبرهة من الزمن، تتجلّى أهميّة المجالّات والمقالات النزيهة، والأقلام التي وقفت نفسها لخدمة دين الإسلام، وآل بيت

الرسول ﷺ، فهنيئاً لكم، ونسأله أن لا يحرمكم في الدنيا والآخرة زيارتهم، وشفاعتهم).

﴿ هل أن حاجز البُعد الزماني بيننا وبين الإمام الحسين عذر كافٍ لعدم النُّصرة؟ أم أننا ما زلنا مكلفين شرعاً بالنصرة؟ وكيف يمكننا أداء هذا التكليف ونحن في هذا العصر؟

﴿ لو اطّلعنا على أهداف الإمام الحسين ع - سيما تلك الأهداف التي أعلنها في بدء الرفض لسلطة يزيد، ومن جانب آخر لو وقفنا على نوايا الحكم الأموي وسياساته الإسلامية، والظلمة بشأن الأمة الإسلامية، وموافقه العدائية تجاه الإسلام، والرسول الأكرم ﷺ، ثم طبقنا الأمرين على الوضع الراهن، ودرسنا الأوضاع من هذا المنظار - لوجدنا أن الثورة الحسينية لا زالت قائمة، والمعسكر الحسيني لا زال قائماً على قدم وساق، والمعسكرات المناوئة أيضاً تعمل، وبكل ما لديها من طاقة. فنحن لسنا في زمن بعيد حتى نبحث عن بعد الرزمي، بل نحن في زمن الامتداد للعسكر الحسيني، وصرخة الإمام الحسين ع: «هل من ناصر ينصرني؟» لا زالت تدوّي في الأسماع، فلعل هذا السؤال غير صحيح؛ إذ لا يوجد بعده في الزمن حتى نتحدث عن الحاجز، وعن العذر، بل نحن في نفس العصر والزمن، أما الشعارات والأهداف التي أعلنها الإمام الحسين ع:

١) (إِنَّمَا خرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِيَّةٌ عَلَيْهَا، أَرِيدُ أَنْ آمِرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّيِّ وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ قَبَلَنِي بِقَبْوِلِ الْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا، أَصْبَرْتُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (١).

٢) قوله ع: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد قَالَ فِي حَيَاتِهِ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحْلِلًا لِحِرْمَةِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِهِ، مُخَالِفًا لِسُنْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

يُعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بقولٍ ولا فعلٍ، كان حَقّاً على الله أن يدخله مدخله، وقد علمتم أن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا المحدود، واستثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ بهذا الأمر؛ لقربتي من رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

٣) قوله للفرزدق: (أنا أولى من قام بنصرة دين الله، وإعزاز شرعه، والجهاد في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا)<sup>(٣)</sup>.

٤) وفي رسالته لأهل البصرة: (أنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ؛ فإنَّ السنة قد أمتُتْ، وإنَّ البدعة قد أحبتُتْ، وإنْ تسمعوا قولي، وتطيعوا أمري أهدكم سبيلاً الرشاد)<sup>(٤)</sup>.

وعشرات من نظائر هذه الكلمات العطرة القيمة الصادرة من فم سيد شباب أهل الجنة عَلَيْهِ السَّلَام، مما ينبئ ويدلُّ على عمق الفاجعة في المجتمع الإسلامي، والمحاولات المستمرة من قبل السلطة لإماتة السنة، وإحياء البدعة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر إننا ننظر إلى أهداف السلطة، وتصرفاتها الظالمة، كقول بعضٍ منْ كان يترأسُ السلطة الأموية مخاطباً أهل الكوفة: (أترونني قاتلتكم على الصلاة، والزكاة، والحج...؟! لكنني قاتلتكم لأنَّمْ عليكم، وألي رقابكم)<sup>(٥)</sup>، وقوله: (أنا أول الملك)، بعد أن نقيس هذا الكلام إلى كلام الرسول عَلَيْهِ السَّلَام، حيث قال: (إِذَا تَحُوَّلَ الْحُكْمُ إِلَى مَلْكٍ عَضُوضٍ يَرِثُهُ فَاجْرٌ عَنْ فَاجِرٍ)، وقوله (معاوية): (برأتُ الذمة منْ روى شيئاً في فضائل أبي تراب، وأهل بيته)، والعشرات من هذه التصريحات الخطرة التي هي - بعبارة أخرى - إعلان حربٍ مفتوحة ضدَّ الإسلام، والنبيُّ الكريم عَلَيْهِ السَّلَام، وأهل بيته الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَام.

والحاصل: طالما أنَّ أهداف الثورة الحسينية هي نصرة الدين، وإعزاز الشرع، وقطع أيدي المتآمرين على الدين و المسلمين باسم الدين، فـ«البعد الزمني» - إن

صحّ هذا التعبير - غير مانع، ولا عذر عن الوقوف إلى جانب هذا المعسكر - أعني المعسكر الحسيني -؛ لأنّ هذا الوقوف يُعدّ نصرةً لهذه القيم، وجهاداً ضدّ من هو شارب الخمور، لاعب الفجور، فالثورة الحسينية ثورةٌ حيّةٌ على مرّ العصور، وتعطى الحيوية، والزخم، والاتجاه الصحيح لمن يريد الدفاع عن الحقّ والحقيقة، فلم تبلّ ببرور الزمن، بل هي مع الزمن، والقضية قضيّة الساعة والساحة، فالدفاع عنها - والوقوف إلى جانبها - هو التكليف الشرعيّ، وأمّا الاعتزال عنها فهو اعتزالٌ عن أداء الواجب، وانحرافٌ في سلك المعسكر الثاني، نعوذ بالله أن نكون من الخوالف الذين قعدوا عن jihad.

❖ كيف نوفق بين موقف مناشدة الإمام العدوّ أن يعطيه فرصةً للتوجه إلى أيّ بلدٍ شاء، ولا يبتلي بدمه الطاهر، وبين قوله: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد..)، وخروجه لإيصال مراده بالشهادة؟

❖ بعد أن عرفنا أهداف الحسين عليهما السلام من الثورة، وأنّها هي إماتة البدعة، وإحياء السنة، والصدّ بوجه الظالمين بلغ الأمر ما بلغ، وإن كلفه الأمر نفسه الطاهرة، وأنّه من المستحيل أن يركع للعدوّ ويصافحه - كما قال: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ إقرار العبيد) -، وبعد هذه الشفافية، والوضوح، والصراحة في أهداف الثورة الحسينية، كل نصٌّ يتعارض مع هذا الموقف فلا اعتبار له، ولا نقييم له وزناً إن لم يكن توجيهه بما لا ينافي الموقف الصريح له.

وأمّا بالنسبة إلى هذه العبارة التي نقلتموها، لعلّ البعض يسجله موقفاً آخر مغايراً للموقف الأول للحسين عليهما السلام، ولعلّ فيه نوعٌ - إن صحّ التعبير - من التراجع، أو نوعٌ من المماشاة، أو المسایرة مع السلطة، فإن كان معنى العبارة هو الذي فهمناه، رفضنا العبارة، وضربنا بها عرض الجدار، سيّما أن روتها إنّما هم المؤرخون، ولم ترد بسنده صحيحٌ من أئمّة أهل البيت عليهما السلام حتى نقوم بتأنّيلها، وتوجيهها.

نعم، إنّ البعض قام بتأويل هذه العبارة: بأنّ الإمام علّي عليه السلام أراد إلقاء الحجّة على السلطة؛ كي يسلب من أيديهم وإعلامهم المضلّ كلّ النقاط التي يمكن أن يشنّوا منها حملةً إعلاميّةً على الإمام، بحيث يتظاهرون بأنّهم أخذوا جانب الدين، وفسحوا المجال للإمام الحسين علّي عليه السلام، ولكنّه هو الذي بدأ، كما أتّهم قاموا بهذا التضليل الإعلامي: قاموا بالتعبير عن الإمام الحسين علّي عليه السلام بالخارجيّ.

أمّا تاريخيّاً فهذا النص قد ورد في تاريخ الطبرى، وهنا عندي ملاحظتان:

**الملاحظة الأولى:** الإشارة إلى نصٍّ عن عقبة بن سمعان، الذي كان مصاحباً للإمام علّي عليه السلام من المدينة إلى العراق، إذ روى هذا النص، ولعله يُروى عن غيره أيضاً، لكن مرسلاً أو أخذها من عقبة، وإليك النص، قال عقبة: «صحبتُ حسيناً، فخرجتُ معه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أفارقّه حتّى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمةً بالمدينة، ولا بعكّة، ولا في الطريق، ولا بالعراق، ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها، ألا والله ما أعطاهما ما يتذكرة الناس، وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيّره إلى ثغرٍ من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دعوني فلأذهب إلى هذه الأرض العريضة، حتّى ننظر ما يصير أمر الناس»<sup>(١)</sup>، والملاحظ أنّ السلطة بدأت تعمل من خلال أيادٍ خبيثةٍ، وأقلامٍ فاسدةٍ مأجورة، ببٍث ما يشين، وما لا يليق بمقام الإمام الحسين علّي عليه السلام، مما يشير إلى - نعوذ بالله - الذلّ بالنسبة إلى مقام الإمام الحسين علّي عليه السلام، فترى ابن سمعان ينكر هذا النوع من الإشاعات التي وراءها السلطة الفاسدة، فترأه يركّز على مسألة الذهاب إلى الأرض العريضة.

ونحن نأخذ من هذه الرواية، ونردد الذيل بقرينة الصدر، فنقول: إنّ كان هذا القول - (دعوني فلأذهب إلى هذه الأرض العريضة) - لا يتناسب مع مقام الإمام علّي عليه السلام، وأهداف ثورته، وقيمه العالية، فهو مردودٌ لأنّه مصدقٌ لما يتذكرة الناس، وما يزعمون على حدّ قول ابن سمعان.

**واللإحظة الثانية:** بالنسبة إلى تاريخ الطبرى الذى قد يقال فيه: إنه من أمن التوارىخ، وأدقها، المعروف بتاريخ الأمم والملوك، فإنه وإن أطروه لكنه - أي الطبرى - مؤرخ في غاية العصبية، إن لم نقل إنه - تاريخ الطبرى - تأليف لصالح السلطة، لا أقل إنه لم يكتب لصالح الحق، وللدفاع عن أهل البيت عليهما السلام.

إن لم نقل: إنه كان ياشي، ويساير، ويطلب رضا السلطة، لا نستطيع أن نقول: إنه كان يكتب لرضا الله، ولرضا نبيه عليهما السلام، ورضا أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وعندى شواهد على ذلك، فالرجل وإن قالوا: إنه كان دقيقاً في النقل، ولكنك كان سيناً في انتقاء النقل والأقوال، ولم تكن له سلامة سليمة في اختيار النقل، هذا ما قالوه، ولكنني أراه سيناً في الرأي قبل أن يكون سيناً في اختيار النصوص، فمثلاً:  
**المورد الأول:** في أسباب مسيرة المصريين في مخالفتهم مع حكومة المدينة، لم يذكر رأي المخالف، ولم يذكر رأي الطرفين، بل اكتفى برأي العاذرين معاوية، فيقول: (روى الآخرون أموراً شنيعةً كرهت ذكرها)، فلم يذكر رأي الآخرين، ولكنك يقول: (أما العاذرون معاوية)، فيذكر رأيهما في أمر أبي ذر الغفارى، وإشخاص معاوية إياه من الشام<sup>(٧)</sup>.

**المورد الثاني:** في رواية ابن عباس يوم الخميس، وما يوم الخميس؟! مع أن الواقعى أورد الرواية في طبقاته، والبخارى أوردها مع تصريحه بن منع الدواة والكتف، لكن الطبرى يمحض اسم من منع، فقال: (إن الرجل ليهجر).

في مورد ثالث: يالأ كتابه من أخبار قطعية الكذب، وخلاف تواتر السير، وهي أخبار عن السرى، عن شعيب، عن سيف بن عمر، الذين رماهم كل علماء الرجال من العامة بالكذب، والضعف، وكذلك شعيب، ولكن الطبرى حشى كتابه من أكاذيبهم، مثلاً يقول راوياً عن سيف: (إن أبو بكر بويع يوم أن مات النبي)، ولم يخالف عليه أحد إلا مرتد، ومن كاد أن يرتد، وإن علياً كان في بيته، إذ أتيَ فقيل له: قد

جلس أبو بكر للبيعة، فخرج بقميصٍ ما عليه إزارٌ ولا رداءً، - عجباً، يعني خرج بسرعةٍ - كراهيةً أن يُبْطئ عنها، حتى بايده<sup>(٨)</sup>، مع أنَّ الواقع غير هذا، كما صرَّح به البخاريٌّ وغيره.

وكتب أيضاً أنَّ سعد بن عبادة بايع أبو بكر، وأنَّ مخالفته أوَّلاً كانت فلتةً كفلتات الجahiliyah، مع أنَّ الواقع غير هذا، فإنه خرج إلى الشام، ولم يبايع، فلاحظته السلطة، واغتالته، ثم أشاعت بأنَّه قتيل الجن، كما صرَّح بذلك القرطبيٌّ في العقد الفريد<sup>(٩)</sup>.

**المورد الرابع:** ينقل عن سيف الكذاب، أنَّ أبي ذرٍ طلب بنفسه من عثمان الخروج إلى الربذة، وأنَّ عثمان أقطعه صرمةً من الإبل، ومملوكيـن، وأرسل إليه أن يعاهد المدينة حتَّى لا يرتدَّ أعرابياً، وكـره عثمان لأبي ذرٍ تعرـبه بعد الهجرة، فالقضـية ليست قضـية تسـفـير، وإيـعادـ، وتهـجـير لأبي ذرٍ إلى الـربـذـةـ، بل قضـيةـ الخـروـجـ بـنـفـسـهـ مع عدم رضـىـ السـلـطـةـ<sup>(١٠)</sup>.

**المورد الخامس:** يروي أنَّ الـولـيدـ بـنـ عـقـبةـ اـفـتـرـواـ عـلـيـهـ بـشـرـبـهـ الـخـمـرـ، وأنَّ عـثـمـانـ قال له: يا أخي، نقيـمـ الـحدـودـ، ويبـوءـ شـاهـدـ الزـورـ بـالـنـارـ، فـاصـبـرـ<sup>(١١)</sup>. يعني: أنَّ سـيفـاـ يـبرـئـ الـولـيدـ بـنـ عـقـبةـ.

**المورد السادس:** يروي عن سيفٍ خبر: «كلاب الموأب»، وأنَّ النبيَّ ﷺ قالها في أم زمل، لا في عائشة<sup>(١٢)</sup>. إلى غير ذلك.

فمن يروي في كتابه هذه القضايا، الظاهر عليها الكذب، وقلب الحقائق، ومن يعتمد في كتابه على أمثال سيفٍ الذي قال فيه يحيى بن معين: (فلسٌ خيرٌ منه)، فمن الطبيعي - والمسلم، والأكيد - ألا يؤخذ بما يرويه من خدشٍ بشأن أهل البيت عليهم السلام، وأكرر، وأعيد: إنَّ هذه العبارة التي يرويها الطبرـيـ - (دعوني فلاذهب إلى هذه الأرض العريضة حتـىـ نـنـظـرـ ماـ يـصـيرـ أـمـ النـاسـ) - لو كان يلوح منها

أمارات الذل، والضعف، والانعطاف نحو السلطة الأموية الدموية، فهي بعيدة كل وبعد عن أبي الأحرار الشهيد، وهي من دسائس السلطة، إن لم يكن توجيهها بنحو آخر.

﴿لَمَذَا تَبْكِي عَلَى شَهَادَةِ الْإِمَامِ الْحُسَينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الَّذِي سَعَى إِلَيْهَا لِأَنَّهَا هِيَ الْفُوزُ، وَالْحَيَاةُ؟ أَلَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِيَّةِ أَنْ نَفْتَخِرَ بِالْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ نَالَ الشَّهَادَةَ، وَحَقَّ مَرَادُهُ، وَنَفَرَ بِانتِصَارِ الدَّمِ عَلَى السَّيْفِ؟﴾

﴿سَاعِطِيكُمْ جَوَابِينَ، أَحَدُهُمَا نَقْضٌ، وَالآخَرُ حَلٌّ﴾

١) **أما النقض:** فقد استشهد الكثيرون في عهد الرسول عليه وآله وسله في الحروب، ونالوا الشهادة، كما في بدر، وأحد، وفيبعثات التي بعثها الرسول عليه وآله وسله إلى التبليغ، ثم قُتل المبعوثون، كما في قصة رجيع وبئر معونة، وقد نالوا الشهادة، حمزة أيضاً نال الشهادة، وجعفر فاز فوزاً عظيماً، لكنَّ النبيَّ الكرم عليه وآله وسله بكى عليهم، فقد قال في حمزة: (أَمَّا حمزة عَمِّي لَا بُوَاكِي لَهُ)، وفي جعفر: (فعلى مثل جعفر فلتبكِ البواكِي)، وبكاؤه وتآلَّه على سعد بن ربيع، حيث دمعت عينا رسول الله عليه وآله وسله، ونظائره، أيضاً يمكن أن ننقض على ذلك بكاء أمير المؤمنين عليه وآله وسله على مالك الأشتر، مع أنه فاز بالشهادة، فالفوز ونيل الدرجة العالية لا يعنان العينَ من الدمع والقلبَ من التألم.

أعطيكم مثالاً: إنَّ الْأَمَّ المفقود ولدها إذا أُرْجعَ لها ولدها بعد فترةٍ نراها تبكي، فهل هذا البكاء في محله؟! هل يحق لآحد أن يمنعها من البكاء فيقول لها: (اضحكى، وافرحي)!؟ وهل هذا منطقٌ مقبول؟! إنَّ بكاءها ليس بكاء العجز، بل بكاء عاطفة، إنَّ البكاء على الحسين عليه وآله وسله لم يكن بكاء العجز والضعف حتى يلام الباكِي على بكائه، بل بكاء عاطفة، إنَّ ما بين الجوانح ليس حجراً حتى يكون قاسياً، بل هو

قلبٌ يتصدّع، يتآلمُ، يتحسّس حينما يسمع ما جرى على آل الرسول ﷺ، لا أنسى كلام أبي ريحان البيروني في الآثار الباقيّة حيث قال: (في اليوم العاشر، اتفق فيه قتل الحسين، وفُعل به - وبهم - ما لم يُفعَل في جميع الأمم بأشرار الخلق، من القتل، والعطش، والسيف، والإحراق، وصلب الرؤوس، وإجراء الخيول على الأجساد).<sup>(١٣)</sup>

فيما ترى هل أنَّ القلب - حينما يقف أمام هذه الحقائق المرة - يبتهج ويفرح؟! فإن ابتهج فهو مصدق الآية: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾<sup>(١٤)</sup>، كيف وقد بكى الرسول الأعظم ﷺ، وعليّ بن أبي طالب، وفاطمة، وأصحاب الرسول على الحسين قبل الحادثة ب مجرّد أن أشار النبي الكريم ﷺ إلى مشهدٍ من مأساة كربلاء، ويكفيك كتاب: «سير أعلام النبلاء للذهبي، الجزء الثالث»، فإنه مليءٌ بروايات بكاء النبي الكريم ﷺ على الحسين، حينما نزل جبرئيل عليه السلام وأخبره بما يجري، وكذلك بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام على الحسين مدة حياته بعد كربلاء، حتى عدّ من البكائين الخمسة، وبكاء الإمام الباقر عليه السلام، حتى أنه أوصى بإقامة المأتم بعده في منى لمدة عشر سنوات، وبكاء الإمام الصادق عليه السلام، سيما يوم عاشوراء، كما عن الإمام الكاظم عليه السلام، ولا ننسى كلام الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: «إنَّ يوم الحسين أقرَّ جفوننا، وأسبل دموعنا، وأورثنا الحزن إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون»، وبكاء الإمام المهدي عليه السلام صباحاً ومساءً كما في زيارة الناحية، التي حقّقنا صحتها في أبحاثنا في المحوظة العلمية، ونشر تقرير بحثنا في بعض المجالات التخصصية.

✿ كيف كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي العنصر الذي أبقى الإسلام؟

﴿ إِنَّ مَنْ يَرَاجِعُ التَّارِيخَ وَسِيَاسَةَ الْحُكْمِ الْأُمُوِيِّ - سِيَّمَا بَعْدَ اسْتَشْهَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْبَشَّارِ إِلَى يَوْمِ تَسْلِيمِ يَزِيدَ الْخَلَافَةِ، وَتَسْلِطَتِهِ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ - يَتَبَادرُ إِلَى ذَهَنِهِ حَدِيثُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَنْهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا إِسْمَهُ، وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رِسْمَهُ، فَتَرَى الْمُظَاهِرُ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ إِقَامَةِ صَلَاةِ الْجَمَعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلَكِنَّ السُّلْطَةَ وَأَيْدِيهَا هُمُ الْمُتَآمِرُونَ عَلَى الدِّينِ، وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسَ عَنِ القيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَتَرَاهُمْ يَزاولُونَ الْمُنْكَرَاتِ، وَيَبْتَعدُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَيَرْوِجُونَ لِلْمُنْكَرِ، إِلَى حَدٍّ التَّبَسُّعِ عَلَى النَّاسِ أَمْرَهُمْ، وَظَنَّوا أَنَّ هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ جَمِيلًاً وَتَفْصِيلًاً، فَلَوْلَا الثُّورَةُ الْمُسَيْنِيَّةُ، وَرَفِضُهَا هُذِهِ الْمُظَاهِرُونَ وَالسِّيَاسَةُ الْعَدَائِيَّةُ، وَإِعْلَانُ الْوَقْفِ بِوجْهِهَا بِقِيَادَةِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، الَّذِي لَا يُشَكُّ أَحَدٌ فِي سُمُّ مَقَامِهِ وَجَلَالِهِ، وَلَوْلَا هَذِهِ الثُّورَةُ - وَبِقِيَادَةِ هَذِهِ الْشَّخْصِيَّةِ - لَا تَبَسَّسُ الْأَمْرُ، وَلَضَاعَتِ الْحَقَائِقُ، وَلَمُوَهَّ عَلَى النَّاسِ، وَالْتَّبَسُّعُ عَلَيْهِمْ، وَظَنَّوا أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ هَذَا الَّذِي يُشَيِّعُهُ الْأُمُوَيُّونَ، فَالْحَسَنِيَّةُ بِثُورَتِهِ وَنَهْضَتِهِ أُعْلَنَ لِلْعَالَمِ أَنَّ هَنَاكَ إِسْلَامًاً آخَرَ غَيْرَ مَا يَذِيعُهُ وَيَشِيعُهُ الْآخَرُونَ، وَهُوَ إِسْلَامُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِسْلَامُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ الْبَشَّارِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾<sup>(١٥)</sup>، ﴿ وَمَنْ يَتَنَعَّمْ غَيْرَ إِسْلَامِ دِينِنَا فَلَنْ يُفْلِي مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(١٦)</sup>، فَالْحَسَنِيَّةُ بِثُورَتِهِ حَاوَلَ الحَفَاظَ عَلَى هَذِهِ الْقِيمِ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْإِسْلَامِ، بَلَغَ الْأَمْرُ مَا بَلَغَ، وَإِنْ كَلَّفَهُ الْأَمْرُ نَفْسَهُ.

﴿ فِي زِيَارَةِ النَّاحِيَةِ يَقُولُ الْإِمَامُ الْحَجَّةُ عَلَيْهِ الْبَشَّارُ : (فَلَمَّا رَأَيْنَ النِّسَاءَ جَوَادَكَ مَخْزِيًّا، وَنَظَرْنَ سَرْجَكَ عَلَيْهِ مَلْوِيًّا، بَرَزَنَ مِنَ الْخُدُورِ، نَاثِرَاتِ الشُّعُورِ، عَلَى الْخُدُورِ لَاطِمَاتُ الْوُجُوهِ السَّافِرَاتِ، وَبِالْعَوِيلِ دَاعِيَاتِ، وَبَعْدَ العِزِّ مُذَلَّلَاتِ، وَإِلَى مَصْرَعِكَ مُبَارِدَاتِ) . كَيْفَ لَبَنَاتِ الطَّهُورِ وَالْعَفَافِ فَعَلَ هَذِهِ الْأَمْرُورِ وَهُنَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ يَخْرُجُنَّ إِلَى مَصْرِعِ الْإِمَامِ الْحَسَنِيَّةِ؟

﴿أَوْلًا﴾ - في رأيي القاصر - لا شبهة في اعتبار «زيارة الناحية»، وصدورها من الناحية المقدسة، وقد بحثنا في ذلك من خلال أبحاثنا التخصصية في مركز الأبحاث التخصصية في المهدوية من الموزة العلمية في قم المقدسة، وأن هذه الزيارة يرويها ابن مشهدي، ويصرّح في مقدمة كتابه أن ما في هذا الكتاب يرويه عن الثقات عن العصومين عليهما السلام.

هذا من ناحية السند، وأماماً العبارة هذه فلقد سألتُ أستاذِي بالنسبة إليها، وأجاب بأنّه ليس من الضروري أن يكون نشر الشعر بنحوٍ مكشوفٍ، بل من وراء الحجاب والستار - كما هو عادة نساء العرب من نشر شعورهن حين عروض المصيبة، ولكن تحت الستر والمحاجب -، وهذا ما نتبناه نحن، أضف إلى ذلك أن المخدور والخيم لم يكن فيها رجالٌ إلّا وقد استشهدوا غير الإمام زين العابدين عليه السلام، والذي كان في الخيمة، وهذه الصورة تُنقل عند مجيء الفرس، لا أنهن خرجن إلى المسرع بهذا الزي، وهذه الطريقة، فالواقع أن الإمام عليه السلام يريد أن يرسم عمق الفاجعة، فهذه الحالات والمواصفات ترتبط بظرفٍ خاصٍ، وهو حين مجيء الفرس، ومشاهدة النساء الجواد مخزياً، وليسْ هذه مرتبطة بقوله: (إلى مصرعك مبادرات)، وعلى فرض ظهور العبارة فلا بد من التأويل، كيف وهن بنات الوحي والرسالة، وهن أحق وأولى من غيرهن ببراعة حدود الشرع والشريعة التي هي هدفٌ من أهداف ثورة الحسين عليه السلام.

﴿قامت على مدى التاريخ - البعيد والقريب - ثورات، ومن المعلوم أن لكل ثورة رسالة ت يريد إيصالها، ولكن لماذا اختصت ثورة الإمام الحسين عليه السلام بإيصال رسالتها إلى مدى بعيد جاوز الأزمان والأجيال؟ وما هي هذه الرسالة التي أرسلها الإمام الحسين عليه السلام إلينا؟

﴿رسالة الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ﴾ عنوانها واضحٌ وهو: «هيئات مُنَا الذَّلَّةِ»، فحينما خَرَجَوهُ بين السَّلَّةِ وَالذَّلَّةِ قال: «أَلَا وَإِنَّ الدُّعِيَّ ابْنَ الدُّعِيِّ» قد رَكَزَ بَيْنَ اثْتَيْنِ، بَيْنَ السَّلَّةِ وَالذَّلَّةِ، وَعَنْوَانُ رسالَةِ الحسِين عَلَيْهِ الْكَلَمُ هو: «لَا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ، وَلَا أَفْرِجَ فَرَارَ الْعَبِيدِ»، وَالحسِين صَمَدَ تَحْقِيقًا هَذَا العنوانَ بَلَغَ الْأَمْرَ مَا بَلَغَ، كَمَا نَسَبَ إِلَى الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ:

تركتُ الخلقَ طُرًّا في هواكَ وأيتمتُ العيالَ لكي أراكَ  
فلو قطعني بالحبِّ إرباً لما مال الفؤاد إلى سواكَ  
هذه هي رسالة الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ، والتي هي امتدادٌ لخطٌّ جدهُ الرسول الأعظم عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.  
وخطٌّ الحسين ونهجه هو: المحافظة على بقاء هذا الخط، وألا تناهيه يد التحرير  
والتزيف كما هو شأن الأمويين، سيما في فترة ما بعد استشهاد أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ  
إلى الثورة الحسينية؛ حيث قاموا باجتثاث جذور الإسلام، وشنوا حرباً واسعةً على  
المؤمنين، بحيث لم يبق مؤمنٌ إلا وهو خائفٌ أو طريدٌ أو مسجونٌ، كما في احتجاج  
الطبرسي: أنه لَمَّا استشهد الحسن عَلَيْهِ الْكَلَمُ ازداد البلاء والفتنة، فلم يبق ولِيٌ إلا خائفٌ  
على نفسه، أو مقتولٌ، أو طريدٌ، أو شريداً، فالرسالة الحسينية، والثورة الكربلائية  
هي إعادةٌ لعزّة المسلمين، وكرامتهم، وضعضةٌ لأركان الظلم، وعروش الظالمين، وعبا  
أنَّ الإسلام دينُ أبديٌّ، فالذِّي يحاول ويُجاهد - وبكلِّ ما لديه - لإحياء هذا الدين،  
وإيقائه، وإنقاذه من براثن المتأمرين، تبقى ثورته خالدةً مشرقةً على مرِّ العصور،  
وهذا هو سرُّ خلود الثورة الحسينية، وتجددُها على مرِّ الزَّمن؛ لأنَّها ثورةٌ تمسُّ  
الصميم، ثورةٌ لإحياء المبادئ، والقيم الإسلامية التي هي مع الفطرة السليمة، وهي في  
الواقع ثورةٌ متعاطفةٌ مع فطرة الناس، التي فُطرَ الناسُ عليها، وهذا ما يوجب  
خلودها؛ لأنَّ الإسلام «محمدٌ الحدوث، وحسينٌ البقاء»، ولو لا الثورة الحسينية

لما بقي أثرٌ من الإسلام الحمدي؛ لأنَّ الأمويَّين كانوا يروجُون إسلاماً متناسباً مع أهوائهم، ومصالحهم، ونواياهم، فكيف نطلق على ما يروجُون اسمَ إسلام النبيَّ الكريم عليه وآله وسليمان؟! وقد كان يسبُّ علي بن أبي طالب عليهما السلام - الذي قال فيه: (عليه مني، وأنا منه) <sup>(١٧)</sup> - على المنابر علناً، بينما كان مدحه وذكر فضائله تعدَّ جريمةً وذنباً لا يغفر! هذا هو رمز بقاء الثورة الحسينية، والثورات التي تعقبَت هذه النهضة إذا كانت في نفس الاتجاه وبنفس الأهداف، فهي مستمدَّةٌ من كربلاء، وكان لها الأثر في تجديد خواطر النهضة الحسينية، وتأثيرها على ضعفعة أركان حكم الظالمين، وفضحهم، وتشهيرهم.

### ﴿لَمَّا كَلَّ هَذَا الثَّوَابُ العَظِيمُ لِجَالِسِ الْعَزَاءِ الْحَسِينِيِّ، وَلِبَكَاءِ، وَلِذَرْفِ

الدموع، حتَّى على مستوى دمعةٍ واحدةٍ، بل حتَّى على مستوى التباكي؟

﴿مَنْ بَكَىْ أَوْ تَبَاكَىْ أَوْ أَبَكَىْ)، وإنْ لمْ يَرِدْ حَدِيثٌ بِهَذَا النَّصِّ، لَكِنْ وَرَدَ بِهَذَا المضمون، وَنَقْلَهُ عُلَمَاءُ الْفَرِيقَيْنِ، وَلَعِلَّ الْمَقصُودُ أَنَّهُ يُؤَدِّيُ إِلَى الْفُوزِ، وَالنَّجَاهَ، وَالتَّوْبَةِ، وَحَسْنِ الْعَاقِبَةِ، وَبِالْتَّالِي يَوْمِ نَقِيِّ الثَّوَابِ، طَاهِرِ السَّرِيرَةِ، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ فَعَاقِبَتِهِ الْجَنَّةُ.

إنَّ البكاءَ - أو التباكيَ، أو الإبكاءَ، أو كلَّ ما يكون من هذا المقال أو المقولَةَ - عبارةٌ عن التعاطف مع الأجراء الحسينيَّة، وأهداف النهضة، والانقیاد لقائدها، ولقيم النهضة ومبادئها، بل أكثر من ذلك، فهو عبارةٌ عن التواجد في المعسكر الحسينيَّ، وإعلان الانقیاد، والجهاد تحت رايته، ومن كانت هذه نيتَّه، وهذا كلَّ ما في سريرته، وهذا عمله، فهو لا زال في عبادة الله عز وجل، وطاعته، «نَفْسُ الْمَهْمُومِ لَحْزَنَنَا عِبَادَة» <sup>(١٨)</sup>، فمن كان في عبادة الله، قام لله، جاهد في سبيل الله، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ <sup>(١٩)</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ

من عَذَابٍ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ  
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾، فإذا كان البكاء تعبيراً آخر عن هذا الموقف  
الجهادي، ودعاً وتائيداً للنهضة الحسينية، وإظهاراً للتبرّي مما ارتكب في شأنه، وفي  
حقة، وحق أولاده، وحق أصحابه، فلا شك أنها عبادة، ومن أفضلاها، وهذا الشخص  
- بهذه المواقف - يستحق الجنة؛ لأنّه في عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، ورضاه، فمسكنه رياض  
الجنة، ورضوان الله، وهنيئاً له جوار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهل بيته الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

﴿ وَرَدَ فِي مَقْتَلِ الْخَوَازِمِيِّ أَنَّ الْإِمَامَ الْحَسِينَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ  
الْحَرِّ: قَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ سَمِعَ بِواعِيَةً أَهْلَ بَيْتِي ثُمَّ  
لَمْ يَنْصُرُهُمْ عَلَى حَقِّهِمْ، أَكَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمْ)، وَفِي ثَوَابِ  
الْأَعْمَالِ وَعَقَابِ الْأَعْمَالِ لِلصَّدُوقِ قَدْسَهُ قَالَ عُمَرُ بْنُ قَيْسَ الْمَشْرِقِيُّ: (دَخَلَتْ عَلَى  
الْحَسِينِ أَنَا وَابْنُ عَمٍّ لِي، وَهُوَ فِي قَصْرِ بَنِي مَقَاتِلِ، فَسَلَّمَنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ  
عَمِّي: يَا أَبا عَبْدِ اللهِ، هَذَا خَضَابٌ أَوْ شِعْرٌ؟  
فَقَالَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ: خَضَابٌ، وَالشِّعْرُ إِلَيْنَا - بَنِي هَاشِمٍ - يَعْجَلُ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: جَئْتَمَا لِنَصْرِتِي؟

فَقَلَّتْ: إِنِّي رَجُلٌ كَبِيرٌ السِّنِّ، كَثِيرُ الدِّينِ، كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَفِي أَيْدِينَا  
بَضَائِعُ النَّاسِ، وَلَا أَدْرِي مَا يَكُونُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَضْيِعَ أَمَانَتِي. وَقَالَ ابْنُ عَمِّي مُثْلِدًا  
ذَلِكَ.

قَالَ لَنَا: فَانْطَلِقا، فَلَا تَسْمِعَا لِي وَاعِيَةً، وَلَا تَرِيَا لِي سَوَادًا، فَإِنَّهُ مَنْ سَمِعَ  
وَاعِيَتِنَا، أَوْ رَأَى سَوَادَنَا، فَلَمْ يَجِدْنَا، وَلَمْ يُعِنَا، كَانَ حَقًا عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَكْبَهُ  
عَلَى مَنْخِرِيهِ فِي النَّارِ). مَا هِيَ هَذِهِ الْوَاعِيَةُ؟

﴿ قَالَهَا الْإِمَامُ الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِقَاماً لِلْحَجَةِ، وَإِلَاءَهَا، كَيْ لَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّى لَمْ أَسْعِ بِخُرُوجِ الْحَسِينِ، وَمَقْصِدِهِ، وَهُدُفُهُ، وَمَأْرِبُهُ، وَالْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي احْتِجاجَهُ مَعَ عُمَرَ بْنَ قَيْسٍ، وَغَيْرِهِ - أَتَى بِهَذِهِ الْكَلْمَةِ أَوْ بِعِضْمُونَهَا، كَمَا قَالَهَا - كَلْمَةُ الْوَاعِيَةِ - هَرَثَةُ بْنُ سَلَيْمٍ عَلَى مَا فِي وَقْعَةِ صَفَّيْنِ لِنَصْرِ بْنِ مَزَاحِمِ (مُتَوْفِي ٢١٢هـ)، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ عَلِيٍّ (صَفَّيْنِ)، فَلَمَّا نَزَلْنَا بِكَرْبَلَاءَ صَلَّى بَنًا صَلَّاهُ، وَلِمَّا سَلَّمَ رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْبَتِهَا، فَشَمَّهَا، ثُمَّ قَالَ: وَاهَا لَكَ أَيْتَهَا التَّرْبَةَ، لِيُحْشَرَنَّ مِنْكِ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَلَمَّا رَجَعَ هَرَثَةُ مِنْ غَزْوَتِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، وَكَانَتْ شَيْعَةُ عَلِيٍّ، فَقَالَ لَهَا هَرَثَةُ: أَلَا أَعْجِبُكُمْ مِنْ أَبِي الْحَسِينِ، لَمَّا نَزَلْنَا بِكَرْبَلَاءَ رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْبَتِهَا، فَشَمَّهَا، وَقَالَ: «وَاهَا لَكَ أَيْتَهَا التَّرْبَةَ...»، وَمَا عَلِمَهُ بِالْغَيْبِ؟! فَقَالَتْ: دَعْنَا مِنْكَ أَيْهَا الرَّجُلِ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَقُلْ إِلَّا حَقًّا. فَلَمَّا بَعَثَ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ زَيَادَ الْبَعْثَ الَّذِي بَعَثَ إِلَى الْحَسِينِ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ: كَنْتُ فِيهِمْ، وَفِي الْخَيْلِ الَّذِي بُعْثِثُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انتَهَيْتُ إِلَى الْقَوْمِ، وَالْحَسِينِ، وَأَصْحَابِهِ، عَرَفْتُ الْمَنْزِلَ الَّذِي نَزَلَ بَنَا عَلَيْهِ فِيهِ، وَالْبَقْعَةُ الَّتِي رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تَرَابِهَا، وَالْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ، فَكَرِهْتُ مُسِيرِيِّيَّ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى فَرَسِيِّيِّ، حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الْحَسِينِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَحَدَّثْتُهُ بِالَّذِي سَمِعْتُ مِنْ أَبِيهِ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ، فَقَالَ الْحَسِينُ: مَعْنَا أَنْتَ أَوْ عَلَيْنَا؟ فَقَلَّتْ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا مَعَكَ وَلَا عَلَيْكَ، تَرَكْتُ أَهْلِي وَوَلَدِي، أَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ زَيَادٍ. فَقَالَ الْحَسِينُ: فَوْلٌ هَرَبَا، حَتَّى لَا تَرَى لَنَا مَقْتَلًا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيدهِ، لَا يَرَى مَقْتَلَنَا الْيَوْمَ رَجُلٌ وَلَا يَغِيَّنَا - فِي بَعْضِ النَّسْخِ: لَا يَعْيَنَا - إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ فِي الْأَرْضِ هَارِبًا، حَتَّى خَفِي عَلَيَّ مَقْتَلِهِ<sup>(٢١)</sup>، بِهَذَا الْمَضْمُونِ، وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعُمَرَ بْنَ قَيْسٍ: «مَنْ سَمِعَ وَاعِيَةً أَهْلَ بَيْتِي....» بِعْنَى وَاحِدًا؛ لِأَنَّ الْوَاعِيَةَ فِي الْلُّغَةِ - كَمَا فِي النَّهَايَةِ لِابْنِ الْأَئِمَّةِ، وَجَمْعِ الْبَحْرَيْنِ لِلطَّرِيجِيِّ - هِيَ: الصَّرَاطُ عَلَى الْمَيْتِ، أَوِ النَّعْيِ، وَلَا يَبْنِي مِنْهُ فَعْلٌ. وَقَيْلٌ: الْوَعْيُ: كَالْوَغْيِ، الصَّوْتُ الشَّدِيدُ.

فالمراد بالوعية هنا هو صرخ أهل البيت، وبكاء زينب، «وهي المخدّرة التي كانت إذا أرادت زياره قبر الرسول الأكرم عليه‌الله - كما رواه يحيى المازني، الذي كان جارها في المدينة على ما في كتاب الشيخ جعفر التستري - كانت تخرج ليلاً، والحسن عن يمينها، والحسين عن شمائلها، وأمير المؤمنين قدّامها، فإذا اقتربوا من الحرم الشريف، يأمر أمير المؤمنين الإمام الحسن بإطفاء السراج، ويقول: لا أريد أن يقع نظر أحد إلى شخص زينب»، فمن كانت بهذه الثابة والدرجة، فإذا بها - وبسائر نساء بني هاشم، بنات الرسول - يصرخن، ويندبن، كما في زيارة الناحية: (بالعويل نادبات)، فمن يرى هذه الحالة المأساوية، المقرحة للقلوب، والجفون، ولم يهتم بالذب والدفاع عن أهل البيت، ونصرتهم، من الأكيد أنه من أهل النار، كيف وقد قال رسول الله عليه‌الله: «من سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين. فلم يجبه، فليس بمسلم»؟! فكيف والنادبات الصارخات المستغيثات هن من آل الرسول، وبينات فاطمة وعلي؟! والمصيبة والفاجعة العظمى هي مصيبة استشهاد من هو من الرسول، والرسول منه، «حسين مني وأنا من حسين»، وكما قالت زينب: «وilyكم يا أهل الكوفة، أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كرية له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟!»، هذه الوعية التي من لم يلب طلبها، ولم ينصرها، فهو مسلوب الإيمان، والعقيدة، ومسلوب الإنسانية، ومن كان هكذا، من المعلوم أن مصيره إلى النار، كما قال الحسين عليه‌الله: «أن يكبّه على منخريه في النار».

﴿إلى ماذا يرمي الإمام الحسين عليه‌الله من الاستئصال والاستغاثة، ومن الترخيص لأصحابه، والإذن بالانصراف؟﴾

﴿أولاً: إن أصحاب الحسين الذين نصروه إلى آخر قطرة دم، هم من خير الأصحاب، ولا يُفاس بهم أحد، كما صرّح بذلك الحسين بن علي عليه‌الله: «إني لا أعلم أصحاباً أوفي - ولا أبر - من أصحابي»، فالترخيص والإذن بالانصراف لهؤلاء ليس

إلا تأييداً لما قاله، من أنهم من خير الأصحاب، وأبرّهم، لكي تنتقل - وتتناقل -  
الصورة إلى الأجيال، كيف أنهم صدوا، ووقفوا، وجاحدوا دفاعاً عن الحق والحقيقة،  
وكيف هو عزّهم على التضحية في سبيل الإسلام، والدفاع عن آل رسول الله عليه السلام،  
إلى أن فازوا بالشهادة.

ثانياً: إن الاستغاثة والاستنصار بهم كان بعد استشهادهم كما في التواريخ، ولما  
نظر إلى منْ حوله وهم مجرّدين، قتلى، صرعي، ناداهم: «مالي أنا ديككم فلا تحببون؟!  
وأدعوكم فلا تسمعون؟! أنتم نيام؟! أم ذهبت حمّنكم؟!» فتحرّكت الأجساد، هذا  
شاهد ثانٍ على وفائهم، وصلابتهم، وما يقال في رجوع البعض ليلة عاشوراء  
والانصراف فإنّه لم يثبت، كما أنّ وصف الإمام الحسين عليه السلام: «إني لا أعلم أصحاباً  
أوفي - ولا أبرّ - من أصحابي» - وما ورد في الروايات عنهم، وأنهم من أجل  
الأصحاب، وأعلاهم درجة يوم القيمة - لا ينسجم مع تردديه في النصرة، فكيف  
بعزمهم على الرجوع وترك الانتصار؟!! والنتيجة: أنّ الحسين عليه السلام أراد أن يلقي  
الحجّة، ولكي لا يبقى أيّ مستمسك لأحد لأنّ يتفوّه بكلمة غير مدرستة في  
 أصحاب الإمام الحسين عليه السلام؛ فيقول: إنّهم شاركوا جبراً، أو حياءً، وعالجووا الموت  
بأساليفهم، وأمثال هذا الكلام الفارغ الذي كان يشيعه علماء الأمويين بالأمس،  
وأنذراهم في هذا اليوم.

كيف يكونون متربّدين في نصرة الحسين وقد فدّاهم الإمام الصادق عليه السلام بنفسه،  
وابيه، حين وقف أمام ضريحهم المقدّس، وقال: «بأبي أنتم، ونفسي»؟! نسأل الله عزّوجلّ  
أن ينور قلوبنا بنور معرفته، والاهتداء بهداهم، واتباع سبيّلهم، والحضر معهم،  
والنيل من شفاعتهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



- (١) البحار، ج ٤٤، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.
- (٢) البحار، ج ٤٤، ص ٣٨٢ / الطبرى، باختلاف يسير، ج ٤، ص ٣٠٢.
- (٣) تذكرة المخواص، الطبعة الجديدة، ج ١، ص ٢١٦.
- (٤) الطبرى، ج ٤، ص ٢٦٦.
- (٥) صلح الحسن عَلَيْهِ، ص ٢٨٥.
- (٦) الطبرى، ج ٤، ص ٣١٣.
- (٧) تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٢٨٣.
- (٨) تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٢٠٧.
- (٩) العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٦٠.
- (١٠) تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٢٨٤.
- (١١) تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٢٤٧.
- (١٢) تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٢٦٣.
- (١٣) الآثار الباقية، ص ٢٩٢.
- (١٤) البقرة: ٧٤.
- (١٥) آل عمران: ١٩.
- (١٦) آل عمران: ٨٥.
- (١٧) رواه البخارى ج ٣، ص ٣٦٨، بلفظ: «أنت مني، وأنا منك».

(١٨) ورد في الكافي، ج ٢، ص ٢٢٦، عن الإمام الصادق ع عليهما السلام بلفظ: «نفس المهموم لنا - المغتم لظمينا - تسبّحُ، وهُمْ لأمرنا عبادهُ، وكتمانه لسرّنا جهادُ في سبيل الله»، وفي غير الكافي بألفاظ أخرى.

.٤٦ سبأ: (١٩)

.١٠-١١ (الصف: (٢٠)

.١٤٠ ص في صفين (٢١) وقعة

# إحياء عاشوراء

غازي عبد الحسن إبراهيم

## المقدمة:

كُلّ عاشوراء موسمٌ يتجدد، فيتجدد معه الحزن والأسى على مصاب أبي عبد الله الحسين عليهما السلام. هكذا كانت سيرة أهل البيت عليهما السلام في يوم عاشوراء، فقد أورد الصدوق في أماليه عن الإمام الرضا عليهما السلام أنه قال: «إنَّ المحرّم شهرٌ كانَ أهلَ الجاهلية يحرّمون فيه القتال، فاستحلّتْ فيه دماءُنا، وهتكَتْ فيه حرمتنا، وسبُي فيه ذرارينا، ونساؤنا، وأضرمت النيران في مصارينا، وانتهَب ما فيها من ثقلنا، ولم تُرِع لرسول الله عليهما السلام حرمةً في أمرنا، إنَّ يومَ الحسين أقرَح جفوننا، وأسْبَل دموعنا، وأذلَّ عزيزنا، بأرضِ كربٍ وبلاءٍ، وأورثنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإنَّ البكاء يحطُ الذنوب العظام». - ثم قال عليهما السلام: - كان أبي عليهما السلام إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، حتى يضي منه عشرة أيامٍ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبيته، وحزنه، وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليهما السلام»<sup>(١)</sup>.

وروى الشيخ الطوسي في المصباح، عن عبد الله بن سنان، قال: «دخلتُ على سيدي أبي عبد الله، جعفر بن محمد عليهما السلام في يوم عاشوراء، فألفيته كاسف اللون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلتُ: يا ابن رسول الله، ممْ بكأوك، لا أبكي الله عينيك؟! فقال لي: أَوَّلَيْ غَفْلَة أَنْتَ؟! أما علمتَ أنَّ الحسين بن علي عليهما السلام أُصيِّب في مثل هذا اليوم؟!»<sup>(٢)</sup>.

عاشوراء.. وما أدرك ما عاشوراء؟! يوم بكت فيه الأرض والسماء، والملائكة والأنبياء، والجنّ والأنس، وبكي فيه رسول الله ﷺ، فقد جاء في مستدرك الحاكم النيسابوري حديثٌ – عَبَرَ عنْهُ الصَّحِيفَةُ عَلَى شَرْطِ الشِّيخِيْنَ – عنْ أُمَّ الْفَضْلِ بنتِ الْحَارثَ، أَتَهَا دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ حَلْمًا مُنْكَرًا لِلليلةِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟! قَالَتْ: إِنَّهُ شَدِيدٌ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟! قَالَتْ: رَأَيْتُ كَانَ قَطْعَةً مِنْ جَسْدِكَ قُطِعَتْ، وَوُضِعَتْ فِي حَجْرِيِّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: رَأَيْتُ خَيْرًا، تَلَدَّ فَاطِمَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَلَامًا، فَيَكُونُ فِي حَجْرِكَ. فَوَلَدَتْ فَاطِمَةُ الْحَسِينَ، فَكَانَ فِي حَجْرِيِّ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، فَدَخَلَتْ يَوْمًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَوُضِعَتْ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ حَانَتْ مِنِّي التَّفَاتَةُ، فَإِذَا عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْرِيقَانَ مِنَ الدَّمْوعِ! قَالَتْ: فَقَلَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَأْيِّ أَنْتَ وَأَمِيُّ، مَا لَكَ؟! قَالَ: أَتَانِي جَبْرِيلٌ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمِّيَ سَتُقْتَلُ ابْنِي هَذَا. فَقَلَتْ: هَذَا؟! فَقَالَ: نَعَمْ، وَأَتَانِي بِتَرْبَةٍ مِنْ تَرْبَتِهِ حَمَراءً»<sup>(٣)</sup>.

ذلك هو صانع عاشوراء الحسين علیه السلام، فلذة كبد رسول الله علیه السلام، وقرة عينه، الذي روی بدمه الأقدس شجرة التوحيد، فثبتت أصلها، وأينعت ثمارها، فآتت أكلها في كل عصر ومصر بإذن ربها.

### عاشوراء والآخر:

تنوعت النظرة للممارسات العاشورائية من قبل الآخر - الدين أو المذهب - بين باحث عن حقيقة مذهب أهل البيت علیهم السلام انطلاقاً من هذه المفردات الموسيّة؛ ليصل إلى أصول المذهب - وفروعه - عن طريق البحث العلمي المجاد، بعيداً عن العصبية الدينية أو المذهبية، وبين منير للفتنة عن طريق شن حملات التشكيك المسعورة، التي تستهدف المذهب - والمنتسبين إليه - في جل الأبعاد.

نحن نعتقد بأنّ ثورة الحسين علیه السلام ثورة شمولية، لا تختص بال المسلمين الشيعة، بل هي لكل إنسان فوق هذا الكوكب، مسلماً كان أو غير مسلم، فهي ثورة تعلم منها

زعيم الهند غاندي، حيث قال: (تعلّمتُ من الحسين كيف أكون مظلوماً فأننصر)، وهي ثورةٌ قال عنها الكاتب المسيحيّ أنطون بارا: (الحسين ثار من أجل الحقّ، والحقّ لكل الشعوب، والحسين ثار من أجل مرضاه الله، وما دام الله خالق الجميع، فكذلك ثورة الحسين لا تختص بأحد معينٍ، بل هي لكلّ خلق الله)<sup>(٤)</sup>، وقدياً قال ذلك القسّ المسيحيّ: (لو كان الحسين لنا لرفعنا له في كلّ بلد بيرقاً، ولنصبنا له في كلّ قرية منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين)<sup>(٥)</sup>.

فحربيٌّ بنا - كمسلمين من كافة المذاهب الإسلامية - أن نعيش الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ فكرًاً، وعاطفةً، وسلوكًا، نعيشه في قيمه، ومبادئه، التي هي - في واقعها - قيم ومبادئ السماء، التي صدح بها جده رسول الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وذاد عنها أبوه أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ، والسلف الصالح من صحابة رسول الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونرتقي بواقع المسلمين بما فيه رضا الله جَلَّ جَلَّ.

فمن شكّ في مقام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ، ونهضته، وقيمته، ففي قيم السماء شكّ، ومن آذى رسول الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته، فقد آذى الله جَلَّ جَلَّ، فقد ورد عن رسول الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله، ومن أعن على آذاهم، وركن إلى أعدائهم، فقد أذن بحربٍ من الله ورسوله، ولا نصيب له في شفاعتي»<sup>(٦)</sup>.

### عاشوراء الإسلام:

إن إحياء عاشوراء الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ هو إحياءً للإسلام في منطقاته، وأبعاده، وأهدافه، وآلياته، فكما أنّ الإسلام محمديّ الوجود، فهو حسنيّ البقاء، والاستمرار، وقد قال الرسول عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «حسينٌ مني، وأنا من حسينٍ»<sup>(٧)</sup>، فالحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ لم يخرج أشرًا، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرج لطلب الإصلاح في أمّة جده رسول الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أمراً بالمعروف، ونهاياً عن المنكر<sup>(٨)</sup>.

إن عاشوراء - في حقيقته - هو اليوم العالمي لفرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويوم رفض الظلم والظالمين، ويوم الشهادة، ويوم التضحية، والفاء، والإيثار، ويوم الحرية، ويوم الصلاة، والدعاء، ويوم العبودية المطلقة لله جل جلاله.

فهذه المفردات - وغيرها - تتلاقى في يوم عاشوراء، وهي مفردات مقدسة تُتبع من عمق الدين الإسلامي الحنيف، ومن هنا تأتي لا بدّية التعبير عن هذه المفردات، بأساليب وأدواتٍ تنسجم مع محتواها المقدس الذي لا ينفك عن قدسيّة الإسلام.

### الممارسات العاشرائية:

إن إحياء عاشوراء، والتفاعل مع نهضة الحسين عليهما السلام له مستويات متعددة، فبعضها يرتبط بالبعد العقائدي الفكري الثقافي، والبعض الآخر يرتبط بالبعد الروحي العاطفي المعنوّي، فتنوع الإحياء والتفاعل يعتبر ظاهرة حضاريةً وصحيةً، يحتملها تنوع العطاءات في واقعة كربلاء، وكلّما توفر إحياء عاشوراء على البعدين الفكري والعاطفي، كان الإحياء أقرب للرسالية.

وهناك جملة من مظاهر الإحياء العاشرائي التي ساهمت - وبشكل كبير - في إبقاء ثورة الإمام الحسين عليهما السلام متجلدة في وجدان الشعوب، بكل شرائحها، على مر العصور والأزمان، وهي تعتبر من المستحبات العينية، والواجبات الكفائية، ومن هذه المظاهر:

### أولاً: البكاء:

#### حقيقة البكاء:

البكاء فعل من أفعال النفس الجوانحية، وهو تعبير عن تأثير وانكسار في البعد العملي؛ نتيجة لإدراك معين، قد يكون ملائماً، وقد لا يكون كذلك، فتدمع العين

لحزنٍ، أو لفرحٍ، أو لشوقٍ، وإنما يكتسب البكاء بعده الإيجابيٌّ إذا صدر عن إدراكٍ صادقٍ، وكان المعنى المدرك كمالاً، وكانت الغاية من البكاء موجّهةً، وهادفةً، فبكاء العبد العاشق لعبوده حَمْلَة - شوقاً - يؤجّج حالة الحب في وجдан العبد العاشق، فتتوالد حينها الطاعة لله حَمْلَة.

وكذا بكاء المفجوع حزناً على مصاب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو بكاء يجعل من قضية الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قضية متأجّجةً في وجدان الباكى، وماثلةً في واقعه، بكلٍّ ما تحمل من قيمٍ ومبادئ، وذلك يختلف شدّةً وضاعفاً باختلاف مستوى الوعي والإدراك في شخص الباكى.

#### البكاء في الآيات:

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم، نرى بأنّه تناول مسألة البكاء في مقام المدح كحالةٍ فطريةٍ تساهم في الارتفاع بالنفس نحو الكمال، وذلك في عدّة من الآيات المباركة:

(١) منها قوله تعالى: ﴿لَتَجَدَنَ أَشَدَ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجَدَنَ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْمُنَصَّارَى ذَلِكَ بَأْنَ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرَهْبَانًا وَأَتَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ \* وَمَا لَنَا لَا تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطَمْعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٩)</sup>.

فهذه الآيات المباركة تطرح مقارنةً كانت بين اليهود والنصارى المعاصرين لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتشير إلى شدّة عداوة اليهود للمسلمين، وقرب النصارى في المودة المسلمين في زمن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصفهم - في مقام المدح - بأنّ أعينهم تفيض من الدموع.

٢) منها قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتُوكَ لِتَحْمِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَكُّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>.

وهذه الآية المباركة نزلت في قوم من الفقراء، أتوا إلى الرسول ﷺ بشوقٍ وطلبوا منه بإصرارٍ أن يعطيهم مطايياً توصلهم إلى ميدان الجهاد، فقال لهم الرسول ﷺ: ليس عندي مطايياً. فخرجوا من عنده وأعينهم تفيف من الدموع؛ حزنًا من عدم وجود ما ينفقون على خروجهم للجهاد.

٣) منها قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ \* قَالُوا تَالَّهِ تَفْنَتْ تَذَكُّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١١)</sup>.

وهذه الآيات المباركة نزلت في نبي الله يعقوب عليه السلام بعد أن أعرض عن أولاده حينما زينت لهم أنفسهم ما فعلوه بنبي الله يوسف عليه السلام، فقال: يا أسفى على يوسف. وذهب بصره من شدة الحزن.

فحالة البكاء في بعدها الإيجابي - والتي منها البكاء على ما ألم بالحسين عليه السلام في يوم عاشوراء من مصاب - تنسجم مع المحتوى القرآني في جملة من آياته المباركة.

### البكاء في الروايات:

وإذا رجعنا إلى الروايات الواردة في البكاء على مصاب الإمام الحسين عليه السلام، نرى بأنها بلغت من الكثرة عikan يمكن القول معه بالتواتر، أو لا أقل بالاستفاضة، وهي في الوقت ذاته تشتمل على روايات صحيحة ومعتبرة سندًا، وتمامًا من حيث الدلالة، وهي روايات موجودة في مصادر الفريقين، على الرغم من وجود بعض الأخبار الضعيفة سندًا، إلا أنها تصلح للتأييد.

## ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهما السلام :

١) منها: ما أورده ابن قولويه في كامل الزيارات، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: «كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: أئمّا مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما السلام دمعة حتى تسيل على خده، بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأئمّا مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فيما لأذى مسنا من عدوينا في الدنيا، بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأئمّا مؤمن مسه أذى فينا، فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أودي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيمة من سخطه، والنار»<sup>(١٢)</sup>.

٢) منها: ما أورده ابن قولويه أيضاً، عن زرار، قال: قال أبو عبد الله عليهما السلام: «يا زرار، إن السماء بكثرة على الحسين عليهما السلام أربعين صباحاً بالدم، وإن الأرض بكثرة أربعين صباحاً بالسود، وإن الشمس بكثرة أربعين صباحاً بالكسوف والحرمة، وإن الجبال تقطعت وانتشرت، وإن البحار تفجرت، وإن الملائكة بكثرة أربعين صباحاً على الحسين عليهما السلام، وما اختضبت من امرأة ولا ادھنت، ولا اكتحلت، ولا رجلت حتى أتنا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدي عليهما السلام إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه - رحمة له - من رأه، وإن الملائكة الذين عند قبره ليكون، فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء من الملائكة»<sup>(١٣)</sup>.

٣) منها: ما أخرجه الشيخ الصدوق، عن الریان بن شبیب، قال: دخلت على الرضا عليهما السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: ... ثم قال عليهما السلام: يا ابن شبیب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال؛ لحرمتهم، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبیها عليهما السلام، لقد قتلوا في هذا الشهر ذریته، وسبوا نساءه، وانتهبو ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يا ابن شبيب، إن كنتَ باكيًّا لشيءٍ، فابك للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فإنه ذُبح كما يُذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثانية عشر رجلاً، ما هم في الأرض شبيهه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قُتل، فهم عند قبره، شعثُ غبرُ إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين.

يا ابن شبيب، لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده عليهما السلام: أنه لما قُتل جدي الحسين عليهما السلام، مطرت السماء دمًا وتراباً أحمر. يا ابن شبيب، إن بكيرت على الحسين عليهما السلام حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنبٍ أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً<sup>(١٤)</sup>.

٤) ومنها: ما ذكره ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، مما ورد في حزن وبكاء الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام على أبيه الحسين عليهما السلام، من أنه بكى عليه عشرين سنةً، وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى، حتى قال مولى له: جعلت فداك، يا بن رسول الله، إني أخاف أن تكون من الهالكين. قال: ﴿إِنَّا أَشْكُو بَشِّي وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، إني لم أذكر مصرعبني فاطمة إلا خنتني العبرة. وفي رواية: أما آن لحزنك أن ينقضي؟! فقال له عليهما السلام: ويحك، إنْ يعقوب النبيّ كان له اثنا عشر ابناً، فغيّب الله واحداً منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحد ودب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حيّاً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي، وأخي، وعمّي، وبسبعين عشر من أهل بيتي، مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟!<sup>(١٥)</sup>.

ويكفي لإثبات شرعية البكاء على مصاب الإمام الحسين عليهما السلام - بل رجحانه، واستحبابه - ممارسة أئمّة الهدى عليهما السلام لهم، ومداومتهم عليه، وهم عدل القرآن، والثقل الأصغر، المأمورين بالتمسّك به.

## ما ورد من طريق مدرسة أهل السنة والجماعة:

١) منها: ما رواه الترمذى في سننه، عن رزين أَنَّه قال: حَدَّثَنِي سَلْمَى، فَقَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلْمَةَ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَلَتْ: مَا يَبْكِيكِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ - أَيْ فِي النَّاسِ - وَعَلَى رَأْسِهِ وَلَحْيَتِهِ التَّرَابَ، فَقَلَتْ: مَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: شَهَدْتُ قَتْلَ الْحَسِينَ آنَفًا<sup>(١)</sup>.

ورواها الحاكم النيسابوري في مستدركه أيضاً، ولكن بطريق آخر<sup>(١٧)</sup>.

٢) منها: ما رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن أُمِّ سَلْمَةَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: لَا يَدْخُلُ عَلَيَّ أَحَدٌ، فَانتَظَرْتُ فَدَخَلَ الْحَسِينُ عَنْهُ، فَسَمِعْتُ نَشِيجَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ يَبْكِي، فَاطَّلَعْتُ إِذَا حَسِينًا فِي حَجْرِهِ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْحِحُ جَبِينَهُ، وَهُوَ يَبْكِي، فَقَلَتْ: وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ حِينَ دَخَلَ، فَقَالَ: إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَعْنًا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: تَحْبَبْهُ؟! قَلَتْ: أَمَا مِنَ الدُّنْيَا فَنَعَمْ. قَالَ: إِنَّ أَمْتَكَ سَتُقْتَلُ هَذَا بِأَرْضٍ يُقَالُ هَا كَرْبَلَاءُ. فَتَنَاوَلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ مِنْ تَرْبِتِهِ، فَأَرَاهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا أَحْبَطَ بِحَسِينٍ حِينَ قُتْلَ، قَالَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الْأَرْضِ؟! قَالُوا: كَرْبَلَاءُ. قَالَ: صَدِيقُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ، أَرْضُ كَرْبَلَاءِ<sup>(١٨)</sup>.

قال الميشعري في مجمع الزوائد حينما أورد هذا الحديث: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها ثقات<sup>(١٩)</sup>.

٣) منها: ما رواه الطبراني في المعجم الكبير أيضاً، عن عائشة عَنْهُ، قَالَتْ: دَخَلَ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَهُوَ يَوْحِي إِلَيْهِ، فَنَزَّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَهُوَ مَنْكُبٌ، وَلَعِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَقَالَ جَبْرِيلُ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ: أَتَحْبَبْهُ يَا مُحَمَّدُ؟! قَالَ: يَا جَبْرِيلَ، وَمَا لِي لَا أَحْبَبْ أَبْنِي؟! قَالَ: فَإِنَّ أَمْتَكَ سَتُقْتَلُهُ مِنْ بَعْدِكَ. فَمَدَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَهُ، فَأَتَاهُ بِتَرْبَةٍ بَيْضَاءَ، فَقَالَ: فِي هَذِهِ الْأَرْضِ يُقْتَلُ أَبْنَاكَ هَذَا يَا مُحَمَّدُ،

واسمها الطف. فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله عليه السلام، خرج رسول الله عليه السلام والتربة في يده يبكي، فقال: يا عائشة، إنّ جبريل عليه السلام أخبرني أنّ الحسين مشهور مقتول في أرض الطف، وأنّ أمّي ستفتتن بعدي. ثمّ خرج إلى أصحابه - فيهم عليٌّ وأبو بكر، وعمر، وحذيفة، وعمّار، وأبو ذرٍ رضي الله عنه - وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل أنّ ابني الحسين يُقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة، وأخبرني أنّ فيها مضجعه.

٤) ومنها: ما رواه المحافظ أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة، عن أصبغ بن نباتة، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: أتينا معه موضع قبر الحسين رضي الله عنه، فقال: هنا مناخ ركابهم، وموضع رحالمهم، وهنأنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد عليهما السلام، يقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض <sup>(٢٠)</sup>.

٥) ومنها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن ابن عباس وهو يخاطب الحسين عليه السلام: والله إني لأظنك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك، كما قتل عثمان بين نسائه وبناته، والله إني أخاف أن تكون الذي يُقاد به عثمان، فإنّا لله، وإنّا إليه راجعون. فقال الحسين لابن عباس: إنّك شيخ قد كبرت، فقال ابن عباس: لو لا أن يزري ذلك بي أو بك، لنثبت يدي في رأسك، ولو أعلم أنا إذا تناصينا أقمت لفعلت، ولكن لا أخال ذلك نافعي. فقال له الحسين: لئن أُقتل عكان كذا وكذا، أحب إلى أن تستحل بي - يعني مكة -. قال: فبكى ابن عباس <sup>(٢١)</sup>.

٦) ومنها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق أيضاً، عن يحيى بن إسماعيل بن سالم الأستدي، قال: سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان جاءه له، فبلغه أنّ الحسين بن عليٍّ قد توجّه إلى العراق، فلحقه على مسيرة ثلاثة ليالٍ، فقال له: أين ت يريد؟ فقال: العراق. وإذا معه طوامير كتب، فقال: هذه كتبهم وبيعهم. فقال: لا تأتينهم. فأبى، قال: إني محدثك حديثاً: إنّ جبريل أتى النبي عليه السلام فخيره بين الدنيا

والآخرة، فاختار الآخرة، ولم يرد الدنيا، وإنكم بضعةٌ من رسول الله ﷺ، والله لا يليها أحدٌ منكم، وما صرفها الله عنكم إلا للذِّي هو خيرُ لكم. فأبى أن يرجع، قال: واعتنقه ابن عمرٍ، وبكى، وقال: أستودعك الله من قتيلٍ<sup>(٢٢)</sup>.

### ثانياً: الجزع:

وهو عبارةٌ عن إظهار الحزن، والتعبير عنه بعشل اللطم، وإقامة المآتم، والنوح، والبكاء بصوتٍ عالٍ ومرتفع، وهو مرجوحٌ فيما لو كانت المصيبة شخصيةً، وأما الجزع على مصاب الإمام الحسين عٰلَيْهِ الْمَسْكُونَ فهو أمرٌ راجحٌ شرعاً، ومستحبٌ، وذلك استناداً إلى الروايات التي فاقت حد التواتر، والتي صرحت برجحان الجزع على مصاب الحسين عٰلَيْهِ الْمَسْكُونَ، وهي موجودةٌ في كتب الفريقيين.

### ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عٰلَيْهِ الْمَسْكُونَ :

١) منها: ما أورده الكليني في الكافي، عن عن سفيان بن مصعب العبدبي، قال: دخلتُ على أبي عبد الله عٰلَيْهِ الْمَسْكُونَ، فقال: قولوا لأم فروة تجبيء فتسمع ما صنع بجدها، قال: فجاءت، فقعدت خلف الستر، ثم قال: أنسدنا. قال: فقلت: «فرو جودي بدموعك المسکوب». قال: فصاحت، وصحن النساء، فقال أبو عبد الله عٰلَيْهِ الْمَسْكُونَ: الباب، الباب، فاجتمع أهل المدينة على الباب، قال: فبعث إليهم أبو عبد الله عٰلَيْهِ الْمَسْكُونَ صبيٌ لنا غُشى عليه، فصحن النساء<sup>(٢٣)</sup>.

٢) منها: ما في الكافي، عن مصقلة الطحان، قال: سمعتُ أبا عبد الله عٰلَيْهِ الْمَسْكُونَ يقول: لما قُتل الحسين عٰلَيْهِ الْمَسْكُونَ أقامت امرأته الكلبية عليه مائتاً، وبكت، وبكين النساء والخدم حتى جفت دموعهن وذهبَتْ، فبينا هي كذلك إذا رأت جارية من جوارها تبكي، ودموعها تسيل، فدعتها، فقالت لها: ما لك أنت من بيننا تسيل دموعك؟ قالت: إني

لما أصابني الجهد شربت شربة سويق. قال: فأمرت بالطعام والأسوقة، فأكلت، وشربت، وأطعمت، وسقت، وقالت: إنما نريد بذلك أن ننتقّى على البكاء على الحسين عليهما السلام <sup>(٢٤)</sup>.

وهذه الروايات - أي روایات الجزع - إضافةً لتوادرها، فهي معتضدةً بالسيرة المشرعية المتصلة بزمن المعصوم عليهما السلام.

٣) ومنها: ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أبي عبد الله الجاموري، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: سمعته يقول: إن البكاء والجزع مكره للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام، فإنه فيه مأجور <sup>(٢٥)</sup>.

٤) ومنها: ما ورد في كامل الزيارات، عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري، قال: قال لي أبو عبد الله عليهما السلام: يا مسمع، أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليهما السلام؟ قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وعدونا كثير من أهل القبائل من النصارى وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثّلون بي. قال لي عليهما السلام: أما تذكر ما صنع به - يعني الحسين عليهما السلام؟! قلت: نعم. قال: فتجزع؟! قلت: إيه والله، وأستعتبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي، فامتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي. قال عليهما السلام: رحم الله دمتك، أما إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزتنا، ويحافظون لخوفنا، ويؤمنون إذا آمنا، أما إنك سترى عند موتك حضور أبيي لك، ووصيthem ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشرة أفضل، وملك الموت أرق عليك، وأشد رحمة لك من الأم الشفيفة على ولدها. قال: ثم استعتبر، واستعتبرت معه، فقال عليهما السلام: الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة،

وخصّنا أهل البيت بالرجمة، يا مسمع، إنّ الأرض والسماء لتبكي منذ قُتل أمير المؤمنين عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ لَنَا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر، وما رقأت دموع الملائكة منذ قُتلنا، وما بكى أحد رحمةً لنا، ولما لقينا، إِلَّا رحمة الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه <sup>(٢٦)</sup>.

٥) ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق في ثواب الأعمال، عن بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ قال: تجلسون وتتحدون؟! قال: قلت: جعلت فداك، نعم. قال عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ: إنّ تلك المجالس أحبابها، فأحيوا أمرنا، إِنَّهُ من ذَكَرَنَا، وذُكِرْنَا عنده، فخرج من عينه مثل جناح الذبابة، غفر الله ذنبه، ولو كانت أكثر من زيد البحر <sup>(٢٧)</sup>.

٦) ومنها: ما ذكره الشيخ الصدوق في الخصال، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ قال: البَكَاؤُونَ خَمْسَةُ: آدم، ويعقوب، وي يوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلى بن الحسين عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ، فأمّا آدم فبكى على الجنة حتّى صار في خديه أمثال الأودية، وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره، وحتّى قيل له: ﴿تَاللَّهُ تَعَظُّمُ تَذَكُّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمَالِكِينَ﴾، وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذى به أهل السجن، فقالوا له: إِمَّا أَنْ تبكي الليل، وتسكت بالنهار، وإِمَّا أن تبكي النهار، وتسكت بالليل، فصالحهم على واحدٍ منهم، أمّا فاطمة فبكت على رسول الله عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ حتّى تأذى بها أهل المدينة - بمعنى أنّهم أشفقوا عليها لكثرتها بكائها -، فقالوا لها: قد آذينا بكثرة بكائك. فكانت تخرج إلى المقابر - مقابر الشهداء -، فتبكي حتّى تقضي حاجتها، ثم تنصرف، وأمّا عليّ بن الحسين فبكى على الحسين عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ عشرين سنةً، أو أربعين سنةً، ما وضع بين يديه طعام إِلَّا بكى، حتّى قال له مولى له: جعلت فداك، يا ابن رسول الله، إِنِّي أخاف عليك أن تكون من المالكين، قال: ﴿إِنَّا أَشْكُوْ بَشَّيْ وَحْزُنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، إِنِّي ما أذكر مصروع بني فاطمة إِلَّا خنقتنـي لذلك عبرة <sup>(٢٨)</sup>.

٧) منها: ما رواه الشيخ الطوسي في المصبح، عن علامة، عن أبي جعفر ع عليهما السلام - في حديث زيارة الحسين ع عليهما السلام يوم عاشوراء - قال ع عليهما السلام: ثم ليندب الحسين ع عليهما السلام، ويبكيه، ويأمر من في داره - ممن لا يتقيه - بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه، وليعز بعضهم بعضاً بصابهم بالحسين ع عليهما السلام، وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك. قلت: جعلت فداك، أنت الضامن ذلك لهم والزعيم؟! قال ع عليهما السلام: أنا الضامن، وأنا الزعيم لمن فعل ذلك. قلت: فكيف يعزى بعضاً؟ قال ع عليهما السلام: تقولون: أعظم الله أجورنا بصابنا بالحسين، وجعلنا وإياكم - من الطالبين بشاره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد ع عليهما السلام. وإن استطعت أن لا تنشر يومك في حاجة فافعل، فإنه يوم نحس، لا تُقضى فيه حاجة مؤمن، فإن قضيت لم يبارك، ولم ير فيها رشدًا، ولا يدخلن أحدكم منزله فيه شيئاً، فمن ادخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادخره، ولم يبارك له في أهله<sup>(٢٩)</sup>.

٨) منها: ما في السرائر للحليي، نقلأً من كتاب «العيون والمحاسن» للمفید، عن خيثمة، عن أبي عبد الله ع عليهما السلام قال: أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله، والعمل الصالح، وأن يعود صحيحهم مريضهم، وليعد غنيهم على فقيرهم، وأن يشهد حيئم جنازة ميّتهم، وأن يتلاقوها في بيوتهم، وأن يتفاوضوا علم الدين، فإن ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحى أمرنا، وأعلمهم يا خيثمة أنا لا نغنى عنهم من الله شيئاً إلا بالعمل الصالح، فإن ولايتنا لا ثنا لا بالورع، وإن أشد الناس عذاباً يوم القيمة من وصفَ عدلاً ثم خالفه إلى غيره<sup>(٣٠)</sup>.

ما ورد من طريق مدرسة أهل السنة والجماعة:

١) منها: ما أورده الطبراني في تاريخه، قال: أقبل الحسين بن علي بأهله من مكة، ومحمد بن الحنفية بالمدينة، قال: فبلغه خبره وهو يتوضأ في طست، قال: فبكى حتى سمعت وكف دموعه في الطست<sup>(٣١)</sup>.

٢) ومنها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، عن شهر بن حوشب، قال: أنا لعند أم سلمة زوج النبي ﷺ، قال: فسمينا صارخةً، فأقبلت حتى انتهيت إلى أم سلمة، فقالت: قُتل الحسين. قالت: قد فعلوها ملأ الله بيوتهم - أو قبورهم - عليهم ناراً. ووقيعت مغشياً عليها، وقمنا<sup>(٣٢)</sup>.

٣) ومنها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق أيضاً، عن زبيد الإيامي، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، أنها قالت لجارية: أخرجي فخربيني. قال: فرجعت الجارية، فقالت: قُتل الحسين. فشهقت شهقةً غُشى عليها، ثم أفاقت، فاسترجمت، ثم قالت: قتلواه قتلهم الله، قتلواه أذلهم الله، قتلواه أخراهم الله، ثم أنسأت تحدث، قالت: رأيت رسول الله ﷺ على السرير - أو على هذا الدكان -، فقال: ادعوا إلى أهلي، وأهل بيتي، ادعوا إلى الحسن، والحسين، وعليّاً، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، أو لست من أهل بيتك؟! قال: وأنت في خير، وإلى خير. فقال: اللهم هؤلاء أهلي، وأهل بيتي، أذهب عنهم الرجس أهل البيت، وطهّرهم تطهيراً<sup>(٣٣)</sup>.

٤) ومنها: ما أورده البلاذري في أنساب الأشراف، قال: ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين، كثرت النواح والصوارخ عليه، واشتدت الوعاية في دور بني هاشم، فقال عمرو بن سعيد الأشدق: واعية بواعية عثمان، وقال مروان حين سمع ذلك:

عجبت نساء بني زبيدة عجّة كعجيج نسوتنا غدة الأرنب<sup>(٣٤)</sup>

٥) ومنها: ما أورده أحمد بن محمد الخوافي الشافعي في التبر المذاب، قال الزهري: لم بلغ الحسن البصري الكوفة قتل الحسين، بكى حتى اختلع صدغاه، ثم قال: وأذلّ أمة قتل ابنَ بنتِ نبيها دعّيها، والله ليردّ رأس الحسين إلى جسده، ثم لينتقمن له جدّه، وأبّوه من ابن مرجانة، ويزيد<sup>(٣٥)</sup>.

٦) ومنها: ما رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن أم سلمة، قالت: سمعت الجن تنوح على الحسين<sup>(٣٦)</sup>.

وقال الهيثمي معقبًا على هذا الخبر بعد أن أورده في مجمع الزوائد: رواه الطبراني،  
ورجاله رجال الصحيح<sup>(٣٧)</sup>.

### ثالثاً: إنشاد الشعر:

لا يخفى ما للشعر والشعراء من دورٍ كبيرٍ في تخليد الواقع، وتوجيه الرأي العام  
للتفاعل الوجداني مع الحدث بكل تفاصيله، من خلال القوالب الشعرية الزاهية  
بالأدب العربي الراقي، فلذا نرى بأنّ أهل البيت عليهما السلام كانوا يرغبون الشعراء إذا  
دخلوا عليهم في إنشاد الشعر على مصاب الحسين عليهما السلام، وأن يرثوه بما عندهم من  
أبيات، حرصاً منهم عليهما السلام لتخليد نهضة الحسين عليهما السلام، بكل ما تحمل هذه النهضة من  
قيم إنسانية، ومبادئ سامية.

وقد رواه الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا عليهما السلام، في الصحيح عن عبد الله بن  
الفضل الهاشمي، قال: «قال أبو عبد الله عليهما السلام: من قال فينا بيت شعر، بنى الله له بيته  
في الجنة»<sup>(٣٨)</sup>.

### ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهما السلام:

١) منها: ما رواه محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي في كتاب: (الرجال)، عن  
نصر بن الصباح، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن يحيى بن عمران، عن محمد بن  
سنان، عن زيد الشحام -في حديث-: «إنّ أبا عبد الله عليهما السلام قال لجعفر بن عفان  
الطائي: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليهما السلام، وتحبّد؟! قال: نعم. فأنسده، فبكى  
ومن حوله حتى سالت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال عليهما السلام: يا جعفر، والله لقد  
شهدك ملائكة الله المقربون هنا، يسمعون قولك في الحسين عليهما السلام، ولقد بكوا كما  
بكينا، وأكثر، ولقد أوجب الله لك يا جعفر في ساعتك الجنة بأسرها، وغفر لك،

فقال عليه السلام: ألا أزيدك؟! قال: نعم، يا سيدي. قال عليه السلام: ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكي به، إلا أوجب الله له الجنة، وغفر له <sup>(٣٩)</sup>.

٢) منها: ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، قال: حدثنا أبو العباس القرشي، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون، أنسدني في الحسين عليه السلام. قال: فأنسدته. فبكى، فقال عليه السلام: أنسدني كما تنسدون - يعني بالرقة -. قال: فأنسدته:

قال: فبكى. ثم قال عليه السلام: زدني. قال: فأنشدته القصيدة الأخرى. قال: فبكى.  
وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت قال لي عليه السلام: يا أبا هارون، من  
أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى، وأبكى عشرًا كتب له الجنة، ومن أنشد في  
الحسين شعراً فبكى، وأبكى خمسة كتب له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً  
فبكى، وأبكى واحداً كتب لهما الجنة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده، فخرج من  
عينه من الدموع مقدار جناح ذبابٍ، كان ثوابه على الله، ولم يرض له بدون  
الجنة (٤٠).

٣) ومنها: ما ذكره العلامة المجلسي في بحار الأنوار، حيث قال: رأيت في بعض مؤلفات المتأخرین أنه قال: حکی دعقل المخزاعی، قال: دخلتُ علی سیدی ومولای علی بن موسی الرضا علیه السلام في مثل هذه الأيام، فرأیته جالساً جلسة الحزین الكثیب، وأصحابه من حوله، فلما رأی مقبلاً قال لي: مرحباً بك يا دعقل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه، ثم إله وسّع لي في مجلسه، وأجلسني إلى جانبه، ثم قال لي علیه السلام: يا دعقل، أحب أن تنشدني شعراً، فإن هذه الأيام حزن كانت علينا

أهل البيت، وأيّام سرورٍ كانتُ على أعدائنا، خصوصاً بني أميّة، يا دعبدل، من بكى وأبكى على مصابنا - ولو واحداً - كان أجره على الله، يا دعبدل، من ذرفتْ عيناه على مصابنا، وبكى لما أصابنا من أعدائنا، حشره الله معنا في زمرتنا، يا دعبدل، من بكى على مصاب جدي الحسين، غفر الله له ذنبه البّة. ثم إله عَلَيْهِ الْحَمْدُ، وضرب ستراً بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستّر؛ ليبكوا على مصاب جدّهم الحسين عَلَيْهِ الْحَمْدُ، ثم التفت إلىّ، وقال لي عَلَيْهِ الْحَمْدُ: يا دعبدل، إرث الحسين، فأنت ناصرنا، ومادحنا ما دمت حياً، فلا تقصّ عن نصرنا ما استطعتَ. قال دعبدل: فاستعيرتُ، وسألتْ عربتي، وأنشأْتُ أقول:

أفاطم لو خلت الحسين بجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات  
إذا للطمت المخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات<sup>(٤١)</sup>

رثاء ابن الجوزي ل الإمام الحسين عَلَيْهِ الْحَمْدُ في يوم عاشوراء:

قال ابن كثير في ترجمته لابن الجوزي: وقد سُئل - أي ابن الجوزي - في يوم عاشوراء، زمن الملك الناصر صاحب حلب، أن يذكر للناس شيئاً من مقتل الحسين، فصعد المنبر، وجلس طويلاً لا يتكلّم، ثم وضع المنديل على وجهه، وبكى شديداً، ثم أنساً يقول وهو يبكي:

ويل من شفعاؤه خصماً وتصور في نشر الخلاق ينفح  
لا بد أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ  
ثم نزل عن المنبر، وهو يبكي<sup>(٤٢)</sup>.

رثاء الجن ل الإمام الحسين عَلَيْهِ الْحَمْدُ برواية ابن عساكر:

قال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: أخبرنا أبو السعود بن الجلي... - إلى أن قال - عن أم سلمة قالت: سمعت الجن تنوح على الحسين يوم قُتل وهن يقلن:

أيها القاتلون ظلماً حسيناً  
 أبشروا بالعذاب والتنكيل  
 كلّ أهل السماء يدعوا عليكم من نبيٍّ ومرسلٍ وقتيلٍ  
 قد لعنتم على لسان ابن داوود وموسى وصاحب الإنجيل<sup>(٤٣)</sup>  
 وقد روى الخوارزمي في مقتل الحسين خبر رثاء الجنّ عن أم سلمة بروايةٍ  
 أخرى<sup>(٤٤)</sup>. وقد ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية<sup>(٤٥)</sup>.

#### رابعاً: لبس السواد:

من الواضح أنّ في اللباس - بما يشتمل عليه من ألوانٍ - إيحاءاتٍ، قد تكون أبلغ من الكلمات في إيصال المطلوب، باعتبار أنها تعبيرٌ عن انعكاسٍ يحاكي خفايا النفس في شخصيّة الإنسان من فرحٍ، أو حزنٍ.

ومن هذا المنطلق نرى بأنّ الشارع المقدّس قد أوجب الحداد على المرأة المتوفىّ عنها زوجها، والذي هو عبارةٌ عن ترك الزينة في البدن واللباس بما يراه العرف العامّ، كلبس الذهب، والخليّ، واستعمال الكحل للزينة، والتجمّل، ولبس الثياب الصفراء، أو الحمراء إذا عدّت زينةً بنظر العرف.

وكذا الحال بالنسبة لمصاب الإمام الحسين علّيّه السلام، فإنّ في لبس المؤمنين الثياب السوداء - حزناً وحداداً على سبط رسول الله علّيّه السلام، الإمام الحسين علّيّه السلام، وما جرى عليه من مصابٍ - إظهاراً للمودّة والمحبة لأهل البيت علّيّه السلام، التي أمرنا بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٤٦)</sup>، وإحياءً لأمرهم علّيّهم بإظهار الحزن في أحزانهم، ولبس السواد يعتبر من مصاديق الإحياء، فقد ورد عن الإمام الصادق علّيّه السلام في وصيّته لخيثمة: «رحم الله من أحيا أمرنا»<sup>(٤٧)</sup>.

وقد ورد في محسن البرقي، بسنده عن عمر بن عليّ بن الحسين علّيّه السلام، قال: لما قُتل الحسين بن عليّ علّيّه السلام لبس نساء بنى هاشم السواد والمسوح، وكأنّ لا يشتكين

من حرٌّ ولا بردٍ، وكان عليٌّ بن الحسين يعمل لهنَّ الطعام للمأتم<sup>(٤٨)</sup>. وفي هذا الخبر دلالةٌ على تقرير المقصود عَلَيْهِ.

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة - نقاً عن المدائني<sup>٠</sup> - : وكان خرج الحسن بن عليٍّ إليهم - أي: إلى الناس بعد شهادة أبيه - وعليه ثيابٌ سود<sup>(٤٩)</sup>.

وأمّا بالنسبة للروايات التي دلتُ على كراهة لبس السواد في خصوص الصلاة، أو التي دلتُ على كراهة لبس السواد مطلقاً حتّى في غير حال الصلاة، فهي إمّا رواياتٌ غير نقيةٌ السندي، أو رواياتٌ غير تامة الدلالة على كراهة لبس السواد، علمًا بأنَّ هذه الكراهة مبنيةٌ على القول بقاعدة التسامح في أدلة السنن، وأنَّ هذه القاعدة تشمل الكراهة إضافةً لشمومها الاستحباب، وعلى فرض تمامية هذه الدعوى، نقول:

**أولاً:** الكراهة في المقام بالنسبة للصلاحة، ليست بالمعنى الاصطلاحي<sup>٠</sup> الذي هو بمعنى رجحان الترك، فإنَّ الكراهة في العبادات - بهذا المعنى الاصطلاحي<sup>٠</sup> للكراهة - غير معقولة، بل هي مستحيلة<sup>٠</sup>: لعدم إمكان اجتماع المبغوضية والمقربة في شيءٍ عباديٍ واحد<sup>(٥٠)</sup>، فالنهي عن لباسه في الصلاة، إرشادٌ إلى أنَّ الصلاة في اللباس الأسود أقلَّ ثواباً.

**ثانياً:** الروايات التي أفادت استحباب إظهار الحزن على الإمام الحسين عَلَيْهِ فاقت حدَّ التواتر، ولبس السواد من مصاديق إظهار الحزن، فلا يبعد تخصيص إطلاق الروايات الداللة على الكراهة، بعموم الروايات الدالة على استحباب إظهار الحزن والحداد على مصاب الإمام الحسين عَلَيْهِ، قال صاحب الحدايق، الشيخ يوسف البحرياني<sup>٠</sup>: لا يبعد استثناء لبس السواد في مأتم الحسين عَلَيْهِ من هذه الأخبار؛ لما استفاضت به الأخبار من الأمر بإظهار شعائر الأحزان<sup>(٥١)</sup>.

## خامساً: زيارة الحسين عليه السلام:

أكّد أهل البيت عليهما السلام في ضمن المئات من الروايات الواردة عنهم عليهما السلام على زيارة الإمام الحسين عليهما السلام، وشدّ الرحال إلى قبره الشريف؛ لما فيه من الفضل والكرامة، وقد جُمعت هذه الروايات من قبل العلماء الأعلام، وأفردت في كتبٍ خاصةٍ، اشتملت على جملةٍ من الأمور المتعلقة بزيارة الإمام الحسين عليهما السلام، كما هو الحال في كتاب كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه، وقد ذكر بعضها الخوارزمي أيضاً في مقتل الحسين عليهما السلام.

## ما ورد من طريق مدرسة أهل البيت عليهما السلام:

أورد ابن قولويه في كتاب كامل الزيارات الكثير من الروايات في فضل زيارة الإمام الحسين عليهما السلام، وثواب من زاره في الدنيا والآخرة.

(١) منها: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليهما السلام من الفضل، لما توا شوقاً، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه؟ قال عليهما السلام: من أتاه تشوقاً كتب الله له ألف حجّة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيدٍ من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفةٍ، أهونها الشيطان، ووكل به ملكٌ كريمٌ يحفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمة، يحضرون غسله، وأكفانه، والاستغفار له، ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويؤمّنه الله من ضغطة القبر، ومن منكرٍ ونكيرٍ أن يروّعنه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمنيه، ويعطى له يوم القيمة نوراً

يضئ لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي منادٍ: هذا من زوار الحسين شوقاً إليه، فلا يبقى أحد يوم القيمة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين عليه السلام<sup>(٥٢)</sup>.

٢) ومنها: عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي عليه السلام: يا معاوية، لا تدع زيارة الحسين عليه السلام لخوف، فإن من تركه رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان عنده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسواه فيمن يدعوه له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليه، وفاطمة، والأئمة عليهم السلام؟! أما تحب أن تكون ممن ينقلب بالغفرة لما مضى، ويغفر لك ذنوب سبعين سنة؟! أما تحب أن تكون ممن يخرج من الدنيا وليس عليه ذنب تتبع به؟! أما تحب أن تكون غداً ممن يصافحه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!<sup>(٥٣)</sup>

٣) ومنها: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا كان يوم القيمة نادى منادٍ: أين زوار الحسين بن علي؟! فيقوم عنقٌ من الناس، لا يحيص لهم إلا الله تعالى، فيقول لهم: ما أردتم بزيارة قبر الحسين عليه السلام؟! فيقولون: يا رب، أتيناه حباً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحبًا لعلي عليه السلام، وفاطمة عليها السلام، ورحمة له مما ارتكب منه. فيقال لهم: هذا محمدٌ، وعلي، وفاطمة، والحسين، فالحقوا بهم، فأنتم معهم في درجتهم، الحقوا بلواء رسول الله. فينطلقون إلى لواء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكونون في ظله، وللواء في يد علي عليه السلام، حتى يدخلون الجنة جمِيعاً، فيكونون أمام اللواء، وعن يمينه، وعن يساره، ومن خلفه.<sup>(٥٤)</sup>

٤) ومنها: عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: وكل الله بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شرعاً غبراً، يبكونه إلى يوم القيمة، فمن زاره عارفاً بحقه شيعوه حتى يبلغوه مأمه، وإن مرض عادوه غدوةً وعشيةً، وإن مات شهدوا جنازته، واستغفروا له إلى يوم القيمة.<sup>(٥٥)</sup>

## استحباب زيارة الحسين عليه السلام من بعيدٍ وقربٍ:

قد لا يتمكّن الإنسان المؤمن من زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام عن قربٍ، والتي هي من المستحبّات الأكيدة، فلا ينبغي أن يترك زيارته عليه السلام عن بعدٍ، وقد وردت في استحباب زيارته من بعيدٍ عدّة نصوصٍ.

(١) منها: ما رواه الكليني بسنده عن الحسين بن ثوير، قال: كنتُ أنا، ويونس بن طبيان، والمفضل بن عمر، وأبو سلمة السراج جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام، وكان المتكلّم متّا يonus، وكان أكبّرنا سناً، فقال له: جعلت فداك، إني أحضر مجلس هؤلاء القوم - يعني ولد العباس - فما أقول؟ فقال عليه السلام: إذا حضرت فذكرتنا فقل: «اللهم أرنا الرخاء والسرور». فإِنَّك تأتي على ما تريده، فقلتُ: جعلت فداك، إني كثيراً ما أذكر الحسين عليه السلام، فأيّ شيء أقول؟ فقال عليه السلام: قل: «صلّى الله عليك يا أبا عبد الله»، تعيد ذلك ثلاثة، فإنَّ السلام يصل إلى من قريبٍ ومن بعيدٍ<sup>(٥)</sup>.

(٢) ومنها: ما أورده الصدوق من رواية حنان بن سدير، عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا سدير، تزور قبر الحسين عليه السلام في كل يوم؟ قلتُ: جعلت فداك، لا. قال عليه السلام: ما أجفاكم، فتزوره في كل شهر؟ قلتُ: لا. قال عليه السلام: فتزوره في كل سنة؟ قلتُ: قد يكون ذلك. قال عليه السلام: يا سدير، ما أجفاكم للحسين عليه السلام، أما علمت أنَّ الله - تبارك وتعالى - ألف ألف ملك شعث غبر، يبكون، ويزورون، ولا يفترون؟! وما عليك يا سدير أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة خمس مرات، أو في كل يوم مرّة؟! قلتُ: جعلت فداك، وبينما وبينه فراسخ كثيرة. فقال لي عليه السلام: اصعد فوق سطحك، ثم التفتْ يمينةً ويسرةً، ثم ارفع رأسك إلى السماء، ثم تنحو نحو القبر فتقول: «السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته»، تكتب لك بذلك

زورة، والزورة حجّةٌ وعمرّةٌ. قال سدير: فربما فعلتُ ذلك في الشهر أكثر من عشرين مرّة»<sup>(٥٧)</sup>.

٣) ومنها: ما رواه الطوسي<sup>١</sup> بسنده عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن أبي جعفر علّي<sup>٢</sup>، قال: «من زار الحسين بن عليٍّ علّيٌّ في يوم عاشوراء من المحرّم حتّى يظلّ عنده باكيًّا، لقي الله عزوجل في يوم يلاقاه بثواب ألفي حجّة، وألفي عمرة، وألفي غزوة، ثواب كلّ غزوةٍ وحجّةٍ وعمرّةٍ كثواب من حجّ واعتمر وغزى مع رسول الله علّيٌّ وآل بيته، ومع الأئمّة الراشدين». قال: قلت: جعلت فداك، فما لمن كان في بعيد البلاد وأقاصيه، ولم يكن المصير إليه في ذلك اليوم؟ قال علّي<sup>٢</sup>: إذا كان كذلك برب إلى الصحراء، أو صعد سطحًا مرتفعًا في داره، وأوّلًا إليه بالسلام، واجتهد في الدعاء على قاتله، وصلّى من بعد ركعتين، وليكن ذلك في صدر النهار، قبل أن تزول الشمس. ثم ذكر زيارةً طويلةً، ثم قال علّي<sup>٢</sup>: وإن استطعتَ أن تزوره كلّ يومٍ من دارك بهذه الزيارة فافعل»<sup>(٥٨)</sup>.

#### ما ورد من طريق مدرسة أهل السنة والجماعة:

١) منها: ما رواه الخوارزمي<sup>٣</sup> في مقتل الحسين، حيث قال: أخبرنا الشيخ الفقيه أبو بكر بن نصر الزاغوني... - إلى أن قال -: سُئل جعفر بن محمدٍ عن زيارة قبر الحسين، فقال: «أخبرني أبي أنّ من زار قبر الحسين عارفًا بحقيقته، كتبه الله في عليين. وقال: إنّ حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعاعاً غبراً، ي يكون عليه إلى يوم القيمة»<sup>(٥٩)</sup>.

وقال محب الدين الطبرى<sup>٤</sup> بعد أن ذكر الخبر: خرّجه أبو الحسن العتيقى<sup>(٦)</sup>. وذكر هذا الخبر - أيضًا - الجويني<sup>٥</sup> في فرائد السمطي<sup>(٧)</sup>.



٢) ومنها: ما رواه الخوارزمي أيضاً في مقتل الحسين، حيث قال: أخبرنا العلامة فخر خوارزم أبو القاسم، محمود بن عمر الزخنري... - إلى أن قال -: حدثني عبيد بن يحيى بن مهران، عن محمد، عن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن آبائه، عن جده، عن علي بن أبي طالب، قال: «زارنا رسول الله، فعملنا له حريرة، وأهدت لنا أم أيمن قعباً من لبن، وزبدة، وصفحة قمر، فأكل النبي، وأكلنا معه، فتوضاً رسول الله، ثم قام، واستقبل القبلة، فدعا الله ما شاء، ثم أكب إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، فهينا رسول الله أن نسألة، فوثب الحسين، فقال: يا أبا رأيتك تصنع ما لم أرك تصنع مثله! قال: يا بني، إني سرت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم مثله، وإن حبيبي جبريل أتاني، وأخبرني أنكم قتلتم، وأن مصارعكم شتى، فدعوت الله لكم، وأحزنني ذلك. قال الحسين: يا رسول الله، فمن يزورنا على تشتننا، ويتعاهد قبورنا؟ فقال: طائفة من أمتي، يريدون برّي وصلتي، فإذا كان يوم القيمة زرّتها، فأخذت بأعضادها، فأنجيتها من أهواله وشدائد»<sup>(٦)</sup>.

٣) ومنها: ما رواه ابن المغازلي بإسناده عن فضيل بن يسار، قال: قيل لأبي عبد الله: أي قبور الشهداء أفضل؟ قال: «أو ليس أفضل الشهداء عندك الحسين؟! فوالذي نفسي بيده، إن حول قبره أربعين ألف ملك، شرعاً غرراً، يبكون عليه إلى يوم القيمة»<sup>(٦٣)</sup>.

#### الممارسات العاشورائية المستجدة:

هناك من الممارسات العاشورائية ما هو منصوص عليه من قبل أهل البيت عليهما السلام، كالبكاء، والزيارة مثلاً، وهناك بعض آخر من الممارسات المستجدة التي تتناغم مع التطور، وتواكب الإبداع، كالمسرح، والتسلية، حيث لم يرد فيها نص بخصوصها، فلا

بَدَّ لَهَا مِنْ ضَابِطَةٍ شُرُعِيَّةٍ تَكْتُسُ مِنْ خَلَالِهَا تَلْكَ الْحَيْثِيَّةُ، بِحِيثُ تَجْعَلُهَا أَدَاءً مِنْ  
الْمُكْنَ أَنْ تَسَاهِمُ فِي إِيْصَالِ رِسَالَةِ الْإِمَامِ الْحُسَينِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ فِي نَهْضَةِ عَاشُورَاءِ.

وَالضَّابِطَةُ الشُّرُعِيَّةُ لِلْمَارِسَاتِ الْعَاشُورَائِيَّةِ الْمُسْتَجَدَّةِ تَتَلَخَّصُ فِيْ أَمْرَيْنِ:

(١) أَنْ تَعْبُرْ تَلْكَ الْمَارِسَةَ عَنْ حَالَةِ الْحُزْنِ وَالْأَسْىِ بِمَا يَنْسَجمُ مَعَ الْعُرْفِ الْعَامِ،  
تَعْظِيْمًا لِمَقَامِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ بِشَكْلٍ عَامٍ، وَلِمَقَامِ الْإِمَامِ الْحُسَينِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ عَلَى وَجْهِ  
الْحَصْوَصِ، فَإِحْدَادُ الضَّرَرِ الْمُعْتَدِّ بِهِ عَلَى النَّفْسِ - عَرْفًا وَشَرْعًا - لَا يَشْلُّ تَعْبِيرًا  
عَرْفِيًّا عَنِ الْحُزْنِ وَالْأَسْىِ، بِلْ هُوَ مِنَ الْمُحْرَمَاتِ.

(٢) أَنْ تَرْتَكِرْ تَلْكَ الْمَارِسَةَ عَلَى الْأَبْعَادِ الْاعْتِقَادِيَّةِ، وَالْفَكَرِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ  
الْمَزَوِّجَةِ بِالْقِيمِ الْمَعْنُوِيَّةِ، وَالْمَحْتَوِيِّ الْإِنْسَانِيِّ الرَّاقِيِّ، الَّذِي يَتَنَاسَبُ مَعَ مَقَامِ أَهْلِ  
الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ، بِحِيثُ لَا تَسْتَلِزمُ الْهَتْكَ، وَلَا تَؤْدِي إِلَى إِدْخَالِ الْوَهْنِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ  
الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ.

وَالْمُتَحَصَّلُ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ كُلَّ فَعْلٍ ثَبَتَ بِالْدَلِيلِ إِبْاحَتَهُ شَرْعًا، وَمِنْاسِبَتَهُ عَرْفًا  
لِلْحُزْنِ عَلَى مَصَابِ الْإِمَامِ الْحُسَينِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ، فَهُوَ مَا يَصِحُّ مَارِسَتُهُ فِي مَقَامِ التَّعْبِيرِ عَنِ  
الْحُزْنِ وَالْأَسْىِ عَلَى الْإِمَامِ الْحُسَينِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ، وَإِلَّا فَلَا يَجُوزُ، وَمَعَ الشَّكِّ فِي ذَلِكَ، فَلَا بَدَّ  
مِنْ إِحْرَازِ رَاجِحَيَّةِ تَلْكَ الْمَارِسَاتِ، وَلَوْ عَلَى أَسَاسِ تَعْنُونَهَا بِعَنْوَانِ رَاجِحٍ لَا يَزَاحِمُهُ  
عَنْوَانُ حَرَمٌ؛ باِعْتِبَارِ أَنَّ الْإِحْيَاءِ مِنَ الْأَمْوَارِ التَّعْبُدِيَّةِ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَى قَصْدِ الْقَرْبَةِ  
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يُطَاعُ اللَّهُ مِنْ حِيثُ يُعْصِي.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

### المُواهِشُ:

(١) أَمَالِي الصَّدُوقُ، الشِّيْخُ الصَّدُوقُ، ص ١١١.

(٢) مُصَبَّحُ الْمُتَهَجِّدِ، الشِّيْخُ الطَّوْسِيُّ، ص ٥٤٧.

- (٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ٣، ص ١٧٦.
- (٤) الحسين في الفكر المسيحي، أنطون بارا، ص ٢١.
- (٥) الحسين في الفكر المسيحي، أنطون بارا، ص ٧٢.
- (٦) جملة من مصادر أهل السنة والجماعة، لاحظ: شرح إحقاق الحق، المرعشي، ج ٩، ص ٤٦٧.
- (٧) ترجمة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابن عساكر، ص ١١٤.
- (٨) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٢٤١.
- (٩) سورة المائدة، الآيات: ٨٣-٨٤.
- (١٠) سورة التوبة، الآية: ٩٣.
- (١١) سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، الآيات: ٨٥-٨٦.
- (١٢) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص ٢٠١.
- (١٣) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص ١٦٩.
- (١٤) الأُمالي، الشيخ الصدوقي، ص ١٩٣.
- (١٥) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٠٣.
- (١٦) سنن الترمذى، ج ٥، ص ٣٢٣.
- (١٧) مستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري، ج ٤، ص ١٩.
- (١٨) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٣، ص ١٠٩.
- (١٩) مجمع الروايد، الميثمي، ج ٩، ص ١٨٨.
- (٢٠) دلائل النبوة، أبو نعيم الإصبهاني، ج ٣، ص ٢١١.
- (٢١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢١١.
- (٢٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٠٢.

- (٢٣) الكافي، الكليني، ج ٨، ص ٢١٥.
- (٢٤) الكافي، الكليني، ج ١، ص ٤٦٦.
- (٢٥) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ٢٠١.
- (٢٦) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ٢٠٦.
- (٢٧) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ١٨٧.
- (٢٨) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٧٢.
- (٢٩) مصباح المتهجد، الطوسي، ص ٧٧٣.
- (٣٠) مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلبي، ص ٦٤٩.
- (٣١) تاريخ الطبرى، الطبرى، ج ٣، ص ٣٠١.
- (٣٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٣٨.
- (٣٣) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ١٤، ص ١٤٠.
- (٣٤) أنساب الأشراف، البلاذري، ج ٢، ص ٤١٧.
- (٣٥) التبر المذاب، الخوافي الشافعى، ص ٩١.
- (٣٦) المعجم الكبير، الطبرانى، ج ٣، ص ١٢٢.
- (٣٧) مجتمع الزوائد، الهيثمى، ج ٩، ص ١٩٩.
- (٣٨) عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج ٢، ص ١٥.
- (٣٩) رجال الكشى، ص ٢٨٩.
- (٤٠) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص ٢٠٨.
- (٤١) بحار الأنوار، الجلسي، ج ٤٥، ص ٢٥٧.

(٤٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١٣، ص ٢٢٦.

(٤٣) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٤٠.

(٤٤) مقتل الحسين عَلَيْهِ الْأَكْلَمْ، الخوارزميّ، ج ٢، ص ١٠٧.

(٤٥) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨، ص ٢١٩.

(٤٦) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٤٧) مستطرفات السرائر، ابن إدريس الْحَلَّيِّ، ٦٢٥.

(٤٨) المحسن، البرقيّ، ص ٤٢٠، حديث ١٩٥.

(٤٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٢.

(٥٠) رسالة مختصرة في لبس السواد، الشيخ جواد التبريزيّ، ص ٦٢.

(٥١) الحدائق الناضرة، الشيخ يوسف البحرينيّ، ج ٧، ص ١١٨.

(٥٢) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص ٢٧١.

(٥٣) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص ٢٣٠.

(٥٤) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص ٢٦٩.

(٥٥) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص ٣٥٠.

(٥٦) الكافي، الكلينيّ، ج ٤، ص ٥٧٥.

(٥٧) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج ٢، ص ٥٩٩.

(٥٨) مصباح المتهجد، الطوسيّ، ص ٧٧٣.

(٥٩) مقتل الحسين عَلَيْهِ الْأَكْلَمْ، الخوارزميّ، ج ٢، ص ١٩٢.

(٦٠) ذخائر العقبى، محب الدين الطبرى، ص ١٥١.

(٦١) فرائد الصمطين، الجويني، ج ٢، ص ١٧٤.

(٦٢) مقتل الحسين عَلَيْهِ الْمُصَلَّى، الخوارزمي، ج ٢، ص ١٨٩.

(٦٣) مناقب ابن المغازلي، ص ٣٩٧.

## جلاء العين

### في حكم صوم العاشوراء

محمد علي العربي

كثير قال صاحب الحدائق (عطر الله مرقده) عند ذكره للصوم المندوب:  
«ومنها صوم يوم عاشوراء على وجه الحزن، كذا قيده جملة من الأصحاب،  
وكأنهم جعلوا ذلك وجه جمع بين الأخبار الواردة في صومه أمراً، ونهياً»<sup>(١)</sup>.  
وروى الشيخ في التهذيب صحيحأ عن علي بن الحسن بن فضال، عن هارون بن  
مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام: «أن علياً عليهما السلام قال:  
صوموا العاشورا التاسع والعشر؛ فإنه يكفر ذنوب سنة»<sup>(٢)</sup>.  
إلا أن السيد ابن طاووس أورده في كتابه الإقبال بإسناده إلى هارون بن مسلم،  
عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليهما السلام، عن أبيه: «أن علياً عليهما السلام قال: صوموا  
من عاشوراء التاسع والعشر؛ فإنه يكفر ذنوب سنة»<sup>(٣)</sup>.  
وفي المعتبريات بإسناده عن أبي جعفر عليهما السلام يقول: «صوموا  
يوم عاشوراء، التاسع والعشر احتياطاً؛ فإنه كفارة للسنة التي قبله، وإن لم يعلم به  
أحدكم حتى يأكل فليتم صومه»<sup>(٤)</sup>.  
والظاهر أن الكل رواية واحدة.

وفي كتاب الإقبال، عن كتاب دستور المذكرين [عن المفيد في كتاب حدائق  
الرياض: خ ل]، بإسناده عن ابن عباس، قال: «إذا رأيت هلال محرم فاعدد، فإذا

أصبحتَ من تاسعه فأصبحْ صائمًاً. قال: قلتُ: كذلك كان يصوم محمدٌ عليه وآله؟ قال:  
نعم..»<sup>(٥)</sup>.

وفيما رواه الكليني في الكافي، عن الحسن بن عليّ الهاشمي، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن أبىان، عن عبد الملك، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم تاسوعاً وعاشوراً من شهر الحرم، فقال: «تاسوعاً يوم حوضر فيه الحسين عليه السلام صريعاً وأصحابه عليه وآله وصحبه بكر بلا...، وأمّا يوم عاشوراً في يوم أصيبي فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حوله [عراء]، أصوم يوم يكون في ذلك اليوم؟! كلاماً ورب البيت الحرام، ما هو يوم صوم، وما هو إلا يوم حزنٍ ومصيبة...، فمن صامه - أو تبرّك به - حشره الله مع آل زياد، ممسوخ القلب، مسخوط عليه... الحديث»<sup>(٦)</sup>.  
وفي صحيح مسلم، عن الحسن بن عليّ الملواني، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا يحيى بن أبى يوب، حدثني إسماعيل بن أمية أتاه سمع أبا غطفان بن طريف المري يقول: سمعت عبد الله بن عباس عليه وآله وصحبه يقول: حين صام رسول الله عليه وآله وصحبه يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنّه يوم تعظّمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله عليه وآله وصحبه: فإذا كان العام المقبل - إن شاء الله - صمنا اليوم التاسع. قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفّي رسول الله عليه وآله وصحبه»<sup>(٧)</sup>.  
وعدم إتيان العام المقبل المراد منه نزول صيام شهر رمضان، وأمّا الوعد بصيام التاسع من العام المقبل، فلأنّه قد فات أول وقت الصيام المشروع لدى اليهود، كما سوف يتبيّن لك.

وفيه: وفي البخاريٍّ بسنده إلى ابن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس عليه وآله وصحبه: أنّ النبي عليه وآله وصحبه لما قدم المدينة، وجدهم يصومون يوماً - يعني

عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيمٌ وهو يوم نجى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون، فقام موسى شكرًا لله، فقال: أنا أولى بموسى منهم، فصامه، وأمر بصيامه<sup>(٨)</sup>. هذه جملة من الأخبار التي ورد فيها صريحاً - أو ضمناً - ما يمكن بحثه في تحديد الموضوع له اسم (عاشوراء).

### المقصود من يوم عاشوراء:

وأتضحت من السرد السابق للأخبار الشريفة أن التسمية دائرة بين (عاشوراء) مجردة عن لام التعريف، و(العشوراء) محلة لها، كما في رواية مسعة، والتي فيها «العشورا التاسع والعشر».

فهل الأصل في التسمية هو يوم العاشر من المحرم بخصوصه، وعددي لليوم التاسع تغليباً لعلة الصوم فيه؟! أو أن الأصل في التسمية هو مجموع اليومين، وأطلق على اليوم العاشر لجزئيته وسببيّة فيه؟! أو بوضع آخر لخصوصه؟!  
ثم هل يتنبّي على القول بكونه مجموع اليومين حرمة صومهما معاً لو كان دليلاً على حرمة صوم عاشوراء؟! أو يحرم صوم خصوص نهار يوم عاشر من المحرم؟! وجوه، تتبّين ضمن تفاصيل البحث.

### أقوال اللغويين:

\* قال الفراهيدي<sup>٩</sup> (ت ١٧٠ هـ) في العين:

والعاشر: ورد الإبل اليوم العاشر. وفي حسابهم: العاشر: التاسع...، ويجمع [العاشر] ويشتبّه، فيقال: عشرين، وعشرون، وكل عشر من ذلك: تسعة أيام...، والعرب تقول: سقينا الإبل رفها، أي: في كل يوم. وغباء: إذا أوردوا يوماً، وأقاموا في الرعي يوماً. وإذا أوردوا يوماً وأقاموا في الرعي يومين، ثم أوردوا اليوم الثالث قالوا: أوردنا ربعاً.

ولا يقولون: ثلثاً أبداً، لأنّهم يحسبون يوم الورد الأوّل والآخر، ويحسبون يومي المقام بينهما، فيجعلون ذلك أربعةً. فإذا زادوا على العشرة قالوا: أوردناها رفهاً بعد عشرٍ. قال الليث: قلتُ للخليل: زعمت أنّ عشرين جم: عشر، والعشر: تسعه أيامٍ، فكان ينبغي أن يكون العشرون سبعة وعشرين يوماً؛ حتى تستكمل ثلاثة أتساعٍ. فقال الخليل: ثانٍ عشر يوماً عشراً، [ولما] كاناليومان من العشر الثالث مع الثمانية عشر يوماً سُمِّيَتْه بالجمع، قلتُ: من أين جاز لك ذلك، ولم تستكمل الأجزاء الثلاثة؟ هل يجوز أن تقول للدرهمين وداقفين: ثلاثة دراهم؟! قال: لا أقيس على هذا، ولكن أقيسه على قول أبي حنيفة، ألا ترى أنه قال: طلاقتها تطليقتين، وعشر تطليقة فهي ثلاث تطليقاتٍ، وليس من التطليقة الثالثة في الطلاق إلا عشر تطليقةٍ، فكما جاز لأبي حنيفة أن يعتد بالعشر، جاز لي أن اعتد باليومين... وعاشوراء: اليوم العاشر من محرّم، ويُقال: بل التاسع، وكان المسلمين يصومونه قبل فرض شهر رمضان»<sup>(٤)</sup>.

\* وقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ) في لسان العرب:

«والتاسوعاء: اليوم التاسع من المحرّم، وقيل: هو يوم العاشوراء. وأظنه مولدًا. وفي حديث ابن عباس هؤلئك عندها: لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع، يعني عاشوراء، كأنّه تأوّل فيه عشر الورد أنها تسعه أيامٍ، والعرب تقول: وردتُ الماء عشرًا، يعني يوم التاسع، ومن هنا قالوا: عشرين، ولم يقولوا: عشرين؛ لأنّهما عشراً، وبعض الثالث، فجمع، فقيل: عشرين. وقال ابن بري: لا أحسبهم سُمِّوا عاشوراء تاسوعاء إلا على الأذماء، نحو: العشر؛ لأنّ الإبل تشرب في اليوم التاسع، وكذلك الخمس، تشرب في اليوم الرابع، قال ابن الأثير: إنّما قال ذلك كراهةً لموافقة اليهود؛ فإنّهم كانوا يصومون عاشوراء، وهو العاشر، فأراد أن يخالفهم ويصوم التاسع، قال: وظاهر الحديث يدلّ على خلاف ما ذكر الأزهريّ من أنه عنى عاشوراء، كأنّه تأوّل فيه عشر ورد الإبل؛

لأنه قد كان يصوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر، ثم قال: إن بقيت إلى قابل لأصوم من تاسوعاء. فكيف يعد بصوم يوم قد كان يصومه؟!»<sup>(١٠)</sup>.

وقال في موضع آخر:

«عاشوراء، وعشورا - ممدودان - : اليوم العاشر من المحرّم، وقيل: التاسع. قال الأزهري: ولم يسمع في أمثلة الأسماء اسمًا على فاعولاء إلاً حرف قليلة... وقد الحق به تاسوعاء. وروي عن ابن عباس أنه قال في صوم عاشوراء: لئن سلمت إلى قابل لأصومنّ اليوم التاسع. قال الأزهري: وهذا الحديث عدّة من التأویلات، أحدها أنه كره موافقة اليهود؛ لأنّهم يصومون اليوم العاشر. وروي عن ابن عباس أنه قال: صوموا التاسع، والعasher، ولا تشبهوا باليهود. قال: والوجه الثاني ما قاله المزني: يحتمل أن يكون التاسع هو العاشر. قال الأزهري: كأنه تأول فيه عشر الورد أنها تسعة أيام، وهو الذي حكاه الليث عن الخليل، وليس بعيد عن الصواب»<sup>(١١)</sup>.

\* وزاد الزبيدي (ت ١٢٥ هـ) في تاج العروس:

«قلت: وقد صحّ الصاغاني هذا القول. والمراد بظاهر الحديث - يعني حديث ابن عباس المذكور - أنه قال: حين صام رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظم اليهود والنصارى، فقال: فإذا كان العام القابل صمنا اليوم التاسع. وفي رواية: إن بقيت إلى قابل لأصومنّ تاسوعاء، أي: فكيف يعد بصوم يوم قد كان يصومه؟! فتأمل. وقول الجوهري وغيره: إنه مولد. فيه نظر؛ فإن المولد هو اللفظ الذي ينطق به غير العرب من المحدثين، وهذه لفظة وردت في الحديث الشريف، و قالها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذي هو أفصح الخلق، وأعرفهم بأنواع الكلام بوحى من الله الحق، فائىء يتصور فيها التوليد؟! أو يلحقها التفنيد؟!»<sup>(١٢)</sup>.

وقال في موضع سابق:

«والعاشراء، قال شيخنا: قلتُ: المعروف تجربَه من «ال»، والعشوراء، ممدودان، ويقرسان، والعشور: عاشر المحرّم، قال الأزهري: ولم يسمع في أمثلة الأسماء اسمًا على فاعولاً إلّا أحراً قليلةً... وبه أولٍ [إسماعيل بن يحيى] (٤) المزنيُّ الحديث: لأصومن التاسع، فقال: يحتمل أن يكون التاسع هو العاشر. قال الأزهري: كأنه تأول فيه عشر الورد أنّها تسعه أيامٍ، وهو الذي حكاه الليث عن الخليل، وليس ببعيدٍ عن الصواب» (١٣).

\* وفي مجمع البحرين للطريحي (ت ٨٥ هـ):

«واليوم عشوراء - بالمدّ، والقصر - وهو عاشر المحرّم، وهو اسمٌ إسلاميٌّ، وجاء عشوراء بالمدّ مع حذف الألف التي بعد العين» (١٤). وكأنه تابع ابن أثيرٍ في النهاية في غريب الحديث (١٥).

\* وتردد الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) في معناه، فقال:

«والعاشراء، والعشوراء، ويقرسان، والعشور: عاشر المحرم، أو: تاسعه... والعشر - بالكسر - : ورد الإبل اليوم العاشر، أو التاسع، وهذا لم يُقل: عشرين. وقالوا: عشرين، جعلوا ثانية عشر يوماً عشرين، والتاسعة عشر والعشرين طائفةً من الورد الثالث، فقالوا: عشرين. جموعه بذلك» (١).

فتبيّن أنّ بعض قدماء اللغويين قائلين - أو غير مستبعدين - لأنّ يكون عشوراء بمعنى: تاسع محرّم الحرام، وأنّ المتأخررين منهم متعدّين في ذلك.

أما تاريخ التسمية بحسب السبر التاريخي والروائي:

فأقدم ما جاء فيه من طرقنا:

ما رواه الشيخ في التهذيب موّقاً، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن يعقوب بن يزيد، عن أبي همّام، عن أبي الحسن عالئية، قال: «صام رسول الله عليه وآله يوم عشوراء» (١٧).

لكتها محمولة على ما ورد من إيجاب صومه على المؤمنين قبل تشريع صوم شهر رمضان، كما يأتي.

وما رواه الشيخ كذلك في التهذيب عن أحمد بن محمد، عن البرقي، عن يونس بن هشام، عن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: «كان رسول الله عليهما السلام كثيراً ما يتفل يوم عاشورا في أفواه أطفال المراضع من ولد فاطمة عليهما السلام من ريقه، ويقول: لا تطعموهن شيئاً إلى الليل. وكانوا يرونون من ريق رسول الله عليهما السلام، قال: وكانت الوحش تصوم يوم عاشورا على عهد داود عليهما السلام»<sup>(١٨)</sup>.

ولا يبعد أنّ يونس الذي يروي عنه البرقي هو يونس بن عبد الرحمن العلم المشهور؛ إذ لا وجود لشخصٍ بهذا الاسم في أسانيد الأخبار بحسب التتبع، ومن يروي عنه البرقي باسم يونس عادةً هو ابن عبد الرحمن، هذا مع أنّ نسخة الوسائل فيها عن البرقي، عن يونس بن هاشم، عن جعفر بن عثمان، وهو سندٌ غريبٌ كذلك؛ إذ يونس لو كان ابن عبد الرحمن فهو لا يروي عن جعفر بن عثمان الرواسي، وهذا الأخير منحصرٌ روایاته بنقل ابن أبي عمير.

وعلى كل حال، فهذه الرواية كسابقتها، محمولة على ما ذكرنا آنفاً.

ويدلّ على حملهما على الصوم قبل تشريع صيام شهر رمضان صحيبة زرارة ومحمد بن مسلم جيغاً، أنّهما سألا أبا جعفر الباقر عليهما السلام عن صوم يوم عاشوراء، فقال: «كان صومه قبل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك»<sup>(١٩)</sup>.

وليس في ما رُوي من هذا القبيل تحديدٌ لعاشوراء بأوسع من ليتلتها، أو يومها.

وأمّا رواية ابن عباس التي رواها السيد ابن طاووس، وقدمنا بها صدر البحث، وفيها: «إذا رأيتَ هلالَ حِرمٍ فاعدد، فإذا أصبحتَ من تاسعه فأصبح صائماً، قال: قلتُ: كذلك كان يصوم محمد عليهما السلام؟ قال: نعم»<sup>(٢٠)</sup>، فلم ترد بطرق أصحابنا، والناظر

في كتب السيد (طيب الله ثراه) يعلم مقدار تسامحه في النقل، خاصةً في مثل كتابه الإقبال.

نعم هي بطريق العامة مرويّة بأكثر من طريق إلى ابن عباس، وبنفس المضمون.  
إلا أنها معارضةٌ برواياتٍ صريحةٍ على كونه يوم العاشر بخصوصه، أو مهمته المعنى، جملة.

على أنه يكن الإشكال على هذا الحديث بما هو معروفٌ من أن اليهود كانوا يعملون بالحساب الشمسيّ، وكانت العرب على القمريّ، فعاشوراء اليهود ليست متفقةً مع عاشوراء المسلمين دائماً، وما ذكر في هذا الحديث وأمثاله إنما هو تقليد لعمل اليهود وعاشرائهم بتاسعه وعاشره، ولا علاقة لها بشهر حرم الحرام، لا تاسعه، ولا عاشره<sup>(٢١)</sup>.

يدلّك عليه ما ذكره ابن المجاور في: (تاريخ المستبصر)، قال في تعداد الأشهر اليهوديّة:

«تشري، ومرحشون، وكسليو، وآذار، وشفط، وطيب، وآبر، ونيسن، وإير، وسيون، وقز، وأوب، وإيلل، ويُعمل على هذه الشهور جميع يهود الرابع المskون».

ثم قال:

«ما الكفور؟ هو: اليوم العاشر من تشري، وهذا ربعاً يسمى العاشوراء، وأما الكفور فهو: من تكبير الذنوب، وهذا اليوم فقط هو الذي فرض على اليهود صومه، والقتل على من لا يصومه، ومدة الصوم خمسة عشرة ساعة، يبتدئ بها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع، ويختتم بعضاً ساعةً بعد غروبها في اليوم العاشر، ولا يجوز أن يقع الكفور في يوم الأحد، ولا في يوم الثلاثاء، أو يوم الجمعة»<sup>(٢٢)</sup>.

ومن كلامه هذا يعلم ما في قول ابن الأثير أنّها اسمٌ إسلاميٌّ من التنبيه، على أنَّ اليهود لم تكن تسمّيه عاشوراء.

وفيه تنبيهٌ كذلك على أنَّ تسميتها بعاشوراء عربياً - أو غيرها - تسميةٌ لجزءٍ يسيراً من التاسع ونماذج العاشر منه، لا مجموع اليومين التاسع والعشر كاملين، فغلب العاشر على التاسع في الإطلاق.

ويدلّك على ما قلناه كذلك ما في سُفْرِ الْلَاوِيْنِ ضمن التوراة (٦/١٩): (ويكون لكم فريضةٌ دهريةٌ أَنْكُمْ في الشهر السابع، عاشر الشهر تذلّلون نفوسكم.. لأنَّ في هذا اليوم يكفرُ عنكم؛ لتطهيركم... الخ).

وفي سفر العدد (٢٩/٧): (وفي عاشر هذا الشهر السابع يكون لكم محفَلٌ مقدّسٌ، وتذلّلون أنفسكم).

وهو يوم صومٌ مقدّسٌ معروفٌ لديهم، فيه مراسم خاصة يقوم بها رئيس الكهنة، كالاغتسال، والزينة، ولبس ثياب الكتّان.

ثم إنَّ الذي وقع فيه أغلب شرائح الأحاديث من أهل السنة في تعين اليوم، وأنه التاسع أو العاشر قد دخل عليهم من هذه الجهة، وهي خفاءً أنَّ كلامه عليهما الله - إن صح نقله بعينه - من أنه سيصوم التاسع من قابل، وأنه عليهما الله أحقُّ بموسى منهم، إنما هو تأييدٌ لنقلهم، وفعلهم، وشكرُ الله على ما وقع في ذلك اليوم.

وأما الأخبار عن عليٍ عليهما الله السلام في صوم اليومين، التي منها:

ما رواه الشيخ في التهذيب صحيحًا، وأوردناها أول البحث بسنده عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما الله السلام: «أنَّ علياً عليهما الله السلام قال: صوموا العاشرة التاسع والعشر؛ فإنه يكفر ذنوب سنة»، وما تلونا عليك بعده. فإنَّ فيها احتمالان:  
الأول: حمله على التقيّة، وهو أيسير المحامل.

**الثاني:** أن يكون كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام هو بنفسه كلام النبي عليه السلام في المراد منه، وهو التاسع والعشر من الشهر الشمسي، لا القمري، ويتأكد - هذا الثاني - لو صحت دعوى أن كثيراً من المرويات إلى أمير المؤمنين عليه السلام هي المنقوله عن كتاب السنن والأحكام والقضايا، الذي رواه أبو رافع - مولى رسول الله عليه وآله، وصاحب بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة - عن أمير المؤمنين عليه السلام، فإن السنة لازالت قائمة على صوم هذا اليوم الذي لا يجتمع العاشر من محرم الحرام.

وكلا الاحتمالين يثبتان أجنبيّة هذين اليومين عن شهر محرم الحرام.

كلّ هذا كان مصطلحاً عليه، مستعملاً في التعبير قبل واقعة الطلاق إلى زمنِ من حياة الأئمة عليهم السلام بعده.

يرشدك إليه الوارد - كالصحيح - في النهذيب، بإسناده عن سعد بن عبد الله، عن أبي جعفر، عن جعفر بن محمد بن عبيد الله، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: «صيام يوم عاشوراء كفارة سنة»<sup>(٢٣)</sup>.

وفي الفقيه بسنده إلى الزهرى - العامى المعبر عنه بالعدو في رجال الشيخ<sup>(٢٤)</sup> - عن سيد الساجدين عليهما السلام قال: «وأما الصوم الذى يكون صاحبه فيه بالخيار، فصوم يوم الجمعة، والخميس، والاثنين، وصوم البيض، وصوم ستة أيام من شوال بعد شهر رمضان، وصوم يوم عرفة، ويوم عاشوراء، كل ذلك صاحبه فيه بالخيار، إن شاء صام، وإن شاء أفتر»<sup>(٢٥)</sup>.

وإن أبيت عمما استظهرناه، فمجال الحمل على التقى واسع، مع كون الراوي في الثاني مثل الزهرى الذي لا يخفى حاله.

وأما ما ورد من الأخبار بعد ذلك العصر، فإن اقتران فاجعة كربلاء بالعاشر من محرم، أولد مصطلحاً جديداً، ووضعاً خاصاً لهذا الاسم - عاشوراء - مرتبطاً بهذا اليوم بخصوصه لا محالة، وعليه تحمل كلماتهم عليه السلام بعدها، خصوصاً الواردة في آخر

سنوات الصادق عليه السلام، انظر مثلاً لذلك روایات الباب ٢٠ من أبواب الصوم المندوب في الوسائل<sup>(٢٤)</sup> وما بعده، تجدها بين ناقلة لقول علي عليه السلام، أو السجاد، أو الباقي عليهما، أو حاكية لفعل النبي عليهما، وكلها فيها دلالة على استحباب صوم هذا اليوم، والتبرّك به، وهو الذي دعا صاحب الوسائل نفسه (قدس الله روحه) لحملها على التحرّن بصومه.

عدا ما رواه الشيخ في المصباح، عن عبد الله بن سنان، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام يوم عاشوراء، [فالفيته كاسف اللون، ظاهر الحزن]، ودموعه تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: مم بكأوك؟ فقال: أفي غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم؟! فقلت: ما قولك في صومه؟ فقال لي: صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميّت، ولا تجعله يوم صوماً كاماً، ول يكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء؛ فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله عليهما...»<sup>(٢٧)</sup> الحديث.

تجده عليه السلام قد أبان عن مصطلح جديدٍ يباني المعروف سابقاً، وبسببه سأله ابن سنان عن صومه المعروف، فأجاب عليه السلام: «صمـه... ول يكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعـة»، مشيراً إلى أنه ليس بصومٍ حقيقةً، بل هو إمساكٌ، ومواسـة، وسيأتي حكمـه. هذا مع ضـمـ ما في تلك الأجوـاء من خلطـ لسنة النبي عليهما في تراثـ أهلـ السنـة، وترددـ شدـيدـ في أوساطـهمـ العلمـيـةـ فيـ معـنىـ (عاشـورـاءـ)، وما زـامـنـهاـ منـ تقـيـةـ لـازـمةـ علىـ الشـيـعةـ، فـلـاحـظـهـ فيـ روـاـيـاتـ أـبـوـاـبـهـ تـجـدـهـ جـلـيـاـ.

فمنها ما في الكافي عن محمد بن موسى، عن يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن علي عليهما السلام، قال: حدثني نحبة بن الحارث العطار، قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء، فقال: صوم مترونوك بنزلول شهر رمضان، والمترونوك بدعة». قال

نجبة: فسألتُ أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمَ من بعد أبيه عَلَيْهِ الْكَلَمَ عن ذلك، فأجابني بمثل جواب أبيه، ثم قال: أما إنه صوم يوم ما نزل به كتاب، ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد بقتل الحسين بن علي عَلَيْهِ الْكَلَمَ»<sup>(٢٨)</sup>.

فإنه - بعد معرفة أن المقصود من كونها متروكاً هو حكم وجوب صيامه، لا استحبابه المنقول عن علي عَلَيْهِ الْكَلَمَ، وغيره؛ لمقابلته بصيام شهر رمضان، فالإتيان به بتلك النية ابتداع في الدين - بعد هذا، كيف يجمع بين كونه مأموراً به إلى نزول صيام شهر رمضان - المؤيدة بروايات النبي عَلَيْهِ الْكَلَمَ، والمسجد عَلَيْهِ الْكَلَمَ، وبين تأكيده عَلَيْهِ الْكَلَمَ لنفي سنته ونزوله؟! إلا أن يكون في البين شيئاً، وليس لها - بحسب النظر - إلا ما ذكرنا من حكم صيام عاشوراء المعروفة ما قبل تشريع صيام شهر رمضان، وحكم صيام عاشوراء ذات المعنى الحادث بعد واقعة الطف.

وهذا الخلط في مفهوم هذا اليوم - أعني عاشوراء التي كانت على عهد النبي عَلَيْهِ الْكَلَمَ، وعاشر محرم الحرام - قد دخلت فيها أيدي النواصب، والوضاعين، والحرقين.

ففي المروي عن ميشم التمار في حديث جبلة:

«قالت: جبلة: فقلت له: يا ميشم، فكيف يتّخذ الناس ذلك اليوم الذي قُتل فيه الحسين يوم بركة؟ فبكى ميشم خليعه، ثم قال: يزعمون لحديث يضعونه أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، وإنما تاب الله على آدم في ذي الحجّة، ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود، وإنما قبل الله توبته في ذي الحجّة، ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت، وإنما أخرج الله يونس من بطن الحوت في ذي الحجّة، ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينته نوح على الجودي، وإنما استوت على الجودي في يوم الثامن عشر من ذي الحجّة، ويزعمون

أئه اليوم الذي فلق الله عزوجل فيه البحر لبني إسرائيل، وإنما كان ذلك في ربيع الأول...»<sup>(٢٩)</sup>.

### حكم صيام العاشورائين:

لابد من أن تكون النتيجة بعد هذا هو بقاء حكم الاستحباب لصيام عاشوراء الأولى، التي كانت على عهد النبي عليهما السلام، ووصييه علي عليهما السلام، إلى زمن السجاد والباقر عليهما السلام، ومن تلامهم من الأئمة عليهما السلام على احتمال قوي، وأن صيامها بصيام يومي التاسع والعشر من ذلك الشهر الشمسي.

إلا أن للتrepid فيه مجال؛ لبعد خفاء حكمه على فقهاء الطائفة، وكون خفاء النكتة سبباً لعدم تعرّضهم لحكمه، وإن كان هذا الفرض نادراً.

وقد يتمسّك لنفس حكمه بما تقدّم من قول الباقر عليهما السلام: «صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة»، لكننا استظهرنا نسخ وجوبه، واستبداله بصوم شهر رمضان، وبقاء حكم استحباب صومه بقتضى الوارد في شأنه، والمحث على صومه على لسان الأئمة عليهما السلام، لا لأجل أن نسخ الوجوب يبقى شيئاً من الرجحان فيه فيحكم باستحبابه كما ذكر، فإن ذلك غير معلوم.

### وأمّا صيام العاشر من محرم الحرام:

فإننا قدمنا - صدر البحث - كلام المحذث العصفور، صاحب المدائق (عطر الله تربته): «ومنها صوم يوم عاشوراء على وجه الحزن، كذا قيده جملة من الأصحاب، وكأنهم جعلوا ذلك وجه جمع بين الأخبار الواردة في صومه أمراً، ونهياً»<sup>(٣٠)</sup>، لكنه عليهما السلام ذهب بعد ذلك إلى حرمتها بقول مطلق، وحمل ما ورد في فضل ذلك اليوم على التقيّة، أو طعن في رواتها.

والّذى يظهر بعد ما سطّرناه لك:

أنّ أخبار الجواز لا تعارض أخبار التحرّيم، وبينهما كمال التباین الموضوعي؛ إذ ما ورد في الجواز على لسان النبي ﷺ - إلى زمن الباقر علیه السلام - الظاهر منه إرادة ذلك اليوم المعروف بين اليهود، وهو التاسع والعشر من تشرين بحسب ما ذكروه، وما ورد على لسان الصادق علیه السلام مباشرةً تلأحظُ فيه القرائن الحاقة بالخطاب، فقد تُحمل على ما ذكرنا، أو تُحمل على التقىة؛ لكون المقصود بها موافقة العامة المستحبّين لصوم العاشر من المحرم.

وعليه، فتبقى أخبار التحرّيم - وإن كان كثيرًا منها مبتلى بضعف السند، إلا أنّ كثرتها، واشتهرارها، واحتثار رواتها بالغ حدّ الاطمئنان بصدورها - بلا معارضٍ وبلا مقتضٍ لتقييدها بنية التبرّك، ولنختتم بذكر أحدّها:

منها: ما رواه الكليني في الكافي، عن الحسين بن علي الهاشمي، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، [عن أبيان، عن عبد الملك]، قال: سألتُ أبي عبد الله علیه السلام عن صوم تاسوعاء وعشوراء من شهر المحرم، فقال: تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين علیه السلام، وأصحابه جهه عنه بكريلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام، وأناخوا عليه، وفرح ابن مرjanة، وعمّر بن سعد بنوائل الخيل، وكثرتها، واستضعفوا فيه الحسين علیه السلام، وأصحابه (كرم الله وجوههم)، وأيقنوا أن لا يأتي الحسين علیه السلام ناصرًا، ولا يدّه أهل العراق، بأبي المستضعف الغريب. ثم قال: وأمّا يوم عاشوراء، في يوم أصيب فيه الحسين علیه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حوله، فأصوم يكون في ذلك اليوم؟! كلاماً، وربّ البيت المرام، ما هو يوم صوم، وما هو إلا يوم حزنٍ ومصيبة دخلت على أهل السماء، وأهل الأرض، وجميع المؤمنين، ويوم فرج، وسرورٍ لابن مرjanة، وأآل زياد، وأهل الشام، غضب الله عليهم، وعلى ذرّياتهم،



وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام، فمن صام - أو تبرك به - حشره الله مع آل زياد مسخن القلب، مسخوط عليه، ومن دخرا إلى منزله فيه ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه، وانتزع البركة عنه، وعن أهل بيته، ولولده، وشاركه الشيطان في جميع ذلك»<sup>(٣١)</sup>.

فإن السائل فيها خص يومي التاسع والعشر من محرم، وأجابه عليه السلام بحرمة الصوم، أو التبرك فيه، وتوعّد من صامه بعذابٍ أخرمي دال على المصير، ومؤكداً للحكم.

والحال لبسط المقال متسع، إلا أن المقام مقام اختصار، وإشارة، اقتصرنا فيه على المهم، بأوجز أسلوب، وأوضح عبارة.

## المواهش:

(١) الحدائق، ١٣: ٣٦٩.

(٢) التهذيب، ٤: ٢٩٩ / ح ١١.

(٣) إقبال الأعمال، ٣: ٥١.

(٤) جامع أحاديث الشيعة، ٩: ٤٧٥ / ح ١٠.

(٥) جامع أحاديث الشيعة، ٩: ٤٧٥ / ح ١١.

(٦) الكافي، ٤: ١٤٧ / ح ٧.

(٧) صحيح مسلم ٣: ١٥١ / باب (أي يوم يصوم في عاشوراء).

(٨) البخاري ٤: ١٢٦ / باب: (قول الله تعالى: ﴿وَكَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾).

- (٩) كتاب العين ١ : ٢٤٥ / باب : (العين، والشين، والراء) معهما.
- (١٠) لسان العرب ٨ : ٣٤ / مادة (تسع).
- (١١) لسان العرب ٤ : ٥٦٩ / مادة (عشر).
- (١٢) تاج العروس ١١ : ٤٥ / مادة (تسع).
- (١٣) تاج العروس ٧ : ٢٢٢ / مادة (عشر).
- (١٤) مجمع البحرين ٣ : ١٨٦ / مادة (عشر).
- (١٥) النهاية في غريب الحديث ٣ : ٢٤٠ / باب : (العين مع الشين).
- (١٦) القاموس المحيط ٢ : ٩٠
- (١٧) التهذيب ٤ : ٣٠٠ ح ١٢.
- (١٨) التهذيب ٤ : ٣٣٣ ح ١١٣
- (١٩) الفقيه ٢ : ٨٥ ح ١٨٠٠
- (٢٠) إقبال الأعمال ٣ : ٤٥ فصل ٧.
- (٢١) إن قلت: لعله قد صادف عاشوراء اليهود عاشوراء المسلمين والعرب، فلا يكن الجزم بكون المنظور إليه في الخطابات عاشوراء اليهود. قلنا: إن هذا الصوم قد صامه رسول الله ﷺ قبل هجرته إلى المدينة بحسب بعض الأخبار، وأمر بصيامه في السنة الأولى للهجرة، وهي لم تكن قد صادفت عاشر محرم؛ لوقوعها في شهر ربيع الأول، والمروي عن العامة متواتراً كون الأمر بصيامه أول دخوله المدينة.
- (٢٢) تاريخ المستبصر: فصل (ذكر شهور اليهود).
- (٢٣) التهذيب ٤ : ٣٠٠ ح ٩٠٧

.١١٩) رجال الشیخ: (٢٤)

.٢٠٨ ح / ٤٨ : ٢) الفقیہ (٢٥)

.٤٥٧ : ١٠) السائل (٢٦)

.٧ ح / ٤٥٨ - ٤٥٩ : ١٠) الوسائل (٢٧)

.٤ ح / ١٤٦ : ٤) الکافی (٢٨)

.٣ ح / ١٦٢ / ب ٢٢٧ : ١) علل الشرائع (٢٩)

.٣٦٩ : ١٣) الحدائق (٣٠)

.٢ ح / ١٤٧ : ٤) الکافی (٣١)

# كُي يبقى الدُّم أَدَاءً للمُصلِّين

## في التخيير والإصلاح

رائد ميرزا الستري

تمهيد:

إنَّ استشراء الفساد في الأرض يثْل كارثةً كبيرةً تتناقضُ والمُدْرُفُ الذي خلقَ اللهُ الإنسَانَ لأجلِهِ، وأودعَهُ هذهِ الأرضَ لتحقيقِهِ، فوجودُ الإنسَانَ في هذهِ الأرضِ وسَطِ إِحاطَتِهِ بِجَمِيعِ مَنِ الابتلاءاتِ المُخْتَلِفةُ، سُوَاءً مِنْهَا الابتلاءاتُ الَّتِي تَنْتَجُ مِنْ طبَيْعَةِ النَّفْسِ ذَاتِهِ، وَمِنْهَا الْحَيْوَانِيُّ وَتَصَارُعِهِ مَعَ الْجَانِبِ الرُّوحِيِّ، أَوْ تَلْكَ الَّتِي تَنْتَجُ مِنْ ظُرُوفِ خَارِجِيَّةٍ تُضِيفُ تَعْقِيدًا آخَرًا فِي صِرَاعِ الإنسَانِ مَعَ طَرْفِيهِ الْحَيْوَانِيِّ وَالرُّوحِيِّ.

وعندما يتغلّبُ الجانبُ الْحَيْوَانِيُّ فِي أَنَّاسٍ، تصطُنُعُ لَدِينَا شَخْصِيَّاتٌ، وإنْ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً فِي شَكْلِهَا عَنِ الْحَيْوَانَاتِ، وَلَكِنَّهَا لَا تُفْتَرِقُ قِيدًا غَلَّةً عَنْهَا، بَلْ هِيَ أَكْثَرُ شَرَاهَةً وَضَرَارًا، يَقُولُ الْبَارِي ﷺ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا \* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سِبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

توصِيفُ إِلَهِيٌّ دَقِيقٌ لِتَلْكَ الْفَتَّةِ الَّتِي ضَاعَتْ مِنْهَا الْأَرْوَاحُ، وَتَلَاشَى الْجَانِبُ الرُّوحِيُّ مِنْ كُلِّ كِيَانِهَا، بَعْدَمَا سَمِحَتْ لِلْهُوَى وَلِلْبَعْدِ الْحَيْوَانِيُّ مِنْ أَنْ يَتَحرَّكَ، وَيَصُولُ، وَيَجُولُ فِي كُلِّ كِيَانِهَا، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ انْقَلَبَتِ الإِنْسَانِيَّةُ فِيهِمْ إِلَى الْحَيْوَانِيَّةِ.

وبعد هذا الانقلاب لم تكن هناك أي قيمة للإنسان بحسب نظر المولى ﷺ، ولذلك كان على مستوىً واحداً مع الأنعام، لا يتمتع بأي امتياز عند الله، وقد يكون أشد انحطاطاً منها، فلا يمثل التطور الماديّ، أو التكنولوجيّ، أو غيرها - من جنباتٍ أخرى - قيمة عند الله، بعدما يذهب البعد الروحيّ ويتلاشى.

### كَيْ لَا تُنْحِرِفَ الْمَسِيرَةُ:

لكي يحافظ المولى على سير الإنسان نحو الهدف المنشود، أودع في نفس البشرية عناصر ومقوماتٍ تنهض ببعده الروحيّ، وتقويه متن ما أراد الإنسان ذلك. كما ويعيش بعث الأنبياء والرسل من قبل الله ﷺ علينا إضافياً لتكوينات النفس الحسّنة، وإمداداً من قبله للبشرية؛ كي تبقى على خط الرشاد والهدى، ولا تحيد عنه، يقول الله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

- وتتمثل الشريعة السمحاء أيضاً - بكل ما تشتمل عليه من تكاليف وأحكام - نوع إرشادٍ وهدايةٍ لصلاح الإنسان، والأحكام التي وردت في الشريعة الإسلامية يمكن لنا أن نقسمها على قسمين مهمين:  
الأول: هي تلك الأحكام التي تُلاحق حركة الفساد الداخليّ، النابع من ذات الإنسان ونفسه، وتحاول أن تبني عناصر ومقوماتٍ تنهض بالإنسان نحو كماله الذاتيّ، ومثال تلك الأحكام كثيرٌ منها: الصلاة، والصوم، والحج، وحرمة الزنا، واللواء، وغيرها.

**الثاني:** هي تلك الأحكام التي تلاحق حركة الفساد الخارجي التي تكون بالعادة إفرازاً طبيعياً من إفرازات فساد الأفراد، وتحاول هذه الأحكام أن تنهض بالمجتمع وبنائه نحو الكمال والفضيلة.

### **الأمر بالمعروف ملاحقة للفساد:**

تعد فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم التشريعات الإلهية التي يمثل تفعيلها نوع ملاحقة للفساد الذاتي، والجتمعي، ﴿وَلَتَكُنْ مِّنَ الظَّالِمِينَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وورد عن الإمام علي عليه السلام في وصيته للحسنين عليهما السلام عند الشهادة: «لا تتركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم»<sup>(٥)</sup>.

نعم، إن ترك الجو العام للفساد - ليتحرك حراً طليقاً كيما يحلو له - يؤول أمره بعد ذلك - بلا شك - إلى سيطرة تامة له، ولأصحابه، وتقلد للمفسدين لأعلى المراتب في المجتمع، وفساد الأرض وخرابها، ﴿ظَاهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذْيِقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، هذه هي النتيجة الطبيعية متى ما أهملت الرقابة والملاحقة للفساد، والمفسدين.

### **طرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة:**

يدرك الفقهاء في رسائلهم العملية مراتب لإنكار المنكر، والنهي عنه، تبدأ بالإنكار القلبي، وإظهار الكراهة القلبية، مثل تقطيبات الوجه، أو السكوت، وترك

الكلام، ثمّ إذا لم تتفع هذه الوسيلة انتقل إلى مرتبة الإنكار القولي، وباللسان، من خلال النصيحة، أو الموعظة، أو التقرير، ونحوه، ثمّ الإنكار باليد، وبال فعل، من خلال الضرب، ونحوه.

ويرى بعض الفقهاء - كمثل السيد الحوئي قشيش<sup>(7)</sup> - أنّ الظاهر أنّ المرتبة الأولى والثانية كلاهما في عرضٍ واحدٍ، فقد نستعمل الثانية ونترك الأولى، أو بالعكس، أو نستعملهما معاً، كلّ ذلك خاضعٌ لتقدير أيّ الطرق سيكون لها التأثير في ردّ المرتكب للمنكر ونهيه.

ثمّ إذا لم تتفع هذه الطريقة انتقل إلى المرتبة الثالثة، وفي هذه المرتبة لابد من مراعاة الترتيب في مراتبها على الأحوط وجوباً، فلا يبدأ بالأشدّ مع كون الأقلّ منه كافٍ في التأثير، والردّ على المنكر.

### ثورة الطف.. حركة نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

مع بداية حركة الإمام الحسين عليهما السلام تحركت أهداف حركته معه؛ لتكون أهداف الثورة واضحة المعالم، ومحددة النقاط، تطلق في ذلك من سنته الله في إيانة الحق، وجعله واضح المعالم بإزاء الباطل وزيفه، ﴿لَئِلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾<sup>(8)</sup>.  
فما إن تقرأ الكلمات التي قالها الإمام الحسين عليهما السلام في مواضع مختلفة، حتى تجد مثل هذه الكلمة شاخصةً للعيان واضحةً، وهي: «وأني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظلماً، وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدي عليهما السلام، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي، وأبي عليّ ابن أبي طالب عليهما السلام»<sup>(9)</sup>.  
فهدف الإصلاح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو هدف حركة الإمام عليهما السلام، وثورته.

## لماذا وصلت المواجهة حتى الشهادة؟!

إذن حركة الإمام الحسين عليهما السلام تعدّ تجربةً عمليةً في مواجهة الانحراف، وصل بها الإمام عليهما السلام إلى أقصى مراتب المواجهة، وهي المواجهة بالعنف، وبالدم. ومن هنا يجد المصلحون ثورة الإمام عليهما السلام مادةً مهمةً للدراسة، تتعدد على ضوئها معالم الرتبية بين الأسلوب السلمي في التغيير والإصلاح، وأسلوب المواجهة بالعنف.

إذ الملاحظ للترتيب الذي يذكره الفقهاء في مراتب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يجد أنّ البداية بالطريقة السلمية في معالجة المنكر - ما دامت محتملة المنفعة والجدوى في مواجهة الفساد - لا يُنتقل منها إلى المواجهة بالعنف، بل إنّ الانتقال إلى هذه المرتبة من المواجهة بحاجةٍ إلى إذن من الفقيه، إن كان يستلزم جرحاً، أو خدشاً، ونحو ذلك من تفاصيل تُبحث في محلّها، تُشدّد وتتضيق في جملها الخناق؛ كي لا نصل بالمسألة إلى هذه المرتبة.

ومن هنا ندخل في عمق المسألة التي أردنا أن نتناولها، وهي: إذا كانت المسألة كذلك، فإذاً لماذا كانت ثورة الإمام الحسين عليهما السلام؟! إذ قد يقول قائلٌ: إنّ ثورة الإمام تعدّ مواجهةً للانحراف، وحركةً للتصحيح والإصلاح، عن طريق المواجهة، والعنف، وهذه المرتبة لا يُوصل لها إلاّ بعد استنفاد المراتب الأخرى!

## هل كانت أمام الإمام عليهما السلام خياراتٌ غير المواجهة؟

بتتبع النصوص الوالصة لنا عن حركة الإمام الحسين عليهما السلام نحو الثورة، يمكن لنا أن نذكر الخيارات الأخرى التي ذُكرت للإمام الحسين عليهما السلام من قبل البعض، بعض النظر الآن عن تفصيل صحتها وسقمتها، وهي كالتالي:

### الأول: خيار المبايعة والتصالح:

وهذا الخيار أشار به ابن عمر، عندما لقي الإمام الحسين عليه السلام وابن الزبير، إذ قال لهما: (أذكر كما الله إلا رجعتما، فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس، وتنظرا، فإن اجتمع الناس عليه لم تشذّ، وإن افترق الناس عليه كان الذي تريدان).<sup>(١٠)</sup> وهذا الذي أشار إليه ابن عمر في واقع أمره ينطلق من مبدأ قد سُيِّس، واستفاد منه البعض قبل أن يستفيد منه مثل يزيد وعاوية، وهو مبدأ الجماعة، والاجتماع، وعدم شقّ عصا الأمة، ونحوها من مفاهيم حاول القوم شرعنَة حكمهم من خلاها.

### الثاني: خيار الهروب والترىث:

وأبرز من اقترح هذا الخيار للإمام الحسين عليه السلام هو أخيه محمد بن الحنفيَّة عليهما السلام، حيث قال للإمام عليه السلام لما علم عزمه على الخروج عن المدينة: (يا أخي، أنت أحب الناس إليّ، وأعزّهم عليّ، ولست أدّخر النصيحة لأحدٍ من المخلق إلا لك، وأنت أحقّ بها، تنحّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية، وعن الأمسار ما استطعت، ثمّ ابعث رسلك إلى الناس، فادعهم إلى نفسك، فإن تابعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك، ولا عقلك، ولا تذهب به مروءتك، ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصرًا من هذه الأمسار، فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفةٌ معك، وأخرى عليك، فيقتتلون، فتكون أنت لأول الأسئلة، فإذا خير هذه الأمة كلّها نفسها، وأباً، وأمًا، أضيعها دمًا، وأذلّها أهلاً). فقال له الحسين عليه السلام: «فأين أذهب يا أخي؟» قال: انزل مكّة، فإن اطمأنت بك الدار بها فسبيل ذلك، وإن نبت بك، لحقت بالرمال، وشعب الجبال، وخرجت من بلدٍ إلى بلدٍ، حتى تنظر ما يصير أمر الناس إليه، فإنك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل

الأمر استقبلاً. فقال: «يا أخي، قد نصحت، وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً». فسار الحسين عليه السلام إلى مكة<sup>(١١)</sup>.

### الثالث: خيار المواجهة والشهادة:

وهو الخيار الذي وقع، وسار إليه الإمام عليه السلام، وربما كان مكان المواجهة مردداً حسب كلمات الناصحين للإمام عليه السلام بين ثلاث محالات أساسية هي:

١) مكة المكرمة.

٢) كربلاء العراق.

٣) اليمن.

### اختيار خيار الشهادة بكربلا عن علمٍ:

الخيار مكة المكرمة خيار استبعده الإمام عليه السلام في قوله لأخيه ابن الحنفيّة: «يا أخي، قد خفتُ أن يغتالي يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت»<sup>(١٢)</sup>.

فالإمام عليه السلام على علمٍ بما سئول إليه الأمور من خذلان، وسكتوت، فأراد أن تكون الجريمة جريمة تتعلق بإهراق دمه دون أن تقترب بجريمة هتك بيت الله الحرام؛ لتبقى حرم الله الأخرى محفوظةً، ولا يكون هو سبباً لهتكها، بعدها كانت هناك خياراتٌ أخرى في الخروج من مكة، تتحقق نفس مستوى الأهداف التي أرادها الإمام عليه السلام.

كما وأننا لو فرضنا مكة كانت هي الخيار، لأمكن ليزيد - بعد أن يجهز على الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام - أن يرمي البيت، وبيني الكعبة، ويشوه صورة الإمام الحسين عليه السلام، ويصور المسألة على أساس أنه عليه السلام هو السبب في هتك حرمة بيت الله، كما فعل بابن الزبير.

ويظهر من ترجيح الإمام لخيار السير لأهل العراق - مع علمه أنهم قاتلوه بقوله عليه السلام: «هذه كتب أهل الكوفة إلى، ولا أراهم إلا قاتلي»<sup>(١٣)</sup> - أن هناك حيشيات مهمة ترتبط بالعراق ذاته.

فالمتتبع لكلمات الإمام عليه السلام لا يمكن أن يصرف نظره عن الكلمة المأهولة من الكلمات التي ينبع فيها الإمام عليه السلام نفسه، فالسير إلى العراق ما كان إلا سيراً نحو المسرع، ومحل الدفن.

فها هو يخطب ويقول للناس: «خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وَلْدِ آدَمَ، مَخْطَطُ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاهِ، وَمَا أَوْهَنَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتَيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخَيْرِ لِي مَصْرَعُ أَنَا لَاقِيهِ، كَائِنِي بِأَوْصَالِي يَتَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَّاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ، فَيَمْلَأُنَّ مِنِّي أَكْرَاشًا جُوفًا، وَأَجْرَبَةً سُعبًا، لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلْمَنِ»<sup>(١٤)</sup>.

وهي كلمات صريحة في أن مآل أمره إلى الشهادة، والقتل، فلذلك من غير المحتمل ما يذكره البعض من أن الشهادة فرضت على الإمام عليه السلام فرضاً، نظراً لسوء اختيار الإمام لخيار العراق، نعم، هي بالمقاييس الشرعية كما سنوضح لاحقاً فرضت كتكليف شرعي على الإمام عليه السلام.

فليس من الصحيح ما يصوره البعض من أن الإمام عليه السلام وكأنه عليه السلام - حاشاه - لا خبر له بطبيعة الناس آنذاك، وبظروف الأوضاع العامة، مع أن المسألة كانت جليلة جداً، واضحة في رجحان الخذلان على النصر، حتى لمثل محمد بن الحنفية، وابن عباس، والفرزدق، وغيرهم، فكتير أولئك الذين قالوا للإمام عليه السلام بأن أهل الكوفة يخذلونه، والإمام عليه السلام على علم بالكوفة وأهلها أكثر من غيره، فهو الذي خاض المuros مع أخيه، وكان مع أخيه، فكيف يخفى عليه مثل ذلك؟!

فلا نجد بعد ذلك كله إلا حصر مسيرة الإمام عليه السلام إلى العراق، إلا أنه نوع من اختيار محل المسرع، وهي كربلاء، فهو القائل لأخيه محمد: «أتاني رسول الله عليه السلام

بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، اخرج؛ فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال له ابن الحنفيّة: إنا لله، وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟! قال: قد قال لي عليه السلام: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»<sup>(١٥)</sup>.

تخطيطٌ وإعدادٌ مسبقٌ للشهادة، بخطيٍّ ثابتة، لم يثنها وصول خبر المذلان، وقتل مسلم وهاني عليهما السلام؛ ليزداد التأكيد على أن خطاه عليهما السلام كان نحو لقى الله عزوجل، مع ثلةٍ رابطة على الإيمان، وقد كان الإمام عليهما السلام يتعاهدهم، ويصفّهم، وينتقيهم، ويختبرهم في كلّ موضعٍ موضعٍ، حتّى يجيء بهم ذهب، فما كان إلا أن أرائهم مصارعهم، ومحالّ دفنهم، فثبتوا واستشهدوا.

### لماذا كربلاء العراق؟

فيتمكن لنا أن نفهم السر من خلال تعبيرات الإمام عليهما السلام: «الموعد حفرتي، وبقعني التي أستشهد فيها، وهي كربلاء، فإذا وردتها فاءً تونى»<sup>(١)</sup>، «ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكرباء؟! وقد اختارها الله يوم دح الأرض، وجعلها مقللاً لشيعتنا، ويكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة»<sup>(١٧)</sup>.

السر في كربلاء كان خفيّاً ومعيناً عند استشهاد الإمام عليهما السلام رغم هذه الكلمات، ولكن باتت هذه الكلمات اليوم واقعاً نتلمسه يوماً بعد يوم، وسيأتي يوم ظهور قائم آل بيت محمد عليهما السلام؛ ليصبح ما قاله الإمام الحسين عليهما السلام بكل حذافيره واضحاً، جلياً، لا ريب فيه.

فالعراق أصبحت بسبب وجود هذه المشاهد المباركة ملاداً للشيعة، وحصناً حسيناً لمذهب التشيع وأهله.

## لماذا اختار الإمام خيار الشهادة؟

من يقرأ ثورة الإمام علي عليه السلام لا ينبغي أن يتغاضل بقية الأدوار التي قام بها الأئمة عليهما السلام؛ فالشريعة واحدة، اعتمد الله في بيانها على مراحل من التطور والتدرج، فقد يصدر إمام حكماً عاماً مطلقاً، ويأتي إمام آخر يخصصه ويفيده.

وهذا النحو من التدرج ليس مقصوراً على جانب الأحكام الفقهية في جانب العبادات والمعاملات وحسب، وإنما هو نحو اعتمدته الباري حتى في مجال السياسة والدولة.

فبعد المخالفة لنص النبي عليهما السلام في الخلافة من بعده، ومال الحكم للخلفاء، يأتي الإمام علي عليه السلام بعد حينٍ ليعطي حكمه، ويبين نهجه، ويعيد الأمة إلى سيرة الرسول عليهما السلام.

وهكذا الأمر، تأتي ظروفٌ خاصةٌ تُجبر الإمام الحسن عليه السلام على الصلح مع معاوية، وتسيير الأمور، وتذهب الظنون بمعاوية حتى يُنصب ابنه خليفةً من بعده، متغاهلاً لبنود الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام.

وفعل معاوية هذا قد أنهى أمد - وصلاحية - الصلح المبرم، والإمام الحسن عليه السلام كان مدركاً لذلك، فلذا كان النص في الصلح على مال الأمر للإمام الحسين عليه السلام، لا ليزيد من بعد معاوية.

وهنا لابد من حركةٍ تسليط هذا التنصيب مصاديقته، وشرعنته، فيأتي دور الإمام الحسين عليه السلام لفصل الشرعية عن الحكم القائم، وهذا ما حصل، فلم يكتسب الحكم الأموي أي شرعيةٍ في نظر الناس بعد مقتل الحسين عليه السلام، وشهادته.

ثورة الإمام عليه السلام عزّزت في نفوس الناس، وأكّدت أنَّ الخلافة حقٌّ لأبناء بنت رسول الله عليهما السلام، إمامٌ بعد إمامٍ.

وهذا المعنى استغلّه العبّاسيون في الاستيلاء على الحكم، ولكن لما تكشفت نوایاهم زالت عن حكمهم الشرعية، وفعل المأمون من خلال تنصيبه الإمام الرضا عليه السلام في ولایة العهد محاولةً لاكتساب الشرعية والحاکمية من قبل الله، ومن قبل رسوله عليه السلام، بعدما زالت عن حكم آل العباس أيضًا.

فهذا إذن ما أراده الإمام عليه السلام، سلب الشرعية لأي حكمٍ وخلافة سوى خلافة أهل البيت عليه السلام، ولأجل ذلك تعد ثورة الإمام عليه السلام تمهيداً لظهور الإمام الحجة عليه السلام، لأنّها رسمت هذا المفهوم، وأعطت الشرعية لحكم الإمام عليه السلام، وضرورة خروجه قبل أن يولد، وقبل أن يخرج.

أمّا الأمر الآخر فهو: أنّ ثورة الطف أعادت للأدوات والأساليب في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر تمازجها الذي يجب أن يبقى، ويحافظ على شخوصه، هذا التمازج يتمثّل في التأكيد على مسألة في غاية الأهميّة، ورسالة تُرفع في وجه كلّ ظالم، وهي:

كما أنّ هناك طریقاً سلیمانیّاً يمكن للمصلحین أن یسلکوه، فکذلك هناك المواجهة، والعنف، والدم الذي يكن أن یفعّلوه، وینشطوه، ویقدّموه متى ما اقتضت الحاجة. كربلاء، ذلك البركان الذي لا يهدأ، فما زالت ذكرها تُحدث رعباً في قلوب الظلمة والجبابرة، إحياءها السنوي يعطي شحذاً في نفوس المؤمنين والغيارى نحو التحرّك والتغيير، وإرخاص الغالي والثمين لهذا الدين الحنيف، فلا يكفي بالإنسان أن يقرأ الشهادة مفهوماً، وإنما لابد له أن یعيشها قلباً، وفعلاً، وثورة الإمام عليه السلام تعدّ الحاضن والمدرسة التي يتربّى فيها الإنسان على الشهادة، وتغرس في قلبه الشوق، والحبّ لها.

فتتحرّك الإمام عَلَيْهِ الْحَسَنَاتُ نحو الشهادة كان بداع التكليف الشرعي في بيان هذه الحيثيات؛ إذ لو لم يتحرّك عَلَيْهِ الْحَسَنَاتُ لحدثت في الدين مفسدة لا يمكن جبرها، شرعية الحكم الجائر، وسكتوت عن انتهاك حرمات الله، وعن ارتكاب معاصيه، فدفعاً لهذه المفسدة، كانت الضرورة لتحويل الأسلوب من السلم إلى المواجهة بالدم.

### الخلاصة:

آمل أنني قد وفّقت في بيان النقاط التالية:

- ١) فاعلية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مطلوبة دوماً، نحفظ أنفسنا ومجتمعنا من خلاها.
- ٢) إن حركة الإمام الحسين عَلَيْهِ الْحَسَنَاتُ نحو التغيير، والإصلاح، وتطبيق لفرضية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
- ٣) إن الإمام عَلَيْهِ الْحَسَنَاتُ تحرّك في حركته من الأول نحو التضحية، والفداء.
- ٤) لابد أن تكون أداة الدم والمواجهة شاخصة، كأداة يلجأ لها المصلحون متى ما اقتضت الضرورة، وفقاً لضوابطها الشرعية، لا أنها تعطل، وتترك.

### المواهش:

- (١) سورة الفرقان، ٤٣-٤٤.
- (٢) سورة الصاف، ٩.
- (٣) سورة آل عمران، ١٠٤.
- (٤) سورة البقرة، ٢٥١.
- (٥) الري شهري، ميزان الحكمة، [٤-١]، ط١، دار الحديث، قم - ايران، ج٣، ص١٩٤٥.
- (٦) سورة الروم، ٤١.

- (٧) راجع منهاج الصالحين، ج ١، باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
- (٨) سورة النساء، ١٦٥.
- (٩) معهد باقر العلوم علیه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين علیه السلام، ط ٣، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ص ٣٥٤.
- (١٠) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين علیه السلام، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط ٢، ١٤١٤هـ قم - ایران، ص ٢٦٣.
- (١١) الشيخ المفید، الإرشاد، تحقيق مؤسسة آل البيت علیهم السلام لإحياء التراث، دار المفید للطباعة والنشر، [١-٢]، ط ٢، ١٩٩٣م، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ٣٤.
- (١٢) السيد ابن طاووس، اللھوف في قتلی الطفواف، أنوار الھدی، ط ١، ١٤١٧، قم - ایران، ص ٣٩ - ٤٠.
- (١٣) ابن عساکر، ترجمة الإمام الحسين علیه السلام، ص ٣٠٨.
- (١٤) العلامة الجلسي، بحار الأنوار، تحقيق دار إحياء التراث العربي، [١١٠-١]، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م، ج ٤٤، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.
- (١٥) السيد ابن طاووس، اللھوف في قتلی الطفواف، ص ٤٠.
- (١٦) معهد باقر العلوم علیه السلام، موسوعة شهادة المعصومين علیهم السلام، انتشارات نور السجاد، [١-٣]، ط ١، قم - ایران، ج ٢، ص ٩٦.
- (١٧) المصدر نفسه.

# الآثار الحمائية لصفة الرضا

حسين علي أبو رويس

## مقدمة حول علم الأخلاق:

كَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعْثِتَ لِأَتَقْمِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>.

إنَّ جَمِيعَ النَّبِيِّينَ وَالرَّسُولَ جَاءُوا لِتَزْكِيَةِ وَتَطْهِيرِ الْإِنْسَانِ عَبْرَ أَهْمَّ عَنَاصِرِهِ وَأَجْزَائِهِ، وَهِيَ الْعِقْلُ، وَالرُّوحُ، وَالْجَسْمُ، فَجَاءَتْ عِلْمَوْنَ الْعِقْدَةِ لِتَصْبِيرِ الْعِقْلِ مُفْكَرًا فِي طَرِيقِ اللَّهِ جَلَّ جَلَلَهُ، وَجَاءَتِ الْأَحْكَامُ الشَّرِعِيَّةُ، الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِي الْعِبَادَاتِ، وَالْحَقُوقِ، وَالْوَاجِبَاتِ، وَالْأَخِيرَاتِ قَدْ يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ عَزَّ ذِيَّجَلَلَهُ، أَوْ بِالنَّاسِ، أَوْ بِالنَّفْسِ، فَلَكُلُّ مِنْهَا حَقُوقٌ وَوَاجِبَاتٌ، عَلَى الْإِنْسَانِ أَلَا يَتَهَوَّنُ فِي أَدَائِهَا.

وَجَاءَ عِلْمُ الْأَخْلَاقِ؛ لِتَزْكِيَةِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ مِنَ الرِّذَائِلِ، وَتَحْلِيلِهَا بِالْفَضَائِلِ؛ لِتَصْبِحَ نَقِيَّةً صَافِيَّةً، مُتَجَهَّةً صَوبَ الْكَمَالِ الإِلَهِيِّ.

وَمِنْ جَمِيلَةِ مَا ذَكَرَهُ عُلَمَاؤُنَا الْأَبْرَارُ أَنَّ أَشَرَفَ الْعِلُومِ وَأَفْضَلُهَا هُوَ عِلْمُ الْأَخْلَاقِ؛ لِأَنَّ شَرْفَ الْعِلْمِ يَكُونُ بِشَرْفِ مَوْضِعِهِ، وَالنَّفْسُ أَفْضَلُ مَوْجُودٍ أَوْجَدَهُ اللَّهُ عَزَّ ذِيَّجَلَلَهُ مِنْ بَيْنِ الْمَوْجُودَاتِ الْأُخْرَى.

وَيُسَنَّدُ هَذَا الْكَلَامُ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ جَامِعِ السَّعَادَاتِ، حِيثُ يَقُولُ: «لَا عَرَفْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِلْإِنْسَانِ تَتَوَقَّفُ عَلَى تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، الْمُمْكِنُ بِالْمَعَالِجَاتِ الْمُقْرَرَةِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، تَعْرِفُ أَنَّهَا أَشَرَفُ الْعِلُومِ، وَأَنْفَعُهَا؛ لِأَنَّ شَرْفَ كُلِّ عِلْمٍ إِنَّمَا بِشَرْفِ مَوْضِعِهِ، أَوْ غَايَتِهِ... وَمَوْضِعُ هَذَا الْعِلْمِ هُوَ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ الَّتِي هِيَ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ، وَلِبَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وعلم الأخلاق - كما تقدم - هو ذاك العلم الذي يجعل الفرد متخلّياً عن الرذائل، ومتخلّياً بالفضائل، ولربما تكون آية الكرسي مسندةً لهذا الكلام: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوهَةِ الْوُنْقَى لَا انْفَصَامَ هَذَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup>، فما لم تحصل التخلية فلن تحصل التخلية، وإن جاءت التخلية قبل التخلية فستكون كالثوب الذي يكون مليئاً بالأوساخ، ولا يقبل أي لونٍ من الألوان، فالذي يقوم ببعض الواجبات الأخلاقية من دون أن يخلّي نفسه، يكون كغير باطنه جيفةٌ عفنةٌ، وظاهره زينةٌ عطرةٌ.

ونركز هنا على أن الإسلام هو مدرسة مكارم الأخلاق، وعلى من يرנו إلى حقيقة الإسلام أن يتدرج في صفوف هذه المدرسة؛ ليصل إلى الكمال المطلق، ولا عبرة من كان الإسلام بالنسبة إليه مجرد نطقٍ بالشهادتين، فهو كالذى يذهب للمدرسة كل يوم، وينام في الصف إلى نهاية الدوام، فـ«يرجع بخفي حنين»!

وفي بحثنا هذا نحاول قراءة إحدى الصفات الأخلاقية التي دعينا إلى التحليل بها من قبل أهل البيت عليهما السلام، وهي: صفة الرضا، وسيكون البحث في محورين:

**المحور الأول:** وهو بيان لمفهوم الرضا عند أهل اللغة، وفي الاصطلاح.

**المحور الثاني:** وهو بيان لبعض الآثار العملية لهذه الصفة، التي تعكس آثارها على الفرد، والمجتمع.

### المحور الأول: الرضا في اللغة والاصطلاح:

**النقطة الأولى:** المعنى اللغوي للرضا:

ذكر ابن منظور في لسان العرب حول الرضا: ورضي، يرضي، رضاً - وهو مقصورٌ - ضد السخط<sup>(٤)</sup>.

وجاء في القاموس المحيط: رضي عنه، وعليه، يرضي، رضاً، ورضواناً، وأرضاه:  
أعطاه ما يرضيه، واسترضاه، وترضاه: طلب رضاه، ورضيته، وبه: فهو مرضيٌّ  
ومرضيٌّ، والرضيٌّ: الضامن، والمحب<sup>(٥)</sup>.

### النقطة الثانية: المعنى الاصطلاحي للرضا:

جاء عن رسول الله ﷺ أنّه سُئلَ جبريل عليه السلام قائلًا: «فما تفسير الرضا؟» فقال  
جبريل: الراضي لا يسخط على سيده، أصاب من الدنيا أم لم يصب، ولا يرضى  
لنفسه باليسir من العمل»<sup>(٦)</sup>.

صفة الرضا هي من الصفات الأخلاقية المهمة جداً، والتي يجب على كل مؤمن أن يكون متحلياً بها، وقد ذكر علماء الأخلاق أكثر من تعريف هذه الصفة الطيبة، ولا حاجة لذكرها جميعاً، فجميعها يصب في مصب واحد، حيث نستطيع القول أن الرضا: (هو قنوع الإنسان، وتركه للاعتراض، والسخط، باطنًا، وظاهرًا، قوله، وفعلًا).

ولكي نتعمق أكثر في معنى الرضا، نشير إلى نكتتين مهمتين، تساهمان في توضيح معنى الرضا بشكل أوسع:

### النكتة الأولى: صفة الرضا من لوازم المحبة:

الحب الحقيقي هو ذاك التعلق والميل الذي يجعل المحب راضياً عن كل قولٍ - أو فعلٍ - يصدر من المحبوب، فالزوجة الحبة لزوجها - مثلاً - تكون راضية عن كل قولٍ - أو فعلٍ - يصدر من زوجها بسبب حبها له، هذا مثال للحب المادي، ولكن الحب الحقيقي هو الحب المعنوي المرتبط بالله تعالى.  
فكيف هو حبنا لله تبارك وتعالى؟!

هل حبّنا له يجعلنا راضين عن كلّ ما قدر لنا؟!  
نحن نعلم جميّعاً أنّ حبه عَجَلُكَ هو أصل كلّ حبٍ، وأيُّ حبٍ لا يكون في طول حبّه  
فهو حبٌ شيطانيٌّ، يهلك صاحبه، ويرديه إلى بئس المصير.  
إذن حبّنا لله تعالى يجب أن يجعلنا راضين بكلّ شيء يصدر تحت ظلِّ الإرادة  
الإلهيّة، فالمحبُّ حقيقةُ الله تعالى هو الّذى يفني إرادته في إرادة الله تعالى، ويؤكّد هذا  
المعنى ما ذكره السيد الإمام قاسم في كتاب: (الأربعون حدیثاً)، حيث عبر عن الإنسان  
الراضي بقوله: «يكون قد أفنى إرادته في إرادة الله، فلا يختار لنفسه شيئاً»<sup>(7)</sup>.

### النكتة الثانية: مفهوم خاطئ:

قد يسأل البعض عن حقيقة صفة الرضا، فهل هي القبول بالواقع والرکون له؟ أم  
هي عدم القبول بالواقع بتغيير كيفيته؟  
فهناك مفهوم خاطئ لدى الكثيرين الّذين اعتقدوا بأنّ الرضا هو الاستسلام  
للواقع، أو السكون أمامه، وعدم الحركة، فصفة الرضا هي تغيير الحركة، والتأثير في  
الواقع المعاش، وليس هي الاستسلام، والخضوع الّذى يدعى به البعض.  
وهذا ما عبر عنه الشهيد مطهري عليه السلام في كتابه: (الملحمة الحسينية)، حيث قال:  
«إنّ الرضا والتسليم للأمر الإلهيّ لا يعني السكوت، والسكون، والتوقف عن الحركة،  
بل تغيير كيفية الحركة»<sup>(8)</sup>.

فالحسين عليه السلام لم يخضع للظروف المحيطة به، ولم يركن للظلم، بل حاول أن يغيّر  
كيفيّة حركته، وهذا التغيير منطلقٌ من الأمر الإلهيّ الّذى يجعله يدافع عن الإسلام،  
ويحفظه، ويصونه بأيّ وسيلة يكون فيها رضاً للأمر الإلهيّ، فهو راضٍ بما تليه عليه  
الإرادة الإلهيّة، ومسلّمٌ تسليماً مطلقاً.

يعكس من تنازل وضعف أمام الظروف المحيطة به، ولم يحرك ساكناً، كابن عمر الذي لزم بيته؛ ظلتاً أنه بهذا يحقق رضا الباري جل وعلا.

فعديدة هي الفروق بين من سكت وسكن أمام الظروف المحيطة به، وبين من غيره كيفية حركته؛ من أجل أن يؤثر في الظروف والأوضاع، لا هي التي تؤثر فيه، ونذكر هنا - من خلال ثورة كربلاء - ما تتميز به حركة التغيير، وعدم الركون للواقع:

**الأول:** ثورة الإمام علي عليه السلام - ونهضته - كانت بيد التدبير والتخطيط الإلهي فالله عز وجل هو المدبر والمخطط لهذه النهضة، فكانت إرادة الإمام علي عليه السلام هي إرادة الباري جل وعلا.

وعندما نقول: (إن إرادة الإمام علي عليه السلام هي إرادة الله تعالى)، لا نعني بذلك أن الإمام علي عليه السلام مجرّد مقيّد بالإرادة الإلهية، بل نعني ما ذكرناه سابقاً من كلام الإمام الخميني العظيم قده، بأن الإمام الحسين عليه السلام قد أفنى إرادته في إرادة الله تعالى، فكل ما يوافق إرادة الله عز وجل تعلّقت به إرادة الإمام علي عليه السلام.

**الثاني:** أن الإمام الحسين عليه السلام كان عارفاً بما سيجري عليه - وعلى أهل بيته - من قتل، وسلب، ونهب، وسيطرة، وتشريد، ولكن - مع كل ذلك - كان راضياً بما سيجري عليه؛ لأنّه تحت عين الله عز وجل، وبرعايته.

وممّا يدلّ على ما ذكرناه هو مقولته الشهيرة، عندما أراد الخروج من أرض مكة المكرمة: «كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملأ مني أكراساً جوفاً، وأجربة سغباً، لا محيس عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضاناً أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين...»<sup>(٩)</sup>.

**الثالث:** هو تجسيد الإمام عَلَيْهِ السَّلَام حالة الانصياع للقيادة في أعلى درجاتها، فاتباعه كان الاتّباع التام - والمطلق - للأوامر الإلهية، فقام بثورته - ثورة الصمود، والإباء - اتّباعاً لأمر الإله، لا لأي دافع آخر، وكأنّي بلسان حاله يقول:

تركتَ الخلق طرّاً في هواكَ وَأَيْنَمَتِ العيال لكي أراكَ  
فلو قطّعني في الحب إرباً لما مال الفؤاد إلى سواكَ

**الرابع:** أنَّ هذا الانصياع، وهذا الذوبان في القيادة، منشؤه هو العشق، والحب، الذي يتجسد في العبادات، فلو تأملنا قليلاً في ثورة الطف لوجدنا أنها تمثل منظومةً عباديَّةً لم يشهدها التاريخ من قبل، ولا من بعد.

### **المحور الثاني: الآثار العملية لصفة الرضا:**

كثيرة هي الآثار والفوائد العملية لصفة الرضا، ونستعرض هنا مجموعةً من النقاط التي نوضح فيها أهميَّة هذه الصفة، وما تعكسه من آثار إيجابية في بناء الشخصية الإيمانية الرسالية؛ لتكون مقدمةً للخوض في بحر رضا سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَام.

### **النقطة الأولى: فضيلة الرضا:**

صفة الرضا هي من أشرف الصفات، وأفضلها، وأرقها درجةً، ورتبةً؛ فهي - كما ورد في الحديث عن سيد الساجدين، وزين العبادين عَلَيْهِ السَّلَام - تفوق مرتبة الزهد، ومرتبة الورع، ومرتبة اليقين، حيث قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَام: «أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا»<sup>(١٠)</sup>.

وقد تعرَّض أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلام في كلماتهم كثيراً لهذه الصفة، ونذكر هنا بعضًا من كلماتهم؛ لبيان فضيلة هذه الصفة، وعظمتها:

## ١) الرضا علامة الإيمان:

جاء عن إمامنا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعلموا أنه لن يؤمن عبدٌ من عبيده حتى يرضي عن الله فيما صَنَعَ الله إِلَيْهِ، وصنع به، على ما أَحَبَّ وكره»<sup>(١١)</sup>.  
هناك إشارة مهمّة في هذا الحديث المبارك علينا الالتفات لها، وهي أنّ حقيقة الإيمان لا تكتمل في شخصيّة إِلَّا وقد تحّلت هذه الشخصية بصفة الرضا، فالمؤمن الحقيقيّ راضٍ بكلّ ما يجري في السراء، أو الضراء.  
والإشارة الأخرى هي: أنّ الراضي بما قدر له الله تعالى، يجب أن يكون رضاه في ما أحبّ، وما كره، فقد يقدّر الله تعالى لِإِنْسَانٍ حِيَاً سعيدةً هائنةً، فيكون راضياً، ومن ثُمّ يبتليه بالفقر، أو المرض، فيسخط، ويعترض على الله تبارك وتعالى، فمثل هذا الإنسان لا يكون قد وصل لحقيقة الرضا.

## ٢) الراحة في الرضا:

ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من رَضِيَّ من الله بما قَسِّمَ له، استراح بدنه»<sup>(١٢)</sup>.

الإنسان الراضي تراه قد سلّم كلّ أموره لله تبارك وتعالى، فنفسه مطمئنةٌ هادئةٌ، وكذلك جسمه يكون سليماً من الأمراض، والعلل، فاستقرار الوضع النفسي للإنسان يساهم في الحدّ من تعرّضه للأمراض، والعلم الحديث قد أثبتت هذا الترابط والتلازم بين الحالة النفسيّة للإنسان، وبين بدنـه وجسمـه.

وفي حياتنا العملية نجد الكثير من أصحاب الأموال والسلطة ساخطين على ما رزقهم الله تعالى، ومتنكّرين لما تفضّل به عليهم، طالبين لأموال أكثر، وجاه أكبر، فيدفعهم هذا السخط إلى سلب حقوق الناس، والاعتداء عليهم، فيعيشون في صراع

دائمٍ مع الشعوب، وسلطتهم - وجاههم - يكون ظاهريًا، بينما هم في الداخل يقاسون من التعب النفسي، والجسمي في نفس الوقت.

#### (٣) الغنى ثمرة الرضا:

قال رسول الله ﷺ: «ارض بقسم الله، تكن أغني الناس»<sup>(١٣)</sup>. جاء في الرواية المزبورة ذكر (الغنى)، والمتبادر للذهن بدايةً عند قراءتها هو: أن الغنى المقصود هو الغنى المعنوي الروحي؛ لأن الحديث بقصد بيان فضيلة إحدى الكلمات الأخلاقية، فالرضا حالة نفسية روحية، تضفي على صاحبها صفاء ونقاءً كبيراً جداً، ولكن في نفس الوقت يمكن أن يكون الغنى أعمّ، فيشمل حتى الغنى المادي، فالذى رضي بما قسمه له ربّه من رزقٍ وخيرٍ يضاعف الباري جلّ وعلا رزقه، ويبارك له فيه، فتصبح نفسه مطمئنةٌ هادئةً، وكذلك يكون رزقه واسعاً، وخيره كثيراً.

#### (٤) الرضا سبب استجابة الدعاء:

جاء عن إمامنا الحسن الزكي عليه السلام قوله: «أنا الضامن لمن لا يهْجِسُ في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فَيُسْتَجَابُ له»<sup>(١٤)</sup>.

استجابة الدعاء لا تتحصل للساخط والمعرض على الذات الإلهية المقدسة، فهذا السخط والاعتراض يجعل الكثير من المواقع والحجب بينه وبين ربّه، فدعاؤه يصير محظياً غير مستجاب، ويؤيد ذلك قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام دعاء كميل: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء»، فربما يكون السخط أحد تلك الذنوب التي توجب حبس الدعاء، وعدم استجابته.

والتوفيق لاستجابة الدعاء هو غاية يسعى لأجلها الكثير من الناس، ولكن القليل منهم يوفق لبلوغها؛ لوجود موانع وحججاً تسدّ طريق استجابة الدعاء، والمانع

قد يكون في بعض الأحيان أنَّ الواحد متأملاً لا يعرف كيف يدعو الله تبارك وتعالى، فيظهر استياءه واعتراضه - مثلاً - من دون قصدٍ، أو يعتبر نفسه مستحقاً لكمالٍ معينٍ، ففي المثالين نكون قد اعترضنا على الذات الإلهية المقدسة، مع عدم إحساسنا بذلك، فنُحرِّم من استجابة الدعاء.

ومن هنا فعلينا أن نهتم بقراءة أدعية أهل البيت عليهما السلام؛ لأنهم هم أصفياء الله تعالى، وأحبابه، الذين يعرفون على أيٍّ صورةٍ يكون دعاء العبد للمعبود، وعلى أيٍّ صورةٍ ينادي الحبيب المحبوب.

### النقطة الثانية: ملائكة الأجر والثواب:

قد يتساءل البعض متى عن الملائكة الحقيقية للثواب، والفضيلة بالنسبة للعمل، فهل حسن نفس العمل هو الملائكة في إدراك الثواب والأجر؟ أم أنَّ هناك شيئاً آخر وراء نفس العمل؟

نستطيع القول بأنَّ الملائكة الحقيقة ليس نفس العمل فحسب، بل للنية الخالصة الراضية عن هذا العمل أساسٌ في ملائكة الثواب والفضيلة، وسر التلازم هنا بين خلوص النية والرضا هو: أنَّ الرضا عن العمل أساسٌ لخلوص النية، وصفاتها.

وببيان ذلك: أنَّ العمل الصالح قد يحتاج لجهدٍ؛ ليصل العبد في نهاية المطاف إلى ثمرة هذا العمل، ولكنَّ هذا الجهد - إن لم يكن العبد متصرفاً معه بالرضا - قد يقوده نحو الشيطان؛ حيث يعظُّ الشيطان عمله، ويزينه في عينه، فيصير في نفسه كبرٌ، وكأنَّ له على الله تعالى حقٌّ يجب أن يؤديه له!

فالعبد الحقير المسكين الذي لا يملأ لنفسه نفعاً ولا ضرراً، صار متجرِّتاً على مولاه، مائتاً عليه بعدٍ من الركعات، أو بصيام بضعة أيامٍ، فلا يلتفت إلا وقد حُشر مع أصحاب النار، وبئس المصير.

### **النقطة الثالثة: الصبر على البلاء من الرضا:**

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَظِيمَ الْبَلَاءِ يُكَافِأُ بِهِ عَظِيمَ الْجَزَاءِ، وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهَ عَبْدًا ابْتَلَاهُ بِعَظِيمِ الْبَلَاءِ، فَمَنْ رَضِيَ لَهُ فَلَهُ الرَّضا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ سُخْطَ فَلَهُ السُّخْطُ»<sup>(١٥)</sup>.

عديدة هي الابلاءات - والامتحانات - التي تصيب الإنسان في هذه الدنيا، فهناك الفقر، والمرض، والمظلومية، وغيرها من المصائب، ومن جهة أخرى قد يكون الامتحان - والاختبار - في الأعمال الصالحة من الصوم، والصلوة، والزهد، والقناعة، وما ياثلها من الأعمال التي تحتاج لترويض النفس، وتهذيبها، فالإنسان إما أن يكون صابراً راضياً بما قدر له الباري جل جلاله، فيكون من المرضيin عنده تجلّ، مع الأولياء والصالحين، أو أن يعرض على التقدير الإلهي، فتراء قد خلع ثوب الأدب والحياء في محضر الذات الإلهية العظيمة، فيؤول مصيره إلى جهنّم، يصلها مذوماً مدحوراً.

### **النقطة الرابعة: ارتباط الرضا بالمحبة:**

الحب والعشق هو مصدر الرضا، ومنبعه، وكلما كان المحبوب أكثر أهمية بالنسبة للمحب، كان مستوى الرضا عنده أرقى، وأرفع، فعبد الله الصالحين الذين تحملوا صنوف العذابات والشدّات، لم يكن رضاهم - وصبرهم - ناتجاً عن لا شيء، بل لأنّهم تعلّقوا بالرحمة الإلهية، وبالجمال المطلق.

والرضا من هذه الزاوية - زاوية تحمل الألم، والتعب، والمشقة؛ لأجل المحبوب -

له مرتبان:

**المرتبة الأولى:** وهي المرتبة التي يشعر فيها المحب بالألم، ولكنه مع ذلك راضٍ بما قدر له؛ لشدة غرامه بمحبوبه، فكل ما يصدر من محبوبه حسنٌ، وطيبٌ.

**المرتبة الثانية:** وتحتَّمِيز هذه المرتبة عن سابقتها بأنَّ الحبَّ مع أَنَّه مجروحٌ، ومتأنِّمٌ، إلا أَنَّه لا يشعر بما ألمَّ به؛ فهو قد أَفْنى نفسه في محبوبه إلى حدٍّ أَنَّه لا يدرك ما أصابه إلا إذا رأى الدماء وهي تسيل، وتتصبَّب.

لَكُنْ أَحَبِّي، علينا ألا نغفل عن هذه الحقيقة، وهي: أنَّ المحبوب الحقيقِي هو الله تبارك وتعالى، فكُلُّما همَّنا وتهنَّنا في حبه والقرب منه، كُلُّما أكثر صبراً ورضاً على ما يعترفنا في هذه الدنيا الفانية، وأُبرز مثالٌ على هذا الهيام هو سيرة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام، وعلى الأَخْص سيرة مولانا أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَام، فلو تأمَّلنا قليلاً في سيرته لوجدنا الفناء المطلق، والذوبان التام في حبِّ الله جَلَّ جَلَّه.

#### خاتمة:

بعد ما تقدَّم من الحديث حول صفة الرضا نقول: إِنَّه علينا أن نؤمن بقضاء الله تعالى وقدره، فنتيقَّن بأنَّ كُلَّ ما قدرَه لنا هو من حكمته، وتدبيره، وأنَّ ما قدرَه لنا هو الأصلح لنا، وإنْ كانت نفوسنا تكرهه، ولا تقبل إليه، فنكون من عباده الصالحين، الَّذِين لا خوفُ عليهم، ولا هم يحزنون. وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله رب العالمين.

#### المواهش:

(١) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢١٠.

(٢) جامع السعادات، ج ١، ص ٣٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٤) لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٩١.

- (٥) القاموس المحيط، ص ٢٩٤.
- (٦) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٤٧٦.
- (٧) الأربعون حديثاً، ص ٢٤٧.
- (٨) الملهمة الحسينية، ص ٧١.
- (٩) اللهوف على قتلى الطفوف، ص ١٢٦.
- (١٠) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٤٧٥.
- (١١) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٤٧٥.
- (١٢) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٤٧٧.
- (١٣) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٤٧٧.
- (١٤) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٤٧٧.
- (١٥) الخصال، للشيخ الصدوق، باب الواحد، صفحة ٦٤.

## مناقشة كتاب

### (آل البيت وحقوقهم الشرعية)

الحلقة الثانية

(فضائل آل البيت في القرآن والسنّة)

حسن عبد الله القصّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،  
الْمَطْفُى الْأَجْدَمُ، الْمَنْصُورُ الْمُؤْيَدُ، أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٌ، وَآلِهِ الطَّيِّبَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ، الْغَرِّ  
الْمَيَامِينِ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمُ الرَّجْسَ، وَطَهَّرُهُمْ تَطْهِيرًا، وَأَوْجَبُ مُودَّتِهِمْ فِي كِتَابِهِ،  
وَأَخْصَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى وَلِيِّ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، وَإِمامِ الدَّهْرِ، الْحَجَّةَ بْنَ الْمُحَسَّنِ،  
أَرْوَاحُهُنَا لِتَرَابِ مَقْدِمَهُ الْفَدَاءِ.

جاء في صفحة (١٤ و ١٥) من الكتاب ما سطّره سماحة القاضي حول فضائل آل  
البيت في القرآن الكريم، وقد كلف نفسه كثيراً في اختصار ما جاء من الفضائل بحقّ  
أهل البيت عليهم السلام، فقد تطرق القاضي إلى آيتين مباركتين في فضل أهل البيت عليهم السلام،  
ولكن لو أردنا الإنصاف وذكر فضائل أهل البيت مما جاء في القرآن الكريم لاحتاجنا  
إلى تصنيف الكتب مما جاء بحقّهم عليهم السلام في القرآن الكريم.

#### مقدمة البحث:

لا يزال البحث قائماً حول ما ورد في كتاب: (آل البيت وحقوقهم الشرعية)، ولا  
زالت المناقشة مع سماحة القاضي الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش، وقد قلنا سابقاً

بأن سبب ردّنا على ما حوى هذا الكتيب لا يعود إلى تجديدٍ في الشبهات والمسائل، وإنما كان السبب في الرد على هذا الكتيب دون سواه بسبب توزيعه، وانتشاره بين صفوف الشباب المثقف الشيعي، وكان هذا التوزيع يهدف إلى إعطاء صورة ناصعة عن عقيدة أهل السنة بأهل البيت عليهما السلام، وسنحاول - إن شاء الله - في هذه الحلقة من السلسلة بيان قسم ما ورد من فضائل أهل البيت بحسب عقيدة أهل السنة.

وقد قام سماحة آية الله العظمى، الشيخ جعفر السبحانى بالرد على هذا الكتاب أيضاً، وهو مطبوع متداول في السوق.

### وقفة مع صاحب الكتاب:

ادعى صاحب كتاب: (آل البيت عليهما السلام، وحقوقهم الشرعية) بأنهم عرّفوا حق آل البيت، ولم يختصوا أهل البيت بعدد قليل، وكأن من قام الحق لهم هو أن تطلق عليهم أهل البيت فحسب، وجهل - أو تجاهل - التمسك بهم، والأخذ عنهم، وعما ورد منهم، فمجرد لقلقة لسانٍ بأنهم عرّفوا حقهم، وأحبّوهم، لا يكون كافياً لهم.

ولابد (في المقام) أن نفرق جيداً بين (آل البيت) وأهل البيت)، فالشيعة يقدسون، ويحترمون، ويتبعون أهل البيت، لا عموم آل البيت، فالعلاقة بين آل البيت وأهل البيت عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ، فكل أهل البيت من آل البيت، وليس كل آل البيت هم أهل البيت.

وممّا يؤيد ذلك ما ورد في أمالى الصدوقي، عندما سأله أبو بصير مولانا الصادق عليه السلام: من آل محمد؟ قال: ذريته. فقلت: من أهل بيته؟ قال: الأئمة الأوصياء. فقلت: من عترته؟ قال: أصحاب العباء. فقلت: من أمّته؟ قال: المؤمنون، الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عزوجل، المتمسكون بالثقلين، الذين أمروا

بالتسمّك بهما: كتاب الله، وعترته أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرًا، وهم الخليفتان على الأمة بعد رسول الله عليه وآله.

وأخيرًا، جاء الادعاء بأنّهم هم الذين يحبّون أهل البيت، ويتمسّكون بهم، وأنّي لقاضي أن يثبت ذلك؟! وهو - ومن سار على منواله - على مرأى منهم ومسمع بما فعله المحاكم المجررون والطواويت بأهل البيت، لما قتلواهم، وذبحوهم، وبنوا عليهم البيوت، وأخذوا يقتلونهم بالظنة، والتهمة بالتشيع، كما حصل في زمن معاوية، وابن زياد، ويزيد بن معاوية لعنة لهم، وكذلك قبل زمن الأمويين.

كما حصل بعد وفاة النبي الأكرم عليه وآله من الهجوم على دار الصديقة الطاهرة، فاطمة الزهراء عليها السلام، وأخذ علي ملبياً بحمل سيفه؛ ليتابع الخليفة الغاصب مقام الإمام عليّ ابن أبي طالب عليها السلام.

أوَ هل تُصدق هذه الدعوى، بعد أن قتلوا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بيد زوجته، بتغريبٍ من معاوية بتزويجها ابنه يزيد الفاجر لعن الله؟!

أوَ هل تُصدق هذه الدعوى، بعد أن قتلوا الإمام الحسين الشهيد بكرباء عليه السلام، وسلبه، وأخذ نسائه سبايا، يُطاف بهن من بلد إلى بلد؟!  
أوَ هل تُصدق هذه الدعوى، بعد أن قتلوا أولاد رسول الله، وشردواهم في البلدان؟!

كلا، والله، فمن رضي بهذه الظلمة الواقعة على آل الرسول عليه وآله لم يعرف حقوقهم، ولم يحبّهم أبداً، كيف نصدقكم في دعواكم هذه وأنتم لا زلتם تحترمون من أساء إليهم، وقتلهم، وشردتهم؟! كما تحترمون الباغي معاوية بن أبي سفيان لعن الله، وتحترمون يزيد لعن الله، الفاجر، الفاسق، اللعاب بالقردة، والضارب للطنابير، والشارب للخمر، القاتل للنفس المحترمة، الماتك لحرمة البيت الحرام، ومروان، وأبا الحكيم

طريد رسول الله ﷺ، وسائر بني أمية، الشجرة الملعونة في القرآن، وكذلك بني العباس، الذين سفكوا دماء أهل البيت علیهم السلام، واستباحوا الدماء، والأعراض، والأموال؛ من أجل تثبيت كرسي الخلافة.

كيف نصدقكم في دعوامكم هذه، وأنتم لا زلتם تحبون الأشخاص الذين آذوا النبي في أهل بيته، وتقدّسونهم، ولا ترضون عليهم أبداً؟

كيف نصدقكم في دعوامكم التمسك بهم، وأنتم منحرفون عنهم، تأخذون من أعدائهم، وتسيرون على منهج الحكام الظالمين لأهل البيت علیهم السلام، والغاصبين حقوقهم؟!

فالمنهج الذي تسيرون عليه هو ما ترتضيه السياسة المنحرفة عن منهج أهل البيت، فلذلك خالفتم جماعة المسلمين، وكفرتموهم.

حتى لو سلمنا أنكم أخذتم ذلك من الصحابة، فمن هم الصحابة الذين أخذتم منهم؟!

وهل أمرنا النبي الأكرم ﷺ أن نتمسّك بالصحابة؟! أم بأهل بيته، كما ورد متواتراً في حديث الثقلين؟!

وأماماً أحاديثكم في الصحابة فجملة منها موضوعة مفترأة على النبي الرحمة والمهدى علیه السلام، فهي من موضوعات أبي هريرة، وكتب الأخبار، وغيرهم من الرواة الذين اشتغلوا بالسلطة في تلك الأيام بدرارهم معدودة، كما هو حال حديث العشرة المبشررين بالجنة، وحديث: ( أصحابي كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم)!!

لقد اخترعتم لكم منهجاً حينما تعّرّتم وضلّلتم عن الطريق المستقيم، وقسّبتم بالصحابة الذين كانوا في أحلك الظروف يرجعون إلى أهل بيت العصمة والطهارة علیهم السلام، والتاريخ يشهد بذلك.

## وقفةٌ عند آية التطهير:

لا شك أنَّ الكاتب ملتزمٌ ومصرُ على تعميم فضيلة آية التطهير لكلِّ أهل النبيِّ الأكرم عليه وآله، حيثُ إنَّه لم يكتفِ بذكر المقطع الأخير من الآية، بل ذكر صدر الآية، وهي: ﴿وَقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرَّجَ الْجَاهْلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْمَنَ الصَّلَةَ وَآتَيْنَ الزَّكَةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقد ذكرنا في الحلقة الأولى بما فيه الكفاية حول هذه الآية المباركة، واحتراصها بالأشخاص الذين جلَّ لهم النبيُّ الأكرم عليه وآله بالكساء، وهذه الحادثة مما تناقلها الكثير من المفسِّرين والمؤرِّخين.

وقد قلنا فيما سبق بأنَّ زوجات النبيِّ الأكرم عليه وآله خارجاتٍ من ذيل الآية المباركة، والتي فيها تطهيرهم من رجس الذنوب والمعاصي.

لقد صرَّح جملةً من علماء التفسير - من قبيل الرازي في تفسيره - أنَّ هذه الآية تتضمَّن معنى العصمة لأهل البيت عليهم السلام، بمعنى عدم ارتكابهم للذنوب والمعاصي، مع قدرتهم على ذلك.

## السيِّدة عائشة نموذجاً:

وال تاريخ يشهد بأنَّ زوجات النبيِّ الأكرم عليه وآله لم يصلن إلى هذا المقام العالي، وذلك من خلال التتبع التاريخي، والتأمل في المواقف، فعلى سبيل المثال - لا الحصر - خروج عائشة بنت أبي بكرٍ لمحاربة إمام زمانها أمير المؤمنين علي عليهما السلام، وبتصريح الآية أنَّ القرآن الكريم أمرها بلزم بيتها، وعدم الخروج منه.

وكذلك موقفها تجاه الخليفة عثمان بن عفان، سواء في تأليب الناس على الخليفة، أو طلبها بدم عثمان.

ولا يفوتنـي أن أسائل سماحة القاضـي عن مقولـة أم المؤمنـين، السـيدة عائشـة بـنت أبي بـكر في حقـ الخليـفة الرـاشـد عـثـمـان بن عـفـانـ: (اقتـلـوا نـعـثـلاـ؛ فـقـدـ كـفـرـ).

### نماذج من موقف أم المؤمنين تجاه الخليفة قبل مقتله:

مرّ عبد الله بن عباس بعائشة - وقد ولّه عثمان الموسم - وهي عنـزلـ من منـازـلـ طـرـيقـهاـ، فـقـالـتـ: يا ابن عـبـاسـ، إـنـ اللهـ قدـ آـتـاكـ عـقـلاـ، وـفـهـماـ، وـبـيـانـاـ، فـإـيـاكـ أـنـ تـرـدـ النـاسـ عـنـ هـذـاـ الطـاغـيـةـ<sup>(١)</sup>.

وفي كتابِ لأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ - كتبـهـ لـمـاـ قـارـبـ الـبـصـرـةـ إـلـىـ طـلـحـةـ وـالـزـبـيرـ وـعـائـشـةـ - «... وـأـنـتـ ياـ عـائـشـةـ، فـإـنـكـ خـرـجـتـ مـنـ بـيـتـكـ عـاصـيـةـ اللهـ، وـلـرـسـوـلـهـ، تـطـلـبـيـنـ أـمـرـاـ كـانـ عـنـكـ مـوـضـوـعـاـ، ثـمـ تـزـعـمـيـنـ أـنـكـ تـرـيـدـيـنـ الإـلـصـاـحـ بـيـنـ الـسـلـمـيـنـ، فـخـبـرـيـنـ مـاـ لـلـنـسـاءـ وـقـوـدـ الـجـيـوشـ، وـالـبـرـوزـ لـلـرـجـالـ، وـالـوقـوعـ بـيـنـ أـهـلـ الـقـبـلـةـ، وـسـفـكـ الدـمـاءـ الـمـحـرـمـةـ؟! ثـمـ إـنـكـ طـلـبـتـ عـلـىـ زـعـمـكـ دـمـ عـثـمـانـ، وـمـاـ أـنـتـ وـذـاكـ؟! عـثـمـانـ رـجـلـ مـنـ بـنـيـ أـمـيـةـ، وـأـنـتـ مـنـ تـيـمـ، ثـمـ بـالـأـمـسـ تـقـولـيـنـ فـيـ مـلـأـ مـنـ أـصـحـابـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـيـلـهـ: اـقـتـلـواـ نـعـثـلاـ - قـتـلـهـ اللهـ -؛ فـقـدـ كـفـرـ. ثـمـ تـطـلـعـيـنـ الـيـوـمـ بـدـمـهـ؟! فـاتـقـيـ اللهـ، وـارـجـعـيـ إـلـىـ بـيـتـكـ، وـاسـبـلـيـ عـلـيـكـ سـتـرـكـ، وـالـسـلـامـ»<sup>(٢)</sup>.

فـإـمـاـ أـنـ تـكـوـنـ أـمـ المؤـمـنـيـنـ عـلـىـ صـوـابـ فـيـ مـقـولـتهاـ، وـمـظـلـومـيـةـ الـخـلـيـفـةـ، أـوـ أـنـهـ مـخـطـئـةـ فـيـ ذـلـكـ، وـعـلـىـ كـلـ جـوابـ سـيـكـونـ طـعـناـ فـيـ شـخـصـ لـاـ يـرـضـيـ القـاضـيـ بـالـطـعـنـ فـيـهـ.

وكلّ هذا يتنافي مع مقام تطهيرها من الرجس، هذا إذا سلّمنا بآيتها داخلة في ضمن من عصتهم الله من الرجس، وتطهيرها تطهيراً

### الخلاصة:

إنّ مثل المواقف المتقدمة للسيدة عائشة لا يمكن أن تجتمع مع العصمة التي تُفهم من الآيات، فكيف يمكننا أن نجمع بين الموقفين؛ بين العصمة التي أوجبها القرآن لأم المؤمنين عائشة، وبين مخالفتها لتصريح القرآن في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَ﴾؟!

### عودة للكاتب:

قال القاضي: (وجاء في صحيح مسلم، عن عائشة، قالت: (خرج النبي ﷺ (صلى الله عليه [والله] وسلم) غداً، وعليه مرتل من شعر أسود، ف جاء الحسن بن عليٌّ، فأدخله، ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾).

### من روایتكم أدینکم:

طبعاً المصدر من أهم مصادر أهل السنة والجماعة، ولا أحد منهم يمكنه الطعن فيه البينة، وأيضاً راوية هذه الرواية امرأة جليلة القدر، عظيمة المنزلة والمقام، كيف لا وهي أم المؤمنين السيدة عائشة؟! ولكن لنا أن نتأمل من جديد في هذه الرواية: أولاً: إذا كانت هذه الآية لعموم أهل النبي ﷺ - بما فيهم زوجاته، وأعمامه، وأبناؤهم -، لماذا لم تدخل أم المؤمنين عائشة معهم تحت الكساء؛ حتى تكون سادسة لهم؟! ولماذا لم يأمرها النبي ﷺ الأكرم ﷺ بالدخول؟!

**ثانياً:** لماذا لم يقرأ الآية من بدايتها؟! فإذا كانت الآية نازلة في مناسبة واحدة، كان من الأولى أن يقرأ الآية بما ورد في صدرها.

إن النبي الأكرم عليه وآله وآلـه وسلـه لا يمكنه أن يبدأ بصدر الآية؛ باعتبار أن صدرها يخالف ذيلها، والذيل فيه أرفع معانـي الطهارة، والعفة عن الذنوب، والأمر الأهم: أنه عليه وآله وآلـه وسلـه كان يتلو الآية بحضور الأنوار الأربعـة.

**ثالثاً:** لابد أن نرجع إلى سبب نزول هذه الآية المباركة، وهي قد نزلت في بيت أم المؤمنين السيدة أم سلمة، حيث قالت أم المؤمنين أم سلمة: إن هذه الآية قد نزلت في بيتهما، وهي همت أن تدخل معهم تحت الكساء، إلا أن النبي قال لها: لا، إنك إلى خير، إنك من زوجات النبي.

ولا يبعد أن النبي الأكرم عليه وآله وآلـه وسلـه قد فعل ذلك مراراً أمام زوجاته؛ حتى يثبت لهن أنهن لسن ممن عنـي بهم النص القرآني.

من أراد المزيد حول هذه الآية يمكنه أن يراجع مصادر التفسير والتاريخ في سبب نزول هذه الآية المباركة.

### وقفة مع آية المباهلة:

وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِعَنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِبِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي سبب نزول هذه الآية توادر عن علماء التفسير نزولها بشأن نصارى نجران، حينما دعاهم النبي الأكرم عليه وآله وآلـه وسلـه للإسلام، واعتراضهم على النبي الأكرم عليه وآله وآلـه وسلـه حينما وصف النبي الله عيسى بأنه بشر، واعتبروا كلام النبي الأكرم عليه وآله وآلـه وسلـه إهانـة

للمسيح عليه السلام، ولما اشتدت المناقشة فيما بينهم، دعاهم النبي الأكرم عليه وآله إلى المباهلة.

### ما نقله ابن عباس:

عن ابن عباس - وأخرج حديثه جمُ من الحفاظ - قال: إن رهطاً من نجران قدموا على النبي عليه وآله ... إلى أن قال: فسكت عنهم، فنزل الوحي: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾، ثم قال: وأيم الله أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أبا هلكم، ثم إنهم وعدوه إلى الغد، فلما أصبح رسول الله عليه وآله أقبل، ومعه علي، والحسن، والحسين، وفاطمة، وعند ذلك قال لهم الأسفاف: إني لأرى وجوهاً لو سألا الله أن يزيل الجبل لازاله، فلا تباهلو، فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراقي. فقال له: لا نباهلك<sup>(٤)</sup>.

وكما في بعض الروايات ذكرت أنه: إذا باهلنا بقومه باهلناه؛ فإنه ليسنبياً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصةً لم نباهله؛ فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا وهو صادق.

ما نقله الثعلبي في تفسيره عن مجاهد والكلبي: أنه عليه وآله لما دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر. فلما تخللوا قالوا للعاقب - وكان ذا رأيهم - يا عبد المسيح، ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معاشر النصارى أنّ محمداً نبياً مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قومنبياً قطًّ فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لنهلken، فإن أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم ... .

ومن خلال التأمل في مجموع هذه الروايات والنصوص المنقولة عن الحادثة، تتضح أهمية المباهلة أولاً لإثبات صدق النبي الأكرم عليه وآله، والأمر الآخر: إثبات درجة - ومقام - الذين أخرجتهم النبي لإثبات صحة دعواه، ويتبين ذلك في الكلمة

الأسقف: يا معاشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو سألاوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه  
لأزاله بها، فلا تباهلو، فتهلكوا.

#### احتجاج أمير المؤمنين بالحديث:

ذكر ابن حجر في الصواعق قال: أخرج الدارقطني أن علياً يوم الشورى احتجَّ  
على أهلها، فقال لهم: أنسدكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله عليه وآله في  
الرحم مني، ومن جعله عليه وآله نفسه، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه غيري؟! قالوا:  
اللهم لا.

فهذه منزلة أهل البيت عند النبي الأكرم عليه وآله، وهذا مقامهم يحدّثنا به القرآن  
الكريم، وخصوصاً ما يرتبط بأمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب من جعله نفساً  
له عليه وآله، حتى قالوا: بأنّ علياً له مقامات النبي كلّها، سوى النبوة. وهذا ما ذكره  
سماحة السيد علي الميلاني في بحثه (آية المباهلة)، حيث يقول: (... ولم يُخرج رسول  
الله إلاّ علياً، فكان علي نفس رسول الله، إلاّ أن كون علي نفس رسول الله بالمعنى  
ال حقيقي غير ممكن، فيكون بالمعنى المجازي هو المراد... فأقرب المجازات إلى المعنى  
ال حقيقي في مثل هذا المورد هو: أن يكون علياً مساوياً لرسول الله عليه وآله، إلاّ أن  
المساواة مع رسول الله في جميع الجهات - وفي جميع النواحي - حتى النبوة، لا.

فتخرج النبوة بالإجماع على أنه لا نبي بعد رسول الله، وتبقى بقية مزايا  
رسول الله، وخصوصيات رسول الله، وكمالات رسول الله موجودة في علي، بمقتضى  
آلية المباركة<sup>(٥)</sup>.

#### عودة للكاتب:

إن القاضي اكتفى بذكر هاتين الآيتين في فضائل أهل البيت عليهما السلام، ولكن ما جاء  
في حقّهم كثير وكثير، سواء بالعموم، أو الخصوص.

## عليٌّ في القرآن الكريم:

١) عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إنَّ القرآن أربعة أرباع، فربعُّه فينا أهل البيت خاصّةً، وربعُّه في أعدائنا، وربعُّه حلالٌ وحرامٌ، وربعُّه فرائض وأحكام، وإنَّ الله أنزل في عليٍّ كرائم القرآن»<sup>(٦)</sup>.

٢) عن ابن عباسٍ رضي الله عنه: «نزل في عليٍّ أكثر من ثلاثة آياتٍ في مدحه»<sup>(٧)</sup>.

٣) عن مجاهد قال: نزلت في عليٍّ سبعون آيةً، لم يشركه فيها أحدٌ<sup>(٨)</sup>.

٤) عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال: ليس من آياتٍ في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلاًّ وعلىٌ أميرها، وشريفها، ولقد عاتب الله أصحابَ محمدٍ في القرآن، وما ذكر علياً إلاًّ بخيرٍ.

٥) عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعليٍّ ابن أبي طالب. ونقل عنه أيضاً أنه كان يقول: ما لأحدٍ من الصحابة من الفضائل بالأسباب الصاحح ما لعليٍّ.

فهذا هو إمام القاضي يصرّح بأن ما جاء في فضل أمير المؤمنين لم يأت لأحدٍ من الصحابة كلّهم، فما لنا نراه يساوي غيره من الصحابة به، بل يفضل الآخرين عليه؟!

لمَ لم ينصف القارئ حينما أعرض عن ذكر فضائل أهل البيت، وإمامهم الأول؟!

لماذا أرجعَ الكاتب إلى صحيح البخاري<sup>(٩)</sup>، وصحيح مسلم بالذاتِ في الأخذ بروايات الفضائل؟! لا أدرى، لعلَّ الليبيب يدرى، وكما تعودنا، فإنَّ يد السياسة قد دخلتْ في هذا الكتيب الصغير أيضاً<sup>(١٠)</sup>.

## آية المودّة:

إضافةً لما ذكره سماحة القاضي، أحببتُ أن أذكر جملةً من الآيات التي نزلت في فضل أهل البيت عليهما السلام؛ وذلك تيمناً بذكرهم.

وممّا جاء في القرآن الكريم بفضل أهل البيت عليهما السلام آية المودّة، وهي قوله - عزَّ

من قائلٍ - ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(١١)</sup>.

إنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وبقيّة الأنبياء السابقين - لم ينتظروا من أقوامهم، وعشائرهم، وجماعاتهم أيَّ أجرٍ مقابل الدعوة الإلهية، ولقد بيّنت جملةً من الآيات هذا الأمر على لسان جملةٍ من الأنبياء، وإنما حصروا الأجر والجازة من الله، ﴿إِنَّ أَجْرَيِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.

ولمَّا جاء المسلمين للنبيِّ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ السَّلَامِ لكي يعطوه أجرًا على صبره وتحمّله ما لقي من وجهاء قريش، والشركين، ومن المنافقين، نزل الوحي أنَّ يَا مُحَمَّدَ قل: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾؛ اقتداءً بالأنبياء السابقين، ولكن بما أنَّ هذه الشريعة خاصة، وهي بحاجةٍ إلى من يبلغها إلى قيام الساعة، فربط قضية الأجر بقرباه ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وهذه توصيةٌ من النبيِّ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقرباه، حتَّى جاء المسلمين يسألون النبيِّ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مُوَدَّتُهُمْ؟ أو في نقلٍ آخر: مَنْ قَرَابَتْكَ الَّذِينَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا مُوَدَّتُهُمْ؟ قال: عَلَيْيِ، وفاطمة، وابناهما<sup>(١٢)</sup>.

هذه فضيلةٌ خاصَّةٌ بأهل البيت عليهما السلام، لا يشاركون فيها أحدٌ، وهذه الحبّة والمودّة إليهم خاصةً، لا كما يدعى الكاتب، وما يقرره من أنَّ الحبّة والمودّة لانتسابهم للنبيِّ الْأَكْرَمِ، وكأنَّما يريد أن يُلغِي الخصوصية لأهل البيت، وأنَّهم نالوا هذه الفضيلة والمنقبة فقط لأنَّهم أهل بيت النبيِّ.

### آية هل أتى:

وَمِمَّا جَاءَ فِي فَضْلِ أَهْلِ الْبَيْتِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا... ﴾<sup>(١٣)</sup>.

حيث ينقل ابن عباس أن الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر علي، وفاطمة، وفضة - جارية لهم - إنْ بَرِئَ مَمْبَهَا أَنْ يَصُومُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فشفيا، وما معهم من شيء، فاستقرض علي من شعون اليهودي ثلاثة أصوات من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم؛ ليفطروا، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم أهل بيته محمد ﷺ، مسكن من مساكين المسلمين، أطعموني، أطعمكم الله من موائد الجنة. فثاروه، وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيم، فثاروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين، وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ، فلما أبصرهم وهو يرتعشون كالفرارخ من شدة الجوع، قال: ما أشد ما يسوقني ما أرى بكم. وقام، وانطلق معهم إلى فاطمة في محابها، قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناه، فسأله ذلك، فنزل جبريل، وقال: خذها يا محمد، هنأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة.

### آية النجوى:

وهذه الآية من الآيات التي اختص بها أمير المؤمنين، ومولى الموحددين، أبو الحسن والحسين، عليّ ابن أبي طالب، (عليه آلاف التحية والسلام)، حيث لم يعمل بها إلا هو.

قال تعالى - موجهاً خطابه لل المسلمين :- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤).

وفي سبب نزول آية النجوى يذكر المفسرون أنّ الأغنياء كانوا قد أثروا مناجاة رسول الله ﷺ، وغلبوا الفقراء على المجالس عنده، حتى كره رسول الله ﷺ ذلك؛ لطول جلوسهم، ومناجاتهم، فأنزل الله الآية.

وأيضاً يذكر المفسرون بأنّ المسلمين بعد نزول هذه الآية المباركة لم يقوموا بمناجاة الرسول ﷺ، وأنّ الشخص الوحيد الذي عمل بهذه الآية هو علي ابن أبي طالب، حيث نقل الطبراني في تفسيره، والواحدي في أسباب النزول، وغيرهما على لسان عليّ ابن أبي طالب أنه قال: إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبله، ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى، كان عندي دينار، فبعثه عشرة دراهم، فكنت كلّما ناجيت رسول الله قدمت بين يدي نجواي درهماً.

وهناك الكثير من الآيات التي نزلت في فضل أهل البيت ﷺ، أو في الإمام عليّ ابن أبي طالب عليهما السلام بالخصوص، ولكن لم يسع الوقت لتسطيرها، نأمل في القريب العاجل أن ندون ما استطعنا تدوينه من فضائله، ومناقبه.

### الخلاصة:

إنّ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهما السلام أكثر من أن تحصى في هذا البيان، وإنّ كلمة الإمام أحمد بن حنبل لأبلغ في إثبات كثرة الفضائل والمناقب التي حازها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ومن خلال نفس كلمة الإمام أحمد نستشفّ بأنه عليه السلام

أفضل من سائر الصحابة، وهو الفاضل، وغيره مفضولٌ، والحمد لله الذي هدانا لهذا،  
وما كنّا لننهي لو لا أن هدانا الله.

#### المناقشة التاسعة:

بعد أن سرد المؤلف هذه التهم، واستغفل القارئ فيها، وأبان للجاهل بأنَّ هذه هي  
معتقدات الشيعة، جاء ليثبت للبساطة أنَّ عقيدة أهل السنة في أهل البيت هو ما  
قررها شيخه ابن تيمية، المعلن للنصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام، الطاعن في  
مقاماتهم، المنكر لفضلهم.

حيث نقل الكاتب عن شيخه ابن تيمية ما يلي:

(ويحبون - أي: أهل السنة والجماعة - أهل بيته رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتوّلونهم، ويحفظون فيهم وصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم [وآله] وسلّم)، حيث قال في يوم غدير خمٌّ: أذركم الله في أهل بيتي، أذركم الله في أهل  
بيتي).

لكي لا يكون كلامنا مجرّد دعوى وتهم ضد شيخهم ابن تيمية، نستعرض بعض  
ما بحثه الحقّ، آية الله السيد علي الميلاني حول شخصية ابن تيمية.

**وقفةٌ يسيرةٌ حول ابن تيمية ونطّبه العداء لأهل البيت عليهم السلام، وعلى**

**الخصوص إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام:**

نختصر المقام بذكر ما قاله الحقّ، آية الله السيد علي الميلاني خطيب حول بعض ابن  
تيمية لعليّ ابن أبي طالب عليه السلام:

(وأبدأ بحثي بكلمة لابن حجر العسقلاني الحافظ، بترجمته من كتاب: (الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة)، حيث يذكر قضايا مفصلة بترجمة ابن تيمية، وحوادث كلّها قابلة للذكر، إلاّ أني أكتفي بنقل ما يلي:

يقول الحافظ: وقال ابن تيمية في حق عليٍّ: أخطأ في سبعة عشر شيئاً، ثم خالف فيها نص الكتاب... إلى أن يقول: ومنهم من ينسبه - أي: ابن تيمية - إلى النفاق؛ لقوله في عليٍّ ما تقدم، - أي أنه أخطأ في سبعة عشر شيئاً، - ولقوله: إنه - أي: عليٍّ - كان مخدولاً حينما توجه. وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها. وإنما قاتل للرئاسة لا للديانة. ولقوله: إنه كان يحب الرئاسة. ولقوله: أسلم أبو بكر شيخاً يدرّي ما يقول، وعلىٌ أسلم صبياً، والصبي لا يصح إسلامه. وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل، وأن علياً مات وما نسيها.

فإنه شنع في ذلك، فألزموه بالنفاق، لقوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ): ولا يبغضك إلا منافق<sup>(١٥)</sup>.

ومن خلال كلمة ابن حجر، ولو وصفنا ابن تيمية بالمنافق، لم يكن ذلك بدعاً.

ثم يقول ابن تيمية في منهاجه:

(إِنَّ الْرَّافِضَةَ تَعْجَزُ عَنِ إِثْبَاتِ إِيمَانِ عَلِيٍّ وَعِدَالَتِهِ... فَإِنْ احْتَجُوا بِمَا تَوَاتَرَ مِنْ إِسْلَامِهِ، وَهَجْرَتِهِ، وَجَهَادِهِ، فَقَدْ تَوَاتَرَ إِسْلَامُ مَعَاوِيَةَ، وَيَزِيدَ، وَخَلْفَاءِ بَنِي أُمَّيَّةَ، وَبَنِي العَبَّاسِ، وَصَلَاتِهِمْ، وَصَيَامِهِمْ، وَجَهَادِهِمْ).

وفي مكان آخر قال:

(لَمْ يُرَفَّ أَنْ عَلِيًّا كَانَ يَبْغِضُهُ الْكُفَّارُ، وَالْمُنَافِقُونَ).

وأيضاً قال:

(كُلٌّ مَا جَاءَ فِي مَوْاقِفِهِ فِي الْغَزَوَاتِ - كُلٌّ ذَلِكَ - كَذَبٌ).

وإلى هنا نصل إلى ابن تيمية في إنكاره لفضائل أمير المؤمنين، ومولى المتقيين، وقائد الغرّ المحجّلين؛ حتى يتبيّن للقارئ المنصف: هل أنّ ابن تيمية وأتباعه - والمؤلف ممّن يتّبع شيخه ابن تيمية - عرفوا حقّهم، وحفظوا فضائلهم، أم هو زعمٌ لا يقوم عليه دليلٌ؟!

نترككم الآن مع نصب وعداء ابن تيمية بحقّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ:

- (١) حديث: «أنا مدينة العلم، وعلىٌ بابها»، يقول فيه:  
وحديث: «أنا مدينة العلم، وعلىٌ بابها» أضعف وأوهى، وهذا إنما يعدّ في  
الموضوعات (١).

مناقشة ابن تيمية:

ادعى المذكور بأنّ هذا الحديث موضوعٌ، مع أنّ من رواه كلٌّ من:

- أحمد بن حنبل.

- الترمذى.

- ابن جرير الطبرى.

- الحاكم النيسابورى.

- البىهقى.

- ابن الأثير.

- النووي.

- ابن حجر العسقلانى.

- السيوطى.

- ابن حجر المكّى.

وقد صحّحه غير واحدٍ من هؤلاء الأئمّة.

٢) وحول حديث: «أقضاكم عليٌّ»، يقول:

فهذا الحديث لم يثبت، وليس له إسنادٌ تقوم به الحجّة، لم يروه أحدٌ في السنن المشهورة، ولا المساند المعروفة، لا بإسنادٍ صحيحٍ، ولا ضعيفٍ، وإنما يروى من طريق من هو معروفٌ بالكذب<sup>(١٧)</sup>.

مناقشة ابن تيمية:

هذا الحديث موجودٌ في: صحيح البخاري، في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿مَا نَسْخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾، كما في الدر المنشور، وعن النسائي أيضاً، وابن الأنباري، ودلائل النبوة للبيهقي، وهو في الطبقات لابن سعد، وفي المسند لأحمد بن حنبل، وبترجمة الإمام علي عليه السلام من سنن ابن ماجة، وفي المستدرك على الصحيحين، وقد صحّه، وفي الاستيعاب، وأسد الغابة، وحلية الأولياء، وفي الرياض النبرة، وغيرها من الكتب<sup>(١٨)</sup>.

ويقول ابن تيمية:

وقوله - أي العلامة الحلي -: (ابن عباس تلميذ عليٍّ). كلام باطل<sup>(١٩)</sup>.

في مقام الرد:

يقول المناوي في فيض القدير بشرح حديث: «عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع عليٌّ»، يقول: ولذا كان - أي: الإمام علي عليه السلام - أعلم الناس بتفسيره....، إلى أن قال: حتى قال ابن عباس: ما أخذت من تفسيره - أي: تفسير القرآن - فعن عليٍّ<sup>(٢٠)</sup>.

ويقول أيضاً:

وأما قوله: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أفضاكم عليٌّ»، والقضاء يستلزم العلم والدين، فهذا الحديث لم يثبت، وليس له إسنادٌ تقوم به الحجّة، وقوله: «أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» أقوى إسناداً منه، والعلم بالحلال والحرام ينتمي للقضاء أعظم مما ينتمي للحلال والحرام<sup>(٢١)</sup>.

ويقول أيضاً:

والمعروف أنّ علياً أخذ العلم عن أبي بكر<sup>(٢٢)</sup>. للصدق حدود، والكذب لا حدود له، فتأمل.

ويقول أيضاً:

له - أي: لأمير المؤمنين - فتاوى كثيرة تخالف النصوص<sup>(٢٣)</sup>.

ويقول أيضاً:

وعثمان جمع القرآن كله بلا ريب، وكان أحياناً يقرؤه في ركعة، وعلى قد اختلف فيه، هل حفظ القرآن كله أم لا؟<sup>(٢٤)</sup> كانت هذه وقفة يسيرة حول أقوال ابن تيمية، - الذي عرف مقام أهل البيت، وأقر بفضائلهم كما يدعى المؤلف -، ومن أراد المزيد من دعاوه فليراجع منهاج السنة، هذا الكتاب المليء بالدعوى المفتراء على الأئمة، وعلى جميع علماء أهل السنة، وينسب لهم أقوالاً لم يقولوها، ويدلّس على الجهل، ومن لا فقه له، ولا علم. بعد هذه الوقفة نقول لهذا الكاتب الذي استغفل القارئ: أي فضيلة لعليّ ابن أبي طالب عليه السلام لم ينكرها؟! وماذا تبقى حتى ينكره؟! وهل تصدق الآن - أخي العزيز - هذه الدعوى التي يدعى بها المؤلف وأتباعه؟!

فهؤلاء المدعون - وبهذه الدعاوى، وهي محبتهم لأهل البيت عليهم السلام - ي يريدون أن يجلبوا قلوب الشيعة إليهم، ويستمعوا منهم، على أنهم على حقٍّ وهدى، ولكن أنّى لهم أن يخدعوا مشاعر المسلمين؟! ويدّعون حبَّ أهل البيت عليهم السلام، وهو هي أباطيلهم منتشرةٌ بين المؤلفات.

### المواهش:

- (١) الغدير، ج ٩، ص ١١٦، نقلًا عن أنساب الأشرف للبلذري: ج ٦، ص ١٩٣.
- (٢) الغدير، ج ٩، ص ١١٨، نقلًا عن تذكرة الخواص: ص ٦٩.
- (٣) آل عمران: ٦١.
- (٤) روح المعاني للألوسي، الدر المنشور للسيوطى، شواهد التنزيل للحاكم، وتفسير الطبرى.
- (٥) آية المباهلة: ص ٣٠.
- (٦) شواهد التنزيل للحاكم، ج ١، ص ٤٢ - ٤٣.
- (٧) ينابيع المودة للقندوزي، ص ١٢٦.
- (٨) شواهد التنزيل.
- (٩) كلمة القاضي: «... أيّها القارئ الكريم - من غير إلزام - انظر في فهارس صحيح البخاري، ومسلم، وغيرها من مصادر أهل السنة؛ لكي تدرك الأحاديث التي رواها أهل السنة في كتبهم في مناقب وفضائل أهل البيت، والتي منها ما روی عاماً، ومنها ما ورد بذكر الأعيان». آل البيت وحقوقهم الشرعية: ص ٢٠.
- (١٠) ذكر مجموعةٌ من المحققين والكتّاب بشأن تعظيم صحيح البخاريٍّ ومسلم لأمورٍ، وكان من أهمّها أن هذين الرجلين كانوا منحرفين عن أهل البيت عليهم السلام، وهذا صار هذان الكتابان من أعظم الكتب بعد كتاب الله، وتتجذر ذلك جلياً لعدم ذكرهم ولا روايةً واحدةً عن الإمام جعفر بن محمد الصادق، مع أنّهم جاؤوا من بعده، ويصرّح بعضهم بأنّ هذه العظمة والقدسية والمنزلة للبخاري بالذات، ومسلم كان لإعراضهم عن أهل البيت متابعةً للحكام الجائرين في تلك الفترة.



# آثار الذنوب

عيسى جاسم القفاص

كَبَرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ،  
وَاللَّعْنُ الدَّائِمُ الْمُؤْبِدُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ، إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَاهَرَ  
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وَجَاءَ فِي دُعَاءِ كَمِيلَ بْنِ زِيَادٍ - الَّذِي عَلِمَهُ إِبْرَاهِيمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ -  
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتَكُ الْعُصُمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَنْزَلُ النَّقْمَ،  
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَغْيِيرُ النَّعْمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ،  
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَنْزَلُ الْبَلَاءَ»<sup>(٢)</sup>.

اهتم الشارع اهتماماً بالغاً بمسألة الذنب، وخطورة الذنب، وتأثيره السلبي الكبير على نفس المذنب، وعلى حياته، وعلى غيره من الناس، وغير الناس، لذا جاءت الآيات الكثيرة التي تتحدث عن المعاصي والذنوب، وعن الطاعة والالتزام؛ وذلك لأنّ ترك الذنوب، والتزام الطاعة، هو الهدف الذي من أجله خلق الإنسان، وبهذا تتحقق معرفته الصحيحة لربه عَزَّوجلَّ، ولذا يعبر زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الذنب بأنّه فجيعة عظيمة: «وَلَا تَفْجُعَنِي فِيهِ - وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْلَّيَالِيِّ، وَالْأَيَّامِ - بِارْتِكَابِ الْمَحْرَمِ،  
وَإِكْتَسَابِ الْمَآثِمِ»<sup>(٣)</sup>.

والهدف الأساس من تأكيد الآيات والروايات على خطورة الذنب - وتأثيره السلبي - هو: تقبیح الذنب في نفس الإنسان، وخلق حالة الكراهيّة له في قلبه، وتخويفه من الوقوع فيه؛ فإنّ الإنسان بقدر ما يدرك من تأثير سلبي للذنب، فإنه لا

يقدم عليه، وهذا هو سر عصمة الأنبياء، والأئمة، والأولياء؛ حيث أطاعهم الله على حقائق الذنوب، فلا يقربوها؛ لما لهم من إدراكٍ كاملٍ بتأثيرها السلبيُّ الخطير، ونحن في هذه الوقفة القصيرة نريد أن نقف على بعض الآثار السلبية للذنوب.

### السقوط من عين الله:

«إلهي، إن كانت الخطايا قد أسقطتني لديك، فاصفح عنِّي بحسن توكلِي عليك»<sup>(٤)</sup>، أول تأثيرٍ سلبيٍّ توجبه الذنوب هو: السقوط من عين الله، فإنَّ الذنب يعني التجربة على الله، ويعني الانقياد لأسر النفس والشهوات؛ لأنَّ المذنب عبد نفسه، ورقٌ لشهواته، ومن حاله كذلك يكون صغيراً وذليلاً عند الله، وربما كان في أعين الناس من المقدسيين، إلاَّ أنه في الميزان الواقعيٍّ ليس إلاَّ عبداً ذليلاً لشهواته ورغباته، يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ: «أَزْرِي بِنَفْسِهِ مِنْ مُلْكِتِهِ الشَّهْوَةِ، وَاسْتَعْبِدْهُ مِنْ طَامِعِهِ»<sup>(٥)</sup> ومعنى سقوط العبد من عين الله: ت safل كماله، وقلة رعاية الباري له، وبخلافه، فإنَّ العبد عندما يعتني به ربُّه، ويتوجّه إليه، فإنه يتكمّل بذلك، ويعظم عند الله.

### تأذى أهل البيت عَلَيْهِمُ الْكَلَمُونَ:

أعطى الله أهل البيت عَلَيْهِمُ الْكَلَمُونَ القدرة على الاطلاع على جميع أعمال العباد، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٦)</sup> أنَّ (المؤمنون) هم أهل البيت عَلَيْهِمُ الْكَلَمُونَ، لذا فإنَّهم يفرحون إذا ما عمل الناس صالحاً، ويتأذّون فيما إذا عمل الناس سوءاً، وقد ورد عن سماحة، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ، يقول: «مَا لَكُمْ تَسُوءُونَ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ؟! فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ تَسُوءُهُ؟! فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعَرَّضُ عَلَيْهِ؟! فَإِذَا رَأَى فِيهَا مَعْصِيَةً سَاءَهُ ذَلِكَ، فَلَا

تَسْوِي وَرَسُولَ اللَّهِ، وَسُرُوهُ»<sup>(٧)</sup>، وهكذا الحال بالنسبة إلى جميع أهل البيت عليهم السلام كما تذكر الروايات، فقد جاء عن يعقوب بن شعيب، قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى عن: «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ». قال: «هم الأئمة»<sup>(٨)</sup>، ويقول الشيخ الجوادى الآملى في قوله تعالى - حكاية عن لسان إبراهيم - «أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ»<sup>(٩)</sup>: إن هذا الخطاب ليس خاصاً بـإبراهيم فحسب، وليس خاصاً بـحال عبادة الأصنام، بل شأن كلّ ولّي - في كلّ زمانٍ ومكانٍ - أن يقول لكلّ من يعصي: أَفَ لَكَ، ولما تعبد. فصاحب الزمان عليه السلام (وعجل الله له الفرج) الآن يقول لكلّ من يتجرأ على الله: أَفَ لَكَ، ولما تعبد. فإنّ كلّ من يعصي الله عبداً غيره، وأشرك.

### تهيئة النفس للسقوط الكبير:

الذنوب تهيئ النفس للوقوع في المزلقات الخطيرة التي ربعا لا يفتح للعبد بعدها بابُ للرجوع، فالذنب على الذنب يسود القلب، ويهيئ النفس لحالة الانحراف، والسقوط الكبير؛ لأنَّ القلب كلّما فقد النور قلت حصانته، وتهيأ للوقوع في الذنب الكبير، كالشرك، والخروج على الإمام عليه السلام، كما حصل مع بعض أهل الكوفة مثلاً، وقد حذرَت روايات أهل البيت عليهم السلام من هذا الخطر الكبير، عن أبي بصير قال: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انتحق، وإن زاد زادت، حتى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً»<sup>(١٠)</sup>، من هنا يعلم الإنسان أنه لا مبرر للتساهل في أمر الذنوب، وإن صغرت.

عن الإمام الرضا عليه السلام: «الصغار من الذنوب طرق إلى الكبائر، ومن لم يخف الله في القليل، لم يخفه في الكثير»<sup>(١١)</sup>.

## الضعف عن تشخيص الحق:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا﴾<sup>(١٢)</sup>; لأنّ «المؤمن ينظر بنور الله»<sup>(١٣)</sup>، و«أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»<sup>(١٤)</sup>، فكما أن التقوى من أسباب القدرة على التمييز بين الحق والباطل، فإنّ الذنوب من أسباب فقدان القدرة على تشخيص الحق من الباطل؛ لأنّ الذنوب تثير غباراً على قوة العقل والفطرة التي أودعها الله في الإنسان لإدراك الحق<sup>(١٥)</sup>. عن رسول الله ﷺ : «من قارف ذنباً فارقه عقل لا يرجع إليه أبداً»<sup>(١٦)</sup>، وما أحوج الإنسان في حياته لتمييز الحق من الباطل، في الأفكار، والأفعال، وربما يؤدي به ضعفه عن تمييز ذلك إلى التردّي، والانحطاط، واختيار سبيل الهاوية، والضلالة، سيما في الحالات المصيرية.

## فقدان المحبة من القلوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وَدَاءً﴾<sup>(١٧)</sup>، وهذا وعدٌ إلهيٌّ بأنّ الله سيجعل من آمن واتّقى حبّاً في قلوب العباد، في الدنيا والآخرة، ولذا ورد في تفسير هذه الآية أنّ المراد به هو أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ، من باب ذكر المصادق الأكمل، فإنّ الإنسان كلّما ظهر وكمل أحبه الناس أكثر؛ لأنّ الإنسان مجبولٌ على حبّ الكمال والطهر، وبعكس ذلك، فإنّ الإنسان كلّما تلوّث أكثر، قلت محبّة العباد له، وهذا أحد أضرار الذنوب، فإنّ الذنب يلوّث الإنسان، ويتسا凡ل به، ومن فوائد حبّ الناس للعبد في الدنيا قدرته على التأثير في قلوبهم، وهدايتهم، والاستعانة بهم على الخير، وقمع الظلم، فمن دون المحبة لا يتحقق ذلك، ولذا ورد في بعض الأدعية الطلب من الله بأن يجعل الإنسان محبوباً بين الناس، يقول زين العابدين عَلَيْهِ الْكَلَمُ في دعاء مكارم الأخلاق: «اللهم صلّ على محمدٍ وآل محمدٍ، وأبدلني من بغضه أهل الشنان المحبة».

## **كراهيّة الحقّ والعمل الصالح:**

تجعل الذنوب نفس الإنسان تميل إلى الباطل، وتأنس به، وتحبّه، وترغب فيه، فيرى نفسه منجذباً نحو الباطل، والعمل الطالع، ويرى نفسه كارهاً للحقّ والعمل الصالح، فلا يطيق أن يجلس مع ربّه ليناجيه، ولا يطيق أن يقوم من نومه ليصلّي، ولو فعل لكان ذلك على نفسه ثقيلاً جداً، وليس ذلك إلا لأنّ نفسه أنسنت بالباطل، ولم يعد يحبّ الخير، يقول زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطابه لربّه: «أو لعلك رأيتني أفلت من مجالس البطلان، فبيني وبينهم خليتني؟!»<sup>(١٨)</sup>، فإنّ من أسباب الألفة لمجالس البطلان الذنوب، والمعاصي، والتجرّؤ على الله، وكثيرٌ من الناس يجد من نفسه النفور من الحقّ، وعمل الخير، ولا يجد مبرراً واضحاً لذلك، وربما يكون ساخطاً على هذه الحالة التي يشعر بآثارها السيئة في حياته ومصيره الأبديّ، ولو تأمل هذا الإنسان قليلاً لوجد أنّ من أهمّ أسباب ذلك هو اقتراف الذنوب؛ لأنّ النفس الطاهرة تميل إلى الحقّ، فإذا تلوّنت مالت إلى الباطل على قاعدة: ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾<sup>(١٩)</sup>.

## **هتك العصم:**

جاء في دعاء كميلٍ: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم»، يقول المولى المازندراني: «عصم كعنب، جمع عصمة، وهي خصلةٌ مانعةٌ من العصية، شبهها بالساتر بقرينة الهتك، والذنوب إذا كثرت – وترامت – تهتكها، وترفعها بالمرّة حتى لا يبالي المذنب بأيّ ذنبٍ ورد، ولا بأيّ وادٍ هلك، وقد يصدر الهتك من ذنبٍ واحدٍ كشرب الخمر»<sup>(٢٠)</sup>، وليس للإنسان من مانع عن ارتكاب المعاصي إلا هذه العصم التي جعلها الله في نفس الإنسان، فإذا فقدها فما الذي يبقى له؟! لا يبقى له إلا دواعي الفجور والعصيان، فلا تعود للإنسانفائدة أو قيمة تُقدر، فيكون – بعد

ذلك - الموتُ أولى له، «فإذا كان عمرِي مرتَّاً للشيطان، فاقبضني إليك، قبل أن يسبق مقتتك إليّ، أو يستحکم غضبك علىّ»<sup>(٢١)</sup>.

### إنزال البلاء:

من رحمة الله بعده أن يوجهه نحوه بأي وسيلة كانت؛ لكي يرزقه السعادة السرمدية، وجعل لذلك وسائل كثيرة، فأرسل له الرسل، وأعطاه فطرة تحب الخير، وفي بعض الأحيان يوقفه لجذبات خاصة، فقد ورد: «إن ربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها»<sup>(٢٢)</sup>، وأحياناً يرفع غفلته بأخذ عزيز عليه، ليذكره بالموت والآخرة، ومن وسائل التذكير طريقة إنزال البلاء والعذاب، كالزلزال، والفقر، والمرض، وأمثال ذلك؛ ليرجع عن غفلته، وتكبره، وعصيائه لربه، وهذا منطق الحب الذي لا يقبل لمحوبه إلا الخير، وإن كان ذلك بمظهر الغضب، فإن غضب الله عين رحمته؛ لأن رحمته سبقت غضبه، «يا من سبقت رحمته غضبه»<sup>(٢٣)</sup>، وهذه واحدة من فلسفات إنزال العذاب، نعم، أحياناً يكون العذاب للاستئصال والإفنا، وليس للتنبيه، كما حصل مع بعض الأمم السالفة، مثل قوم لوط، وهذا لا يكون إلا حينما يكون المغضوب عليه لا يرجي منه خيراً ولا هداية، قال تعالى - على لسان نوح - : ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضْلِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَارًا﴾<sup>(٢٤)</sup>.

وقد ذكرت الروايات بعض الذنوب التي لها خصوصية إنزال البلاء، فقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «... والذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»<sup>(٢٥)</sup>. وجاء عن الرضا عليه السلام: «كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون، أحدث لهم من

البلاء ما لم يكونوا يعرفون»<sup>(٢)</sup>. وعن الإمام علي عليه السلام: «مجاهرة الله سبحانه  
بالمعاصي تعجل النقم»<sup>(٣)</sup>.

### حبس الدعاء:

العبد محض فقر، وحاجة، وحالقه محض الغنى، ومنه كمال العطاء، والفيض، لذا  
فإنه ليس للعبد إلا اللجوء إلى ربّه، والتضرّع له، والطلب منه سبحانه؛ ليسدّ  
 حاجته، وفقره، وإلاًّ لو ترك الخالق عبده هلك، وضاع، وتسافل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ  
رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ  
دَآخِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ  
يَكُونُ لِزَاماً﴾<sup>(٥)</sup>، فمن الخطر العظيم أن يحبس دعاء العبد عن ربّه، فما هي حيلته  
عند ذلك؟! وما الذي يفعله العبد عندما يسدّ عليه طريق الطلب والدعاء؟! يقول  
أمير المؤمنين عليه السلام في منجاته: «مولاي، يا مولاي، أنت المعطي، وأنا السائل، ومن  
يرحم السائل إلا المعطي؟!»<sup>(٦)</sup>، والذنب من أسباب حبس الدعاء، وعدم  
الاستجابة للدعاء، لذا فعلى العبد أن يبدأ كل دعاء له بطلب التوبة؛ لتفتح له أبواب  
الإجابة، ويكون طاهراً متهيئاً للجلوس بين يدي الله تعالى، وهذا من دواعي الخوف،  
والحذر من الذنب.

### وقوع المحذور:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كتب رجل إلى الحسين - صلوات الله  
عليه -: عظني بحرفين. فكتب إليه: من حاول أمراً بعصية الله كان أفوت لما يرجو،  
وأسرع لجيء ما يحذر»<sup>(٧)</sup>، وهذه واحدة من سلبيات الذنب، فعمر بن سعد لعنة  
مثلاً كان يرجو بقتل الحسين عليه السلام ملك الريّ، والرئاسة، والشهرة، والجاه، لكنه

بذنبه فوت عليه ما يريد، وجاء ما يحذر من الذلّ، والهوان، والضعة في أعين الناس، حتى قُتل شرّ قتلة، فلافائدة في الذنب مطلقاً، حتى لذته الدنيوية مشوبة بالمتاعب، والمعنفات، لذا فإن العاقل لا يقدم على هكذا تجارة؛ لأنها تجارة خاسرة، فعن الإمام الكاظم ع: «إن العقلاه تركوا فضول الدنيا، فكيف الذنوب؟! وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض»<sup>(٣٢)</sup>.

### الذل في الدنيا والآخرة:

الذنب، والعصيان، واتباع الهوى، والعبودية للشهوات، تجعل الإنسان ذليلاً ضعيفاً، فالإنسان المطیع لشهواته يشعر في نفسه دائماً بالصغر والذل؛ لأنّه أسير الشهوة، أسير الضعف والهوان، بينما يشعر الإنسان المتّقي المتحرّر من كلّ ما سوى الله بالعزّة، والقوّة، والكرامة؛ لأنّه متحرّر، وعزيزٌ، نفسه عزيزة، لا يبيعها إلا بالجنّة، أو لقاء الله، هذا في الدنيا، أمّا في الآخرة فالامر أوضح، حيث يكون الذنب - الذي لم يتبع من ذنبه - مفضوحاً، مكشوفاً عن قبائحه في أقبح الصور، فالذنب سبب للذل في الدنيا، والآخرة، وكذلك فإنّ غير المتّقي لا يشعر بالعزّة بين الناس؛ لأنّه لا يستند إلى ركنٍ وثيقٍ، وليس له الرابطة الوثيقة مع مصدر العزّة، والقوّة، وقد وضح أمير المؤمنين ع هذه الحقيقة بقوله ع: «من تلذّذ بمعاصي الله أورثه الله ذلاً»<sup>(٣٣)</sup>.

### قسوة القلب:

خلق الله الإنسان، وأعطاه قلباً رقيقاً، متفاعلاً مع ما يلائمه من طهراً، وجمالاً، وكمالاً، فبالقلب يبكي شوقاً للقاء الله، وبالقلب يبكي خجلاً من الله، وبالقلب يتوجه في صلاته؛ ليأنس بربيه، وبالقلب يندم على ما فرط في جنب الله، وبالقلب يرقّ على أولاده فيرحمهم، وبالقلب يرقّ على المحرومين فيؤازرهم، وبالقلب يرحم زوجته،

وبالقلب... فإذا قسى القلب قلّ تفاعله، وتحرّكه، فإنّ قسوة القلب حالة مرضية تصيب القلب، فتشلّ وظيفته الأساسية في حياة الإنسان، ألا وهي التفاعل مع الخيرات، والإنجذاب لها، فإذا فقد الإنسان هذه الحالة لم يعد فيه خيراً، عن الإمام علي عليه السلام: «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثره الذنوب»<sup>(٣٤)</sup>، فيصير كالأسد الضراغم على أولاده، وزوجته، والضعفاء، ولا يعرف للخشوع في العبادة معنى.

### زوال النعمة:

النعمة تارة تكون ماديةً، كالأكل، والأولاد، والمسكن، وأخرى تكون معنويةً كال توفيق لصلاة الليل، وجهاد الظالمين، أمّا النعم المادية فقد جعلها الله وسيلةً للإنسان؛ ليصرفها في طريق الخير، عن علي عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» قال: «لَا تَنْسَ صَحْنَكَ، وَقُوتَكَ، وَفَرَاغَكَ، وَشَبَابَكَ، وَنَشَاطَكَ، أَنْ تَطْلُبَ بِهَا الْآخِرَة»<sup>(٣٥)</sup>، أمّا النعم المعنوية فهي عين التوفيق للخير والصلاح، مما يورث السعادة السرمدية، والذنوب من أسباب زوال النعمتين؛ الدنيوية، والمادية، عن علي عليه السلام: «مَا زالتْ نعْمَةً، وَلَا نِضَارَةً عِيشَ إِلَى بَذْنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ»<sup>(٣٦)</sup>. هذا بالنسبة لزوال النعم المادية، أمّا بالنسبة لزوال النعم المعنوية فقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ يَذْنُبُ الذَّنْبَ، فَيُحرِمُ صَلَةَ اللَّيْلِ، وَإِنَّ الْعَمَلَ السَّيِئَ أَسْرَعَ فِي صَاحِبِهِ مِنَ السَّكِينَ فِي الْلَّحْمِ»<sup>(٣٧)</sup>، وعن رسول الله عليه وآله وسلّمه: «اتّقوا الذنوب؛ فإنّها محققة للخيرات، إنّ العبد ليذنب الذنب، فينسى به العلم الذي كان قد علمه»<sup>(٣٨)</sup>، فإنّ العلم من أعظم النعم المعنوية.

## **الضنك في المعيشة:**

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾<sup>(٣٩)</sup> يقول العالمة الطباطبائي قيئث في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾: (أي: ضيقَةً، وذلك أنَّ من نسي ربَّه، وانقطع عن ذكره، لم يبقَ له إلَّا أن يتعلَّق بالدنيا، ويجعلها مطلوبه الوحيد الَّذِي يسعى له، ويهتمُّ بإصلاح معيشته، والتَّوسيع فيها، والتَّمتع منها، والمعيشة الَّتِي أوتيها لا تسعه، سواء كانت قليلةً أو كثيرةً؛ لأنَّه كُلُّما حصل منها واقتناها لم يرضِ نفسه بها، وانتزعت إلى تحصيل ما هو أزيد وأوسع من غير أن يقف منها على حدٍّ، فهو دائمًا في ضيق صدرٍ، وحنقٍ ممًا وجد متعلَّق القلب بما وراءه، مع ما يهجم عليه من الهمٌّ، والغمٌّ، والحزن، والقلق، والاضطراب، والخوف بنزول النوازل، وعرض العوارض، من موتٍ، ومرضٍ، وعاهةٍ، وحسدٍ حاسدٍ، وكيدٍ كائدٍ، وخيبةٍ سعيٍّ، وفارقٍ حبيبٍ، ولو أتَه عرف مقام ربِّه ذاكراً غير ناسٍ، أیقنَّ أَنَّ لَهُ حَيَاةً عِنْدَ رَبِّه لَا يَخَالِطُهَا مَوْتٌ، وَمُلْكًا لَا يَعْتَرِيهِ زَوْالٌ، وَعَزَّةً لَا يَشُوَّهُهَا ذَلَّةً، وَفَرَحًاً، وَسُرُورًاً، وَرَفْعَةً، وَكَرَامَةً لَا تُقْدِرُ بِقَدْرٍ، وَلَا تَنْتَهِي إِلَى أَمْدٍ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٌ، وَمَا حَيَاتُهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ، فَلَوْ عَرَفَ ذَلِكَ قَنَعَتْ نَفْسُهُ بِمَا قُدِرَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَوَسَعَهُ مَا أُوتِيَهُ مِنَ الْمَعِيشَةِ، مِنْ غَيْرِ ضيقٍ، وَضنكٍ﴾<sup>(٤٠)</sup>.

## **الفضيحة في الدنيا:**

ومن آثار الذنوب في الدنيا الفضيحة في الدنيا، فإنَّ العبد يذنب، ويتجرأً، ويعصي وهو في سترٍ من الله ﷺ، حتَّى يصل إلى مرحلةٍ من التجربة يعقوبه الله بفضحه في الدنيا قبل الآخرة، فيشعر بالذلّ، والصغار، وهو الخزي في الدنيا، الَّذِي أشارتُ إليه الروايات، ويرى بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ

مُنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعْذِبُهُمْ  
مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ»<sup>(٤١)</sup> أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ الْعَذَابِ مَرَّتَيْنِ هُوَ الْفَضِيحةُ فِي  
الْدُنْيَا، وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:  
«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ أَرْبَعِينَ جُنَاحًا، مَتَى أَذْنَبَ ذَنْبًا كَبِيرًا رَفَعَ عَنْهُ  
جُنَاحًا، فَإِذَا اغْتَابَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنِ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ مِنْهُ إِنْ كَشَفَتْ تُلْكَ الْجُنَاحُ عَنْهُ، وَيَبْقَى  
مَهْتُوكَ السُّتْرِ، فَيَفْتَضِحُ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْسَّنَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَفِي الْأَرْضِ عَلَى الْسَّنَةِ  
النَّاسِ، وَلَا يَرْتَكِبُ ذَنْبًا إِلَّا ذَكَرُوهُ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوْكَلُونَ بِهِ: يَا رَبَّنَا، قَدْ بَقَيَ  
عَبْدُكَ مَهْتُوكَ السُّتْرِ، وَقَدْ أَمْرَتَنَا بِحَفْظِهِ، فَيَقُولُ تَعَجَّلُكَ: مَلَائِكَتِي، لَوْ أَرَدْتُ بِهَذَا الْعَبْدِ  
خَيْرًا مَا فَضَّحْتُهُ، فَارْفَعُوا أَجْنِحَتَكُمْ عَنْهُ»<sup>(٤٢)</sup>.  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

### المواهش:

(١) الروم: ٤١.

(٢) دعاء كميل بن زياد.

(٣) مقاتيح الجنان: دعاء يوم الأحد.

(٤) المناجاة الشعبانية لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٥) ميزان الحكمة: التحذير من رقية الشهوة / باب الهوى.

(٦) التوبية: ١٠٥.

(٧) أصول الكافي: ج ١/باب عرض الأعمال على الرسول والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(٨) نفس المصدر.

(٩) الأنبياء: ٦٧.

- (٢٥) الموسوعة الفقهية الميسّرة: الشيخ محمد علي الأنصاري ٣/٢٣.
- (٢٦) مكتاب الرسول: الأحمدي الميانجي: ج ٣/٥٧٣.
- (٢٧) ميزان الحكمة: الذنب/المجاهرة بالذنب.
- (٢٨) غافر: ٦٠.

(٢٣) الصحيفة السجّادية: دعاؤه في عرفة.

(٢٤) الجن: ٢٧.

(٢٢) البحار: ٨٣/٣٥٢.

(٢٠) دعاء أبو حمزة الشمالي: مفاتيح الجنان.

(١٩) الإسراء: ٨٤.

(٢١) الصحيفة السجّادية: دعاء مكارم الأخلاق.

(٢٠) شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني ج ١٠/٤٢٨.

(١٨) دعاء أبو حمزة الشمالي: مفاتيح الجنان.

(١٧) طه: ٦٩.

(١٤) نهج البلاغة: الحكمة ٢١٩.

(١٥) راجع تفسير الأمثل: تفسير الآية.

(١٦) ميزان الحكمة: باب الذنب/العقل لا يذنب.

(١٣) بحار الأنوار: ج ٧/٣٢٣.

(١٢) الأنفال: ٢٩.

(١١) ميزان الحكمة: الذنب/الصغار طرقُ إلى الكبائر.

(١٠) الكافي: ج ٢/باب الذنوب.

.٧٧) الشعراء: (٢٩)

(٣٠) مناجاة أمير المؤمنين في مسجد الكوفة: مفاتيح الجنان.

(٣١) ميزان الحكمة: الذنب / من حاول أمرًا بعصية الله.

(٣٢) ميزان الحكمة: الذنب / العاقل لا يذنب.

(٣٣) ميزان الحكمة: الذنب / الابتهاج بالذنب.

(٣٤) ميزان الحكمة: الذنب / دور الذنوب في فساد القلب.

(٣٥) تفسير الميزان: ج ٨٥/١٦

(٣٦) ميزان الحكمة: الذنب / دور الذنوب في زوال النعمة.

(٣٧) نفس المصدر.

(٣٨) نفس المصدر.

.١٢٤) طه: (٣٩)

(٤٠) تفسير الميزان: ج ٢٢٥/١٤

(٤١) التوبة: ١٠١.

(٤٢) مستدرك الوسائل: باب تحريم اغتياب المؤمن صدقًا.

# مشكل تأخير البيان.. وحله

عليّ فاضل الصددي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

## مقدمة (تحرير محل الكلام):

من جملة ما وقع محلاً للإشكال لدى الأصوليين تأخير المخصصات كثيراً عن العمومات بعد حضور وقت العمل بها في كلمات المعصومين عليهم السلام؛ لأن الالتزام بالتفصيص في جميع ذلك يستلزم الالتزام بتأخير البيان عن وقت الحاجة، مع أن المفروض قبده، ولا يمكن صدوره من المعصوم. ومما أجيبي به عن هذا المشكل أن قبح تأخير البيان عن وقت الحاجة ليس على حدود قبح الظلم ليستحيل انفكاكه عنه، بل غايته أن يكون مثل قبح الكذب القابل لانفكاكه عنه؛ لوجود المصلحة المقتضية له، أو كان في تقديم البيان مفسدة ملزمة، وفي ضوء هذا فيتعين كون الخاص المتاخر الوارد بعد حضور وقت العمل بالعام مخصوصاً لا ناسخاً، وعليه فلا مشكل في تخصيص عمومات الكتاب والسنة الواردة في عصر النبي صلوات الله عليه وآله بالمخصصات الواردة في عصر الأئمة الأطهار عليهم السلام؛ حيث إن المصلحة تقتضي تأخيرها عن وقت الحاجة والعمل، أو كانت في تقديمها مفسدة ملزمة تمنع عنه<sup>(١)</sup>. ومما أجيبي به عن هذا المشكل أيضاً ما أورده أحد الأساتيد سلمه الله من أن الخاص المنفصل بعد حضور وقت العمل بالعام هو مخصوص من حين وروده، لا من أول الأمر، والارتكاز العقلي - والمتشرعى - على ذلك، وحكم العام إلى حين ورود المخصوص فعلي، وبناء على ذلك فلا يرد محذور تأخير البيان عن وقت

الحاجة؛ لأنّ حكم الخاصّ إِنما هو في ظرفه، لا من أول الأمر، وذلك لا يعني أنه محكومًّا واقعًا بحكم العامّ كي يكون من باب النسخ، فهو تخصيصٌ أزمنيٌّ، وتأسيسٌ أفراديٌّ<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْهُ مَشْكُلٌ آخَرْ عَامٌ يَوْاجِه جَمْلَةً مِنَ الرِّوَايَاتِ - الَّتِي اسْتَفِيدَتْ مِنْهَا أَحْكَامُ فَقَهِيَّةٍ -، وَقَدْ أَجَأَ هَذَا الْمَشْكُل بَعْضَ الْفَقَهَاءِ إِلَى طَرْحِ مَفَادِ تَلْكَ الرِّوَايَاتِ، وَعَدْمِ الْإِفْتَاءِ بِعُوْجَبِهَا، أَوْ إِلَى طَرْحِ تَلْكَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الْأَسَاسِ، وَيَتَمَثَّلُ هَذَا الْمَشْكُل فِي أَنَّ تَأْخُرَ وَرُودِ حَكْمِ الْوَاقِعَةِ فِي أَصْلِ الشَّرِيعَةِ الْمَقْدَسَةِ، فَلَا يَرِدُ حَكْمَهَا إِلَّا مِنَ الْأَئْمَمَةِ الْمُؤَخَّرِينَ، كَالرَّضا وَالْجَوَاد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، مَعَ كُونِهَا عَامَّةً الْبَلْوَى - مَمَّا يَسْتَهْجِنُ أَوْ يَسْتَبْعَدُ مَعَهُ مَثْلُ هَذَا الْحَكْمِ، وَيَعُودُ الْالْتِزَامُ بِهِ صَعْبًا جَدًّا.

وَمِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُبْتَلَةِ بِهَذَا الْمَشْكُل - أَوْ قِيلَ بِابْتِلَاتِهَا بِهِ - مَا يَلِيهِ:

**الْأُولَى:** مَا دَلَّ مِنَ الرِّوَايَاتِ عَلَى نِجَاسَةِ النَّاصِبِ، وَالَّتِي لَمْ يَرِدْ شَيْءٌ مِنْهَا عَمَّنْ قَبْلَ الصَّادِقَيْن عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَعَدْمُهَا مُوْتَقَّةٌ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فِي حَدِيثٍ - قَالَ: وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَسِلَ مِنْ غَسَالَةِ الْحَمَّامِ، فَفِيهَا تَجْتَمَعُ غَسَالَةُ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَالْجَوْسِيِّ، وَالنَّاصِبُ لَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ، وَهُوَ شَرِّهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا أَنْجَسَ مِنَ الْكَلْبِ، وَإِنَّ النَّاصِبَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَأَنْجَسُ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>.

**الثَّانِيَةُ:** مَا دَلَّ مِنَ الرِّوَايَاتِ عَلَى نِجَاسَةِ عَرْقِ الْجَنْبِ مِنَ الْحَرَامِ، وَالَّتِي لَمْ يَرِدْ شَيْءٌ مِنْهَا عَمَّنْ قَبْلَ الْإِمامِ الْهَادِي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَمَا فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ: (إِنَّ اخْتِنَاءَ هَذَا الْحَكْمِ إِلَى زَمَانِ الْهَادِي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَخَلُوَّ الْأَخْبَارِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِهِ مِنْ أَقْوَى الشَّوَاهِدِ عَلَى عَدْمِ النِّجَاسَةِ)<sup>(٤)</sup>، وَفِي بَعْضٍ آخَرَ: (وَرَبِّا يُقَالُ بِحَمْلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَلَى الْكُرَاهَةِ؛ لَتَأْخُرُ هَذَا الْحَكْمِ، وَعَدْمِ مَعْرُوفِيَّتِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَفِيهِ: إِنَّ عَدْمَ الْمُسْبُوقَيَّةِ لَا يَدْلِي عَلَى عَدْمِ الْحَكْمِ)،<sup>(٥)</sup> وَمِنْ تَلْكَ الرِّوَايَاتِ مَا رَوَاهُ الشَّهِيدُ فِي (الْذَّكْرِي)، قَالَ: رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ

هَمَّام بِإِسْنادِهِ إِلَى إِدْرِيسِ بْنِ يَزِيدَ الدَّكْفُورِيِّ (ابن زِيَادِ الْكَفَرْتُوْشِيِّ) أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بِالْوَقْفِ، فَدَخَلَ سُرًّا مَّنْ رَأَى فِي عَهْدِ أَبِي الْحَسْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ مِنَ التَّوْبَةِ الَّذِي يَعْرِقُ فِيهِ الْجَنْبُ، أَيْصَلَّى فِيهِ؟ فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ فِي طَاقِ بَابِ لَا تَنْتَظَارَهُ، إِذْ حَرَّكَهُ أَبُو الْحَسْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَقْرَعَةٍ وَقَالَ - مُبْتَدِئًا - إِنَّ كَانَ مِنْ حَلَالٍ فَصَلٌّ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حَرَامٍ فَلَا تَصْلِّ فِيهِ<sup>(٦)</sup>.

**الثالثة:** مَا دَلَّ مِنَ الرِّوَايَاتِ عَلَى تَرْخِيصِ الإِقَامِ فِي الْمَوْضِعِ الَّتِي قَالَ الشَّهُورُ فِيهَا بِالتَّخْيِيرِ بَيْنَ الْقَصْرِ وَالْإِقَامِ - وَهِيَ رِوَايَاتٌ مُسْتَفِيَّضَةٌ، وَلَمْ يَرُدْ شَيْءٌ مِنْهَا عَمَّا قَبْلَهُ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَمِنْهَا صَحِيحَةُ مَحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِ اللَّهِ الإِقَامُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنٍ، حَرَمُ اللَّهُ، وَحَرَمُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ، وَحَرَمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَحَرَمُ الْمُحْسِنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٧)</sup>. وَصَحِيحَةُ مَسْعَمٍ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، قَالَ: كَانَ أَبِي يَرِى لَهُذِينَ الْمَرْمِينَ مَا لَا يَرَاهُ لِغَيْرِهِمَا، وَيَقُولُ: إِنَّ الإِقَامَ فِيهِمَا مِنَ الْأَمْرِ الْمَذْخُورِ.<sup>(٨)</sup> وَصَحِيحَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَاجَاجِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ التَّمَامِ بِكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: أَتَمْ، وَإِنْ لَمْ تَصْلِّ فِيهِمَا إِلَّا صَلَةً وَاحِدَةً<sup>(٩)</sup>.

**الرابعة:** مَا دَلَّ مِنَ الرِّوَايَاتِ عَلَى وجوبِ الْخَمْسِ فِي أَرْبَاحِ الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَاسِبِ، وَلَمْ يَرُدْ شَيْءٌ مِنْهَا عَمَّا قَبْلَ الصَّادِقَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنَ الْأَئْمَمَةِ، وَكَمَا قَالَ أَحَدُ الْأَعْظَمِيْنَ: (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجِّبْ أَنَّهُ لَمْ يَوْجُدْ هَذَا الْقَسْمُ مِنَ الْخَمْسِ عِيْنُ وَلَا أَثْرُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِلَى عَهْدِ الصَّادِقَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، حِيثُ إِنَّ الرِّوَايَاتِ الْقَلِيلَةِ الْوَارَدَةِ فِي الْمَقَامِ كُلُّهَا بِرَزْتَ وَصَدَرَتْ - مِنْذُ هَذَا الْعَصْرِ، أَمَّا قَبْلَهُ فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ اسْمٌ، وَلَا رَسْمٌ بَتَاتٌ حَسْبِمَا عَرَفَتْ<sup>(١٠)</sup>، مِنْهَا مُوْتَقَّةٌ سَمَاعَة، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْخَمْسِ، فَقَالَ: فِي كُلِّ مَا أَفَادَ النَّاسُ، مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ<sup>(١١)</sup>.

**الخامسة:** مَا دَلَّ مِنَ الرِّوَايَاتِ عَلَى حِرْمَةِ نَكَاحِ أَبِي الْمَرْتَضَى فِي أَوْلَادِ صَاحِبِ الْلَّبَنِ وَلَادَةً وَرَضَاعًا، وَفِي أَوْلَادِ الْمَرْضَعَةِ وَلَادَةً لَا رَضَاعًا، وَلَمْ يَرِدْنَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ

الروايات عَمِّنْ قَبْلِ الْإِمَامِ الرَّضَا عَلَيْهِ الْكَلَمُ مِنَ الْأئمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنْهَا صَحِيحَةُ عَلَيْهِ بْنِ مَهْزِيَارٍ، قَالَ: سَأَلَ عَيْسَى بْنَ جَعْفَرٍ بْنَ عَيْسَى أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أَنْ امْرَأً أَرْضَعَتْ لِي صَبِيبًا، فَهَلْ يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَ ابْنَةَ زَوْجِهِ؟ فَقَالَ لِي: مَا أَجُودَ مَا سَأَلْتَ، مِنْ هَنَا يُؤْتَى أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: حَرَمْتَ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ مِنْ قَبْلِ لَبْنِ الْفَحْلِ، هَذَا هُوَ لَبْنُ الْفَحْلِ لَا غَيْرُهُ. فَقَلَّتُ لِهِ: الْجَارِيَةُ لَيْسَتِ ابْنَةَ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَرْضَعَتْ لِي، هِيَ ابْنَةُ غَيْرِهَا، فَقَالَ: لَوْ كَنَّ عَشْرًا مُتَفَرِّقَاتٍ، مَا حَلَّ لَكَ شَيْءٌ مِنْهُنَّ، وَكَنَّ فِي مَوْضِعِ بَنَاتِكَ<sup>(۱۲)</sup>. وَصَحِيحَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: امْرَأَ أَرْضَعَتْ وَلَدًّا رَجُلًا، هَلْ يَحِلُّ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَةَ هَذِهِ الْمَرْضَعَةِ أُمًّا لَا؟ فَوَقَعَ: لَا تَحِلُّ لَهُ<sup>(۱۳)</sup>.

**السادسة:** مَا دَلَّ مِنَ الْرَّوَايَاتِ عَلَى حِرْمَانِ الزَّوْجَةِ مِنْ إِرْثِ الْأَرْضِ عِينًا وَقِيمَةً، وَمِنْ إِرْثِ غَيْرِهَا مِنِ الْعَقَارِ عِينًا لَا قِيمَةً، وَهِيَ رَوَايَاتٌ ادْعُوا تَوَاتِرَهَا، وَرَغْمَ التَّوَاتِرِ الْمَدْعَى لَمْ يَرِدْنَا شَيْءٌ مِنْهَا عَمِّنْ قَبْلِ الصَّادِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنْهَا صَحِيحَةُ جَمِيلٍ، عَنْ زَرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: «لَا تَرِثُ النِّسَاءُ مِنْ عَقَارِ الْأَرْضِ شَيْئًا»<sup>(۱۴)</sup>، وَصَحِيحَةُ زَرَارَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: «لَا تَرِثُ النِّسَاءُ مِنْ عَقَارِ الدُّورِ شَيْئًا، وَلَكِنْ يُقَوَّمُ الْبَنَاءُ وَالظُّوبُ، وَتُعْطَى ثُنَّهَا، أَوْ رُبَعُهَا. قَالَ: وَإِنَّمَا ذَلِكَ لَئِلَا يَتَزَوَّجُنَّ، فَيَفْسَدُنَّ عَلَى أَهْلِ الْمَوَارِيثِ مَوَارِيْشَهُمْ»<sup>(۱۵)</sup>، وَفِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ: (كَيْفَ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ حَكْمُ اللَّهِ الْوَاقِعِيُّ هُوَ عَدْمُ إِرْثِ الزَّوْجَةِ مِنِ الْأَرْضِ شَيْئًا، وَبِالْتَّالِي صِيرَوْرَةُ فَرْضِهِ مِنِ الْرَّبْعِ أَوِ الشَّمْنِ مَحْدُودًا فِي الْمَنْقُولَاتِ مِنِ الشَّيَابِ وَالْمَتَاعِ دُونَ الْقَرَى، وَالْدُّورِ، وَالْعَقَارَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَذَكُرُ ذَلِكَ فِي كَلِمَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَصْرِهِ الْمَدِيدِ، وَلَا فِي عَصْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَضَائِيهِ؟! .. مَعَ مَلَاحِظَةِ أَنَّ هَذِهِ الْمَسَأَةَ لَيْسَ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ أَوِ الْإِمَامِ.. بَلْ مِنْ حَقُوقِ النَّاسِ وَالْوَرَثَةِ الْآخَرِينَ - إِلَى أَنْ قَالَ: - فَالْمَسَأَةُ ثَبُوتًا مَشْكُلَةً جَدًّا .. بِحِيثَ

يطمئن الإنسان بلاحظة مجموعة الجهات (وقد أوردها) أن المراد من هذه الروايات ليس ظاهرها الأولى من حرمان الزوجات من العقار والأراضي عيناً وقيمةً<sup>(١)</sup>. ذلك هو المشكل، وهذه جملة من موارده، ثم إنّه للتفصي عن هذا المشكل نعرض - أولاً - إجابات عامة عن المشكل بلا خصوصية لموارده، ونتناول - ثانياً - موارد هذا المشكل كلّ مورد على انفراد؛ لتتبّين حقيقة الحال فيها.

### إجابات عامة عن المشكل:

أمّا الإجابات العامة عن المشكل فهي كما يلي:

**الإجابة الأولى:** ما سلكها أحد الأعظم قبلاً<sup>(١٧)</sup> - تبعاً للشيخ الأعظم رحمه الله<sup>(١٨)</sup> - من تدرّيجيّة الأحكام، وجواز تأخير التبليغ عن عصر التشريع بإيداع بيانه من النبي إلى الإمام؛ ليظهره في ظرفه المناسب له حسب المصالح الواقتية الباعثة على ذلك، - مضيفاً أنه - قد يظهر من بعض النصوص أنّ جملة من الأحكام لم تنشر بعد الآن، وأنّها موعدة عند ولّي العصر عليه السلام، وهو المأمور بتبليغها متى ما ظهر وملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

**أقول:** ويدلّ على ما أفيد - من تفويض التبليغ إلى الإمام عليه السلام ليظهره في ظرفه المناسب له حسب المصلحة الواقتية الداعية إليه - صحيحه الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: سمعته يقول: «قال علي بن الحسين عليه السلام: على الأئمّة من الفرض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا ما ليس علينا، أمرهم الله عجل به أن يسألونا، قال: ﴿فَاسْأُلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>، فأمرهم أن يسألونا، وليس علينا الجواب، إن شئنا أجربنا، وإن شئنا أمسكنا»<sup>(٢٠)</sup>. وتوثّيقها روایته الأخرى، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قوله: ﴿فَاسْأُلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فقال: نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون. قلت: فأنتم المسؤولون، ونحن السائلون؟ قال: نعم.

قلتُ: حَقٌّ(حَقًا) عَلَيْنَا أَن نَسْأَلُكُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَلْتُ: حَقٌّ عَلَيْكُمْ أَن تَجْبِيُونَا؟ قَالَ: لَا، ذَاكَ إِلَيْنَا، إِن شَئْنَا فَعَلَنَا، وَإِن شَئْنَا لَمْ نَفْعَلْ، أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٢١)</sup>؟ وَيُرْشِدُ إِلَى ذَلِكَ رِوَايَاتٌ تُرْخِيصُ الْمَسَافِرَ فِي إِقَامِ الصَّلَاةِ فِي الْمَوْاْضِعِ الْأَرْبَعَةِ، الَّتِي تَضْمِنَتْ أَنَّ الإِقَامَ مِنَ الْعِلْمِ الْمَخْزُونِ، وَالْأَمْرَ الْمَذْخُورُ، وَسِيَّاسَتِي - إِن شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - التَّعْرُضُ إِلَيْهَا.

وَقَدْ أُورِدَ<sup>(٢٣)</sup> عَلَى هَذِهِ الْإِجَابَةِ بِإِيرَادِيْنِ:

**الْأُولَى**: (وَهُوَ يَرْجُعُ إِلَى دَعْمِ الْمَقْتَضِيِّ) أَنَّ ذَلِكَ مُخَالِفٌ لِتَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ، وَأَنَّ دُعْوَى اقْتِضَاءِ الْمَصْلَحةِ ذَلِكَ مُجَازَفَةٌ، فَأَيَّةُ مَصْلَحةٍ تَقْتَضِي كَوْنَ نَوْعِ الْأَحْكَامِ مَعْطَلَةً غَيْرَ مَعْمُولٍ بِهَا؟!

وَيَلْاحِظُ عَلَيْهِ: أَنَّهُ لَمَّا جَازَ تَأْخِيرُ بَيَانِ جَمْلَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ عَنِ الْصَّدْرِ الْأُولَى - بِجِيْثُ لَمْ تُبَيِّنْ مِنْ قِبْلَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا فِي الْمَدِينَةِ مثلاً، كَوْجُوبِ صَومِ شَهْرِ رَمَضَانَ - جَازَ تَأْخِيرُ بَيَانِ جَمْلَةِ مِنْهَا عَنِ زَمْنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَزْمَنَةِ الْمُعْصَومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالْمَصْلَحةُ الْمُسَوْعَةُ الْمُتَصوَّرَةُ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْجَمْلَةِ الْأُولَى مُتَصوَّرَةً بِالإِضَافَةِ إِلَى الثَّانِيَةِ، بِلَا فَرْقٍ بَيْنَهُمَا، بَلْ كَيْفَ لَا تُتَصَوَّرُ مَصْلَحةٌ مَعَ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَنَا أَنَّ جَمْلَةً مِنَ الْأَحْكَامِ لَا يَبْلُغُهَا وَيُبَيِّنُهَا إِلَّا الصَّاحِبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ظَهُورِهِ؟! وَمَا تَأْخِيرُ ذَلِكَ إِلَيْهِ إِلَّا لِمَصْلَحةٍ لَا مَحَالَةَ.

**الْإِيرَادُ الثَّانِي**: (وَهُوَ يَرْجُعُ إِلَى وَجْدِ الْمَانِعِ) مَنَافَةُ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «مَعَاشُ النَّاسِ، مَا مِنْ شَيْءٍ يَقْرِبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَبْعَدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمْرَتُكُمْ بِهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَقْرِبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيَبْعَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ»<sup>(٢٤)</sup>، وَالْقَوْلُ بِأَنَّ إِيَادِعَاهُ لِدِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْفِي فِي رَفْعِ الْمَنَافَةِ كَمَا تَرَى.

ويلاحظ عليه - نقضاً وحلاً -، أمّا النقض فإنه لمّا دلَّ الدليل على أنَّ جملةً من الأحكام سيتم ب بيانها وتبلیغها من قبل الصاحب عليه السلام - فيتعین توجيه ما ورد عن الرسول عليه وآله وسالم في حجَّة الوداع بوجه يتصوَّر به عدم المنافاة بينه وبين تأخير بيان تلك الأحكام إلى أزمنة المعصومين عليهم السلام بالأولوية. وأمّا الحلُّ فحيث إنَّ الأحكام لم تبلغ لهم فهم معذورون، وعليه فما من شيءٍ يقرِّبهم إلى الجنة فيما هو فعلٌ في حقِّهم إلا بلَّغوا إياه، وكذلك في ما نهوا عنه مما هو فعلٌ في حقِّهم، وهو ما وصل صراط العمل.

والمحصلة هي تامةٌ هذه الإجابة العامة عن المشكل.

**الإجابة الثانية:** ما يُستفاد مما ذكره أحد المحققين قشْن<sup>(٢٥)</sup> من أنَّ الأحكام التي وردت عن الأئمَّة المتأخِّرين - قد بينها وبَلَّغها رسول الله عليه وآله وسالم، ولم يتم ضبطها إلا من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، وأودعها عند الأئمَّة عليهم السلام، وإنما أُخْرِيَ البيان إلى زمن الصادقين عليهم السلام، لابتلاء سائر الأئمَّة المتقدَّمين عليهما ببلياتٍ كثيرةٍ سُدَّ عليهم لأجلها بيان الأحكام، كما يشهد به التاريخ، فلما بلغ زمانهما اتسع لهم المجال في برهةٍ من الزمان، فاجتمع العلماء والمحدثون عليهما، فانتشرت الأحكام، وانبَّتَ البركات، ولو اتسع المجال لغيرهما ما اتسع لها لصارت الأحكام منتشرةً قبلهما، - وأضاف بأنك - لو تأمَّلتَ فيما ذكرنا، وتتبَّعتَ الأخبار، لوجدت ما ذكرنا احتمالاً قريباً قابلاً للتصديق.

ويلاحظ عليها بأنَّها خلاف ظاهر الروايات في أنَّهم عليهم السلام مفوَضٌ إليهم أمر التبليغ، فلو تمَّ تبليغ الأحكام كلَّها لم يكن معنى للتفويض والولاية.

**الإجابة الثالثة:** إنَّ أسئلة الرواية كانت - على الأكثَر - تعبراً عن الحاجات التي يواجهونها مباشرةً، ويندر بالإضافة إلى بعض المسائل إحراز صغرها من غيرهم،

فمن الجائز عدم ابتلاء رواة زمن الصادق عليه السلام - فعلاً - ببعض هذه المسائل، كنجاسة عرق الجنب من الحرام<sup>(٢)</sup>، وحرمة نكاح أبي المرتضع في أولاد المرضعة وصاحب اللبن.

### دراسة الموارد الستة للمشكل:

وبعد عرض هذه الإجابات العامة عن المشكل، نأخذ في تناول الموارد المزبورة تباعاً.

\* أَمّا مسألة نجاسة الناصب، فيبعد البناء على أن الناصب هو من يدين الله بعداوة أهل البيت عليهما السلام، ويعد إلى إظهارها - فلا وجود لفرد له في زمن النبي عليهما السلام، ولا في فترة الخلفاء غير المعصومين؛ فإنّ من أظهر عداه لهم، وحاربهم، وناوأهم، ما كان يدينه بكل ذلك، بل كان منه ما كان إخلاقاً إلى الأرض، واتباعاً للهوى، وحبّا للرئاسة، نعم، سلك من سلك التدين بعداوة أهل البيت عليهما السلام لحضور عداوه بعض السلف لهم عليهما السلام؛ إذ يدور الأمر لديه بين نفسيه عداههم حبّة لهم عليهما السلام، وبين التدين بلزم طريقة السلف، والأخذ بها، واستمراء معادتهم عليهما السلام، وقد اتفق التدين بعداوة أهل البيت عليهما السلام في الشام بعيدة عن مركز الإشعاع الديني الحق في زمن تخلف اللعين معاوية، وأمّا رعاع الشام ومساورتهم فلم تكن محلاً لابتلاء الرواة في الفترة السابقة لزمن الصادق عليه السلام، ولو لاختلاف المكان بين الرواة وأولئك الرعاع. ولكن قد يُقال: بأنّه لا شاهد على اعتبار التدين بعداوتهم عليهما السلام؛ إذ ظاهر الأدلة أن الناصب هو من نصب العداء لهم، وأظهر بغضهم، مع التفاته إلى أنّهم آل محمد عليهما السلام، وهذا واضح في عصر الخلفاء.

\* وأمّا مسألة نجاسة عرق الجنب من الحرام فلعل طبيعة الجهة الخُلقيَّة المابطة فيها تحول دون تداولها، والسؤال عنها، وزانها وزان مسألة تحقق الجنابة بثقب الغلام، ووطء الدابة التي لم ترد فيها رواية، ولعله للجهة المذكورة، وإن وردت روايات في حرمة الدابة الموطوءة، مع أنها أكثر خسًّا.

\* وأمّا مسألة ترخيص المسافر في الإقامة في الموضع الأربع المعهودة فإنَّه لَمْ كان من العلم المخزون، والأمر المذكور - كما دلَّت عليه جملة من الروايات - لم يخبر الأئمَّة عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ وَالْعَوَادُ به إِلَّا بعض أصحابهم، وخواص شيعتهم، بل أمروا أصحابهم بالتصير مخافةً وقوعهم في خلاف التقىة، فإنَّ من لاحظ الروايات الواردة في الموضع الأربع يظهر له بوضوح أنَّ المتعارف بين الناس كان هو القصر دون الإقامة، ومعه فلا موضع لاستهجان أو استبعاد الإقامة فيها للمسافر؛ لأجل عدم تعرُّض مَنْ قبل الصادق عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ وَالْعَوَادُ من الأئمَّة إِلَيْهِ.

\* وأمّا مسألة وجوب الخمس في أرباح المتجار والمكاسب فلعل تأخير بيانها مصلحة<sup>(٢٧)</sup> - كما تقدَّم في الإجابة الأولى من الإجابات العاشرة - من قبيل: عدم طاقة مسلمي الصدر الأول لتحمل مثل هذا الحكم الشاق زِيادةً على ما كانوا يؤدّونه من الزكوات<sup>(٢٨)</sup>، ولعل عدم شيوعيها لكونها على خلاف العامة<sup>(٢٩)</sup>، خصوصاً وأنَّ مصرف الخمس ليس عموم فقراء المسلمين، بل خصوص الإمام عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ وَالْعَوَادُ، ومساكينبني هاشم، وإمامية أمير المؤمنين عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ وَالْعَوَادُ - فضلاً عن غيره من المعصومين عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ وَالْعَوَادُ - لم تكن مورد قبولهم، بل لم يبايعوا الأمين عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ وَالْعَوَادُ بصفته إماماً لهم، بل بعنوان الخليفة للنبي، على غرار غيره مَنْ سبقه<sup>(٣٠)</sup>، ولعل إظهار ثبوت الخمس في هذا المورد في مصلحة حَكَامَ الجور؛ لأنَّ الخمس للإمام عَلَيْهِمُ الْحَمْدُ وَالْعَوَادُ، فيستغلُّ حاكمَ الجور؛ لكونه يدعُّي الإمامة، ويأخذه من الناس لنفسه، ويعطي بعضه بعض فقراء بني هاشم مَنْ يختاره، كما

يتحمل أنّ هذا القسم من الخمس وظيفةٌ حكوميةٌ وولائيةٌ جُعلت من قبل الأئمة المتأخّرين عليهم السلام حسب الاحتياج، حيث كانت الزكوات - ونحوها - في اختيار خلفاء الجور، ولذلك ترى الأئمة عليهم السلام محلّيين للخمس تارةً، ومطالبين به أخرى<sup>(٣١)</sup>، هذا وفي بعض الكلمات: (والإنصاف أَنَّه لَم يَتَّسْعِ لِدِينِنَا بَعْدَ مَاذَا كَانَتِ الْحَالَةُ عَلَيْهِ فِي عَصْرِهِ عليهِ وَآلِهِ وَسَلَامٌ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَخْذِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْخَمْسِ وَعَدْمِهِ، كَيْفَ؟! وَالْمَهْدُ بَعِيدٌ، وَالْفَصْلُ طَوِيلٌ، وَقَدْ تَخَلَّلَ بَيْنَنَا عَصْرُ الْأَمْوَيْنِ الَّذِينَ بَدَّلُوا الْحُكْمَوَةَ إِلَيْهِمْ حُكْمَوَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَحَقُوا أَحْكَامَ الدِّينِ، حَتَّىٰ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَمْ يَعْرِفُوا وَجْهَ الْزَّكَاةِ الثَّابِتِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، كَمَا يَحْكِيهُ لَنَا التَّارِيخُ وَالْمَدِيْنَةُ، بَلْ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُودَ، وَسِنَنِ النَّسَائِيِّ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الشَّامِ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ أَعْدَادَ الْفَرَائِضِ، وَعَنْ أَبِنِ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَمْ يَعْرِفُوا مَنَاسِكَ حَجَّهُمْ، وَرَوَى أَبْنُ حَزْمٍ عَنْ أَبِنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ خَطَبَ فِي الْبَصْرَةِ، وَذَكَرَ زَكَاةَ الْفَطْرَةِ، وَصَدَقَةَ الصِّيَامِ، فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، حَتَّىٰ أَمْرَ مَنْ مَعَهُ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسَ، فَإِذَا كَانَ الْحَالُ هَذِهِ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَثَلِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الَّتِي هِيَ مِنْ ضَرُورَيَّاتِ إِلَيْهِمْ، وَمُتَعَلِّقَةٌ بِجَمِيعِ الْأَنَامِ، فَمَا ظَنَّكَ بِمَثَلِ الْخَمْسِ الَّذِي هُوَ حَقٌّ خَاصٌّ لِلنَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلام، وَلِقَرْبَتِهِ؟! وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحُقُوقِ الْعَامَّةِ كَمَا فِي الْزَّكَاةِ، بَلْ لِخَصُوصِ بْنِ هَاشِمٍ - زَادُهُمُ اللَّهُ عَزَّاً وَشَرْفًا - . فَلَا غَرَابةٌ إِذْنَ فِي جَهَنَّمَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْخَمْسِ فِي عَصْرِهِ عليهِ وَآلِهِ وَسَلَامٌ أَخْذًا وَصَرْفًا. إِلَّا أَنَّ هَذَا كَلَّهُ لَا يَكْشِفُ عَنْ دُورِ الْوُجُوبِ، وَدُورِ الْوَصْلِ لَا يَلْازِمُ دُورَ التَّشْرِيعِ بَعْدَ أَنْ نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ، وَالسُّنْنَةُ الْمُتَوَاتِرَةُ وَلَوْ إِجْمَالًا<sup>(٣٢)</sup>.

ثُمَّ إِنَّ الْعَامَّةَ قَدْ رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلام وَجُوبَ الْخَمْسِ فِي هَذَا النَّوْعِ، فَفِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ - بِسْتَةِ أَسَانِيدٍ -، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ وَفَدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلام، (قَالَ: مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ غَيْرُ خَرَابِيَّا، وَلَا

ندامي). فقالوا: إِنَّا هَذَا الْحَيٌّ مِّنْ رَبِيعَةِ (قد حلت بيننا وبينك كُفَّارُ مصر)، ولسنا نصل إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمَرَنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذُهُ عَنْكُ، وَنَدْعُوكَ إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، فَقَالَ: أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ؛ الإِيمَانُ بِاللهِ، ثُمَّ فَسْرُهَا لَهُمْ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تَؤْدُوا (الله/إِلَيْهِ) خَمْسَ مَا غَنَمْتُمْ..<sup>(٣٣)</sup>. وَالْمَقْصُودُ خَمْسُ الْأَرْبَاحِ وَالْمَتَاجِرِ، لَا خَمْسٌ غَنَائِمُ دَارِ الْحَرَبِ؛ لِعدْمِ فِرْضِ حَرْبٍ وَغَزْوٍ، بَلْ صَرَّحَتِ الرِّوَايَةُ بِأَنَّ هُؤُلَاءِ لَا يَسْتَطِعُونَ الْوَصُولَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ؛ لِحِيلَوَةِ كُفَّارِ مصرِ، فَلَا غَنِيمَةُ حَرْبٍ؛ إِذَا لَاحَرْبٍ. وَثَلَاثَةُ كَتَبٌ وَعَهْوَدٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجْهٌ بِهَا إِلَى جَمْلَةِ الْقَبَائِلِ تَتَضَمَّنُ لِزُومِ أَدَاءِ حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ حَظَّ اللَّهِ، وَحَظَّ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ الْخَمْسُ مِنْ الْمَغْنِمِ فِي عَرْضِ إِيتَاءِ وَإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ<sup>(٣٤)</sup>.

\* وأَمَّا مَسَأْلَةُ حِرْمَةِ نِكَاحِ أَبِي الْمَرْتَضَعِ فِي أَوْلَادِ الْمَرْضَعَةِ وَصَاحِبِ الْلَّبَنِ فَقَدْ تَنَاوَلُتُهَا بِنَحْوِ مَبْسُوتٍ فِي رِسَالَةٍ مَنْشُورَةٍ<sup>(٣٥)</sup>، وَمُحَصَّلٌ مَا يَرْتَبِطُ بِالْجَهَةِ الْمُبْحُوثُ عَنْهَا هُنَّا - إِضَافَةً لِلْإِجَابَتَيْنِ الْعَامِتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّالِثَةِ - هُوَ: أَنَّ هَذَا النِّكَاحُ لَمْ يَثْبِتْ شَيْأَهُ وَدُورَانُهُ بِنَحْوِ يُعْدُّ مِنَ الْمُسْتَهْجِنِ عَدْمُ التَّعَرُّضِ لَهُ، وَلَعَلَّهُ صَدَرَتْ نَصْوصٌ فِيهِ لَمْ تَصُلْ إِلَيْنَا.

\* وأَمَّا مَسَأْلَةُ حِرْمَةِ الْزَوْجَةِ مِنْ إِرْثِ الْأَرْضِ عِينًا وَقِيمَةً، وَمِنْ إِرْثِ غَيرِهَا مِنِ الْعَقَارِ عِينًا لَا قِيمَةً - فَهِيَ إِنْ كَانَتْ مَحَلًا لِلْابْتِلَاءِ - وَبِكَثِيرَةِ كَاثِرَةِ - إِلَّا أَنَّ تَواتَرَ روَايَاتِهَا الإِجمَالِيِّ - عَلَى الْأَقْلَلِ - مَعَ وَضُوحِ دَلَالَتِهَا عَلَى أَصْلِ الْحِرْمَانِ الْمُذَكُورِ، بِضمِيمَةِ الإِجَابَةِ الْعَامَّةِ الْأُولَى أَوِ الثَّانِيَةِ - يَدْفَعُ اسْتَهْجَانَ - أَوْ اسْتَبعَادَ - مَثَلُ هَذَا الْحَكْمِ؛ لِتَأْخُرِ بَيَانِهِ، ثُمَّ إِنَّ رِوَايَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ<sup>(٣٦)</sup> قَالَ: دَعَا أَبُو جَعْفَرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكِتَابٍ عَلَيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَاءَ بِهِ جَعْفَرٌ مُطْوِيًّا، فَإِذَا فِيهِ: إِنَّ النِّسَاءَ لَيْسَ لَهُنَّ مِنْ

عقار الرجل (إذا توفي عنهن) شيء، فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا والله خط (خطه) على عليه السلام بيده، وإملاء رسول الله عليه السلام<sup>(٣٧)</sup> – وإن كانت فاقدة سندًا، إلا أنها تصلح مؤيّدًا لورود هذا الحكم عن الأمير عليه السلام، بل وعن النبي عليه السلام، وإن كان هذا الورود لا يؤذن بتبلیغه من قبلهما.  
والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله على محمد وآلـهـ.

### المواهـشـ

(١) لاحظ أجود التقريرات ١: ٥٠٨ ، ومحاضرات في أصول الفقه ٥: ٣٢١.

(٢) وهو من إفادات سماحة العلامة الأستاذ السيد منير الحباز (سلمه الله)، وقد كتب ذلك إلى، ونقل بأئته ذكره في بحث الخاص والعام. ولم أحضره عنده؛ إذ كان تتلمذـي عليه من بداية مبحث الإجماع.

(٣) الوسائل ١: ٢٢٠ (ك الطهارة)، ب ١١، من أبواب الماء المضاف والمستعمل، ح ٥.

(٤) مدارك العروة الوثقى ٢: ١٦٤ - ١٦٣، لآية الله الشيخ يوسف الحائرـيـ الخراسانيـيـ البيارجمـديـ قدـسـهـ.

(٥) دليل العروة الوثقى ١: ٥٢١، للحجـةـ الشـيخـ حسينـ السـعـيدـ، تـقـرـيرـاـ لـبـحـثـ آـيـةـ اللهـ الشـيخـ حسينـ الحـلـيـ قدـسـهـ.

(٦) الوسائل ٣: ٤٤٧ (ك الطهارة)، ب ٢٧، من أبواب النجاسـاتـ، والأوانيـ، والجلـودـ، ح ١٢.

(٧) الوسائل ٨: ٥٢٤ (ك الصلاة)، ب ٢٥، من أبواب صلاة المسافـرـ، ح ١.

(٨) الوسائل ٨: ٥٢٤ (ك الصلاة)، ب ٢٥، من أبواب صلاة المسافـرـ، ح ٢.

(٩) الوسائل ٨: ٥٢٥ (ك الصلاة)، ب ٢٥، من أبواب صلاة المسافـرـ، ح ٥.

(١٠) مستند العروة الوثقى (ك الخامس) = موسوعـةـ الإمامـ الحـوـيـ ٢٥: ١٩٧.

- (١١) الوسائل<sup>٩</sup>: ٥٠٣ (ك الخامس)، ب، ٨، من أبواب ما يجب فيه الخمس، ح٦.
- (١٢) الوسائل<sup>١٠</sup>: ٣٩١ (ك النكاح)، ب، ٦، من أبواب ما يحرم بالرضاع، ح١٠.
- (١٣) الوسائل<sup>١١</sup>: ٤٠٤ (ك النكاح)، ب، ١٦، من أبواب ما يحرم بالرضاع، ح٢.
- (١٤) الوسائل<sup>١٢</sup>: ٢٠٨ (ك الفرائض والمواريث)، ب، ٦، من أبواب ميراث الأزواج، ح٦.
- (١٥) الوسائل<sup>١٣</sup>: ٢٠٨ (ك الفرائض والمواريث)، ب، ٦، من أبواب ميراث الأزواج، ح٧.
- (١٦) مجلة فقه أهل البيت عـ<sup>١٤</sup> - العدد ٤٥، ميراث الزوجة من العقار، لسماحة السيد محمود الهاشمي الشاهرودي (سلمه الله): ٣٥ - ٣٦.
- (١٧) مستند العروة الوثقى (الخمس)= موسوعة الإمام الخوئي<sup>١٥</sup>: ١٩٧ - ١٩٨.
- (١٨) كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري<sup>١٦</sup>: ١٤٨، لاحظ الرسائل للإمام الخميني (رسالة في التعادل والترجيح) ٢٥: ٢.
- (١٩) سورة النحل: ٤٣، سورة الأنبياء عـ<sup>١٧</sup>: ٧.
- (٢٠) الوسائل<sup>١٨</sup>: ٦٤ (ك القضاء)، ب، ٧، من أبواب صفات القاضي، ح٩.
- (٢١) سورة ص: ٣٩.
- (٢٢) الوسائل<sup>١٩</sup>: ٦٤ (ك القضاء)، ب، ٧، من أبواب صفات القاضي، ح٨.
- (٢٣) الرسائل للإمام الخميني<sup>١٩</sup>: ٢٦.
- (٢٤) الكافي<sup>٢٠</sup>: ٧٤ (ك الإيمان والكفر، ب الطاعة والتقوى، ح٢)، الوسائل<sup>١٧</sup>: ٤٤ (ك التجارة)، ب ١٢ من أبواب مقدمات التجارة، ح٢.
- (٢٥) لاحظ الرسائل للإمام الخميني<sup>٢١</sup>: ٢٧، ومصب كلامه وإن كان هو تأثير المخصصات والمقيدات وسائر الصوارف - إلّا أنه شاملٌ لما نحن فيه، كما لا يخفى على من راجعه بطوله.
- (٢٦) بحوث في شرح العروة الوثقى للشهيد الصدر<sup>٢٢</sup>: ٧ - ٨.
- (٢٧) مستند العروة الوثقى (الخمس)= موسوعة الإمام الخوئي<sup>١٥</sup>: ١٩٧ - ١٩٨.

(٢٨) دليل تحرير الوسيلة للحجّة الشّيخ على أكابر السيفي المازندراني ١: ١٤٥.

(٢٩) مهذب الأحكام ١١: ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣٠) دليل تحرير الوسيلة ١: ١٤٥.

(٣١) كتاب الخمس للفقيه المنظري ٢٠٢، وإن استبعد هو هذا الاحتمال باستدلال الأئمة عليهما.

في هذا الباب بآية الخمس، وتطبيقهم إليها عليه.

(٣٢) مستند العروة الونقى (الخمس)= موسوعة الإمام الخوئي ٢٥: ١٩٩ - ٢٠٠، و قريب منه في

تفصيل الشريعة (الخمس والأنفال): ١١٠ - ١١١.

(٣٣) صحيح البخاري ١: ١٣٣، ٢: ١٠٩، ٤: ١٠٩ و ١٥٧، ٥: ١١٦، ٧: ١١٤، صحيح مسلم ١: ٣٥.

(٣٤) وقد استقصاها ورصدها المرحوم السيد مرتضى العسكري في كتابه معالم المدرستين (مقدمة مرآة العقول ١: ١٠١ - ١٠٧)، منها كتاب النبي عليهما السلام لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، وكتابه لسعد هذيم من قضاة وإلى جذام، وكتابه لمالك بن أحرار الجذامي، وللن تبعه من المسلمين، وكتابه للفجيع، ومن تبعه، وكتابه للأسبديين ملوك عمان من منهم بالبحرين، وكتابه لمن أسلم من حدس ونحوه، وكتابه لجنة الأزدي، وقومه، ومن تبعه، وكتابه لبني معاوية بن جرول الطائيين، وكتابه لجهينة بن زيد، وكتابه لبني ثعلبة بن عامر، وكتابه لبني زهير العكليين، وكتابه لبعض أخذاد جهينة، وكل هذه العهود والكتب مروي في كتب العامة، فراجع.

(٣٥) نشرت في مجلة «رسالة القلم»، العدد ١٤٤، الصادرة في ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ بقلم المقدّسة.

(٣٦) لتردد عبد الملك بين الثقة وغيره، وإن كان جُل رجال السنّد ثقّات بما في ذلك الحسين وأبو مخلد ، فإنّ الحسين هو الحسين بن أبي العلاء الثقة الذي يروي عن أبي مخلد، وأبو مخلد هو السراج الثقة برواية صفوان بن يحيى عنه، وأماما عبد الملك فهو مردّد بين عبد الملك بن أعين الثقة، وعبد الملك بن عتبة الهاشمي الذي لم تثبت وثاقته؛ إذ هما الروايان عن الباقي عليهما السلام، وليس

المراد منه عبد الملك بن عتبة التخعي الثقة، فإن لفظ عبد الملك وإن كان ينصرف إليه؛ لأنّه صاحب الكتاب، إلا أنه لا يروي عن الباقي عليه السلام.  
٣٧) الوسائل ٢٦: ٢١٢ (ك الفرائض والمواريث)، ب٦، من أبواب ميراث الأزواج، ح١٧.

# بحث في أدلة الشفاعة عن المعتزلة

(القسم الثاني)

سعيد جعفر حماد

نحو تنقسم أدلة المعتزلة - على عدم شمول الشفاعة لأصحاب الكبائر إذا لم يتوبوا - إلى أدلة عقلية وأدلة سمعية قرآنية وروائية، وتقدم الكلام في القسم الأول حول الأدلة العقلية، ومقدارٍ من الأدلة القرآنية مع ما فيها من مناقشاتٍ، ولازال الكلام في الأدلة القرآنية.

## الأية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(١)</sup>.

أخبر تعالى عن ملائكته أنهم لا يشفعون لكل شخص إلا أن يرضيه الله عز وجل، والفاشق ليس بمرتضى عند الله تعالى، وإذا لم تشرع الملائكة له فكذا الأنبياء والأولياء عليهما السلام؛ لأنّه لا قائل بالفرق<sup>(٢)</sup>، والفاشق غير مرضي عند الله تعالى، فلا يشفع الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه عليهما، وقال مجاهد: لا يشفعون إلا من رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنِ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾<sup>(٤)</sup> معناها: لا تشفع الملائكة إلا من رضي الله عنه، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(٥)</sup>.

## المناقشة الأولى:

للفخر الرازي، ومحصلها: إن الآية الكريمة تثبت الشفاعة لكل من صدق عليه بأن الله راضٍ عنه، وصاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى؛ لأن الله تعالى راضٍ عن إيمانه، وعن توحيده، فتشمله الشفاعة، وعن ابن عباس والضحاك أن معنى: ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أي: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ<sup>(١)</sup>. وعدم ارتضاء الله تعالى عن الفاسق من حيث فسقه لا يعني صدق عدم ارتضاء الله تعالى عنه بشكل مطلق، وثبت في العلوم المنطقية أن القضيتين المهملتين لا تتناقضان، فقولنا: (زيد عالم)، على نحو القضية المهملة لا تتناقض مع: (زيد ليس عالم). إذا كانت مهملةً أيضاً، وإذا ثبت هذا فكذا قولنا: (صاحب الكبيرة مرتضى)، و(صاحب الكبيرة ليس بمرتضى)، لا يتناقضان؛ لاحتمال أن يُقال: إنه مرتضى بحسب دينه، ليس بمرتضى بحسب فسقه. وأيضاً فمتى ثبت أنه مرتضى بحسب إسلامه صدق عليه عنوان مرتضى، فتشمله الشفاعة، فوجب دخوله تحت الاستثناء، وخروجه عن المستثنى منه، فثبت أنه من أهل الشفاعة<sup>(٧)</sup>.

## جواب المناقشة:

إن تخصيص الشفاعة لمن يرتضيه الله تعالى ليست قضية مهملةً - بحسب الظاهر - حتى يُقال بأنها لا تناقض عدم ارتضاء الله تعالى عن عبدٍ من جهة فسقه، بل ظاهرها - بحسب الانصراف عند الإطلاق - إلى كون العبد مرضيًّا عند الله من خلال عقيدته وطاعته، والمرتكب للكبيرة - مع عدم توبته عنها - ليس كذلك، نظير عدم رضا الأب عن ابنه، والأم عنده، والسلطان عن رعيته، فإن الملحوظ في

الرضا العقيدة والعمل، ومجرد الإسلام - والتلفظ من غير عملٍ - لا يعني تحقق الرضا، وما أكثر الذنوب التي توجب سخط الله تعالى.

نعم ولو قامت قرينة على أن المراد رضا الله من حيث العقيدة والتلفظ بالشهادتين، لأنّك صرف المعنى عن الظاهر، وعما تصرف إليه من المعنى.

### المناقشة الثانية:

وهي للعلامة الطباطبائي قشيش<sup>(٨)</sup>، ومحللها أنّ المراد لا يشفعون إلاّ من ارتضى الله دينه، وتعلق الرضا بالدين - لا بالعمل - في الآية لثلاثة قرائن:

الأولى: إطلاق الارتباط ولم يقيده بعملٍ أو نحوه، ولو كان مقيداً بالعمل لقيده به، كما قيد الرضا بالقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾<sup>(٩)</sup>، حيث لم يقيد في: (من ارتضى) عُرف بأنّ المراد من: (ارتضى) ارتضاء أنفسهم، أي: ارتضاء دينهم، لا ارتضاء عملهم.

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفُدًا \* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا \* لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾<sup>(١٠)</sup>، إنّ من اتّخذ عند الرحمن عهداً، يُملّك الشفاعة، ومن المجرمين من كان على دين الحق، لكنّه لم يعمل صالحاً، وهو الذي اتّخذ عند الرحمن عهداً، ويدلّ على أنّ اتّخاذ العهد عند الرحمن هو كونه على دين الحق، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ \* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾<sup>(١١)</sup>، فإنّ قوله: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ عهدٌ بمعنى: (الامر)، وقوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ عهدٌ بمعنى: (الالتزام)؛ لاشتمال الصراط المستقيم على المداية إلى السعادة والنجاة، فيفهم أنّ اتّخاذ العهد عند الله هو اتّخاذ الدين الحق، فهو لاء قومٍ من أهل الإيمان يدخلون النار؛ لسوء أعمالهم، ثم ينجون منها بالشفاعة، ويستشعر هذا المعنى من قوله تعالى:

﴿قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَخَذُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾<sup>(١٢)</sup>، فبين استفهم استنكاريٌّ - فهل هؤلاء اليهود المحرفين على دين الحق حتى يقولوا: «لن تمسنا النار إلا أيامًا مععددة، ثم نخرج منها بالشفاعة».؟!، ومفهوم الآية أن من اتخذ عند الله عهداً - أي: كان على دين الحق - لا تمسه النار إلا مجرد أيامٍ مععددة، فجميع الآيات الآنفة تدل على مورد الشفاعة، أعني المشفوغ لهم يوم القيمة هم: الدائنون بدين الحق من أصحاب الكبائر، وهم الذين ارتكبوا عهداً.

القرينة الثالثة: ما رواه الفريقان من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، ولو لم يثبت هذا عن النبي ﷺ فإنما قد أثبته عن طريق الآيات المتقدمة<sup>(١٤)</sup>.

### التأمل في المناقشة:

القرائن التي ذكرها السيد العلام لا تخلو من نظرٍ، ما عدا الثالثة، وسيأتي الحديث فيها، فأما القرينة الأولى: فلما تقدم من رد المناقشة الأولى، من أن ظاهر الارتضاء يتعلق بالعقيدة والعمل معاً، كما يظهر من عدة آيات من القرآن الكريم، مثل:

١) ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١٥)</sup>، رضي الله عنهم بما فعلوا<sup>(١٦)</sup>.

٢) وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَئْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(١٧)</sup>، فظاهر الآية الشريفة أن الاتباع بالإحسان له مدخلية في حصول الرضا، وقال الشيخ الطوسي في تفسير الآية: (ثم أخبر أن الله رضي عنهم، ورضي أفعالهم، ورضوا هم أيضاً عن الله؛ لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم، وإيمانهم ...).

فالعلف في قوله: (ورضي أفعالهم) عطف تفسيري؛ إذ لا يوجد إلا رضا واحد من الله تعالى في الآية الشريفة، وقال الشيخ الطبرسي: (أخبر سبحانه أنه رضي عنهم أفعالهم)<sup>(١٩)</sup>.

٣) قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢٠)</sup>، رضي الله عنهم بآخلاقهم الطاعنة له<sup>(٢١)</sup>.

٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ \* جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾<sup>(٢٢)</sup>، رضي أفعالهم، وبما قدموه من طاعات<sup>(٢٣)</sup>.

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تدل أن الرضا لا ينحصر بالرضا بالدين دون العمل، يرويها الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حفص المؤذن، عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته إلى أصحابه، قال: «واعلموا أنه ليس يعني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً، لا ملك مقرب، ولانبي مرسلاً، ولا من دون ذلك، فمن سره أن ينفعه شفاعة الشافعيين عند الله، فليطلب إلى الله أن يرضي عنه»<sup>(٢٤)</sup>.

فإن الإمام عليه السلام ينطّب أصحابه، ولا شك أن دينهم مرضي، فلم يبق معنى لطلب الرضا إلا في العمل.

وأما القرينة الثانية: فإن نفس العلامة قيش - عند تفسيره لقوله: ﴿لَا يَمْلُكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ - بين أن المراد من: ﴿مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ هو: أن الشفيع عليك الشفاعة بعهد من الله تعالى، وهذا لا يكون إلا إلى صفة أوليائه، ونص عبارته عند تفسيره للآلية في محلها هو:

(هذا جواب ثان عن اتخاذهم الآلة للشفاعة، وهو أنّ ليس كلّ من يهوى الإنسان شفاعته فاتخذه إلّا - ليشفع له - يكون شفيعاً، بل إنّما يملّك الشفاعة بعهد من الله، ولا عهد إلّا لأحد من مقربي حضرته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢٥)</sup>. وأمّا كون معنى: ﴿مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ هو أنّ المُشفع لهم لا يملّكون الشفاعة إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهداً، والعهد هو: الإيمان بالله، والتصديق بالنبوة، - فإنّما ذكره قوله مُشيراً بتضعيقه، وصرّح بترجيح المعنى الأوّل الذي اختاره، وقال: هو الأوّل، وهو بالسياق أنساب<sup>(٢٦)</sup>.

مضافاً إلى أنه قد ورد من الأخبار ما يفسّر العهد في قوله: ﴿مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، فعن أبي بصير عن الإمام الصادق ع عليهما السلام في حديث جاء فيه سؤال الراوي عن هذه الآية:

«قلتُ: قوله: ﴿لَا يَأْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال: إلّا من دان بولاية أمير المؤمنين، والأئمة من بعده، هو العهد عند الله»<sup>(٢٧)</sup>. تدلّ على أنّ اتخاذ العهد ليس مجرد الشهادتين.

وفي رواية أخرى تطبق وصيّة الميت بنحو خاصٍ على عهد الله في الآية الشريفة، يرويها الحمدون الثلاثة<sup>(٢٨)</sup> بسند متصل عن سليمان بن جعفر، عن أبي عبد الله ع عليهما السلام، قال: قال رسول الله ع عليه وسلم: «من لم يحسن وصيّته عند الموت كان نقصاً في مروءته، وعقله. قيل: يا رسول الله، وكيف يوصي الميت؟ قال: إذا حضرته وفاته، واجتمع الناس إليه، قال: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، اللهم إني أعهد إليك في دار الدنيا أني أشهد أن لا إله إلّا أنت، وحدك لا شريك لك، وأنّ محمداً عبدك، ورسولك، وأنّ الجنة حقٌّ، وأنّ النار حقٌّ،

وأنَّ البعثَ حُقُّ، وأنَّ الحسابَ حُقُّ، والقدرُ والميزانُ حُقُّ، وأنَّ الدينَ كما وصفت، وأنَّ الإسلامَ كما شرعت، وأنَّ القولَ كما حدثَت، وأنَّ القرآنَ كما أنزلَت، وأنك أنت اللهُ الحقُّ المبين، جزى اللهُ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خيرَ الجزاء، وحيَا اللهُ مُحَمَّدًا وآلَ مُحَمَّدٍ<sup>١</sup> بالسلام، اللهم يا عَدِّي عندَ كربلا، ويَا صاحبِي عندَ شَدِّي، ويَا ولِي نعمتي، إلهي وإله آبائي، لا تتكلني إلى نفسي طرفة عينٍ أبداً؛ فإنك إن تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ أقربُ من الشَّرِّ، وأبعدُ من الخير، فآنِسٌ في القبر وحشتي، اجعل لي عهداً يوم ألقاك منشوراً. ثم يوصي بحاجته، وتصديق هذه الوصية في القرآن في السورة التي يذكر فيها مريم في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنَ عَهْدًا﴾، فهذا عهد الميت، والوصية حُقُّ على كلِّ مسلمٍ أن يحفظ هذه الوصية، ويعلمها، وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: علمنيها رسول الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقال رسول الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: علمنيها جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾<sup>(٢٩)</sup>.

وهذه الرواية تشعر بالمعنى الذي يذهب إليه الطباطبائي<sup>٢</sup> من العهد، وإن كان التطبيق لحالة خاصة.

وأما القرينة الثالثة فهي العمدة في المقام، وسوف يأتي الحديث في حدودها إن شاء الله تعالى.

### المناقشة الثالثة:

وهي للشيخ الطوسي قَدِّسَ سَلَّمَ، ومفادها أنَّ الآية ليست ظاهرةً في كون ارتضاء الله تعالى عن العبد من حيث العمل، بل يمكن أن يكون المراد: لا يشفعون إلَّا من رضي اللهُ أَن يُشفع فيه، قال:

(وهذا الذي ذكروه ليس في الظاهر، بل لا ينتفع أن يكون المراد: لا يشفعون إلا من رضي الله أن يُشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، والمراد: أنّهم لا يشفعون إلا من بعد إذن الله لهم، فيمن يشفعون فيه) <sup>(٣٠)</sup>.

ونظير هذه المناقشة نقلها الفخر عن بعض المفسّرين، فقال ما مفاده: (إذا قلنا: إنَّ المراد من الآية الكريمة هو أنَّ الملائكة لا يشفعون إلا من ارتضى الله منه شفاعته. فلا تدلُّ إلَّا على أنَّ تحقق الشفاعة لشخصٍ مشروطةً بأن تكون ممْن يرضي الله عن شفاعته، وليس فيها نظرٌ إلى من يكون الله راضياً عن شفاعته) <sup>(٣١)</sup>.

فبناءً على هذه المناقشة: إنَّ الآية الكريمة لا تدلُّ على عدم شمول الشفاعة لمرتكبي الكبائر إذا لم يتوبوا، كما أنها لا تدلُّ على شمول الشفاعة لهم، وإنما تدلُّ على أنَّ الشفاعة يمكن أن تتحقق إذا كان الله راضياً بتحقيقها، وليس فيها نظرٌ إلى من تتعلق به الشفاعة، فلا تدلُّ على ما هي صفات الأشخاص الذين يرضي الله بتحقيق الشفاعة لهم.

### التأمّل في المناقشة:

إنَّ حمل ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى﴾ على: (إلَّا من ارتضى الله تتحقق الشفاعة فيه من الشفاعة) - تحتاج إلى تقدير أكثر من معنى لمن ارتضى الله عنه.

وكما أنَّ هذه المناقشة لا يقبلها من يرى دلالة الآية على عدم شمول الشفاعة لمرتكبي الكبائر، كذلك لا يرتضيها من يرى أنَّ الآية تدلُّ على شمولها لهم، كالفخر الرازي، حيث أجاب عن هذه المناقشة فقال ما مفاده: (إنَّ حمل الآية على أنَّ المراد: (لا يشفعون إلا من ارتضى الله بشفاعته)، فلا داعي له، ولا فائدة فيه، بخلاف حملها على معنى: (لا يشفعون إلا من ارتضاه الله)، حيث إنَّ الآية تفيد الترغيب

والتحريض على طلب مرضاة الله عز وجل، والاحتراز عن معصيته، وتفسير كلام الله على ما يكون أكثر فائدةً أولى من غيره من التفسير) (٣٢).

#### المناقشة الرابعة:

وهي للشيخ الطوسي أيضاً، ومفادها أنه على فرض التنزيل على كون المراد من: ﴿إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ هو: (إلا لمن ارتضى عمله)، فإن المعنى: ارتضى إعانة، وكثيراً من طاعاته (٣٣).

فإذا كانت الطاعة غالبةً من العبد على العاصي فيصح تعلق الرضا بالأعمال، فيكون إطلاق الرضا عليها من باب الغلبة، فتشمل الشفاعة من ارتكب الكبائر إذا غلت عليها الطاعات.

لكن قد يُقال: بأن هذه المناقشة أخص من المدعى.

#### الأية الخامسة:

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَأَبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٣٤).

ولو كان الله سبحانه يغفر للفاسق - الذي لم يتوب - بتوسيط الشفاعة، لما كان معنى لتقييد المستغفر إليهم في دعاء استغفار الملائكة للمؤمنين بالذين تابوا، وأبعدوا السبيل (٣٥).

قال الرحمنى: فإن قلت: ما الفائدة في استغفارهم لهم، وهم تائبون، صالحون، موعودون المغفرة، والله لا يخالف المعاد؟!

قلتُ: هذا بمنزلة الشفاعة، وفائده زيادة الكرامة والثواب<sup>(٣٦)</sup>.

### المناقشة الأولى:

مناقشة الفخر الرازي، ومفادها أنّ نفس الآية تدلّ على أنّ شفاعة الملائكة تحصل للمذنبين الذين لم يتوبوا، ويستفاد ذلك منها من ثلاثة وجوه:  
الأول: في قوله في صدر الآية: ﴿بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، فكلّ من صدق عليه عنوان المؤمن، فإنّ الملائكة تستغفر له، وصاحب الكبيرة من جملة المؤمنين، فوجب دخوله في جملة من تستغفر الملائكة لهم، أقصى ما في الباب أنه ورد بعد ذلك قوله: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾، إلا أنّ هذا لا يقتضي تخصيص ذلك العام؛ لما ثبت في أصول الفقه أنّ اللفظ العام إذا ذكر بعده بعض أقسامه، فإنّ ذلك لا يوجب تخصيص ذلك العام بذلك الخاص، أو إثبات شيءٍ لبعض الأفراد لا ينفي ثبوته لبعض آخر<sup>(٣٧)</sup>.

الثاني: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، والاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة لا تذكر إلا في إسقاط العقاب، أمّا طلب النفع الزائد فإنه لا يسمّى استغفاراً.

الثالث: قوله تعالى: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾، طلب المغفرة للذين تابوا، ولا يجوز أن يكون المراد إسقاط عقوبة الكبيرة بعد التوبة؛ لأنّ ذلك واجبٌ على الله عند المعذلة، وما كان فعله واجباً كان طلبه بالدعاء قبيحاً، ولا يجوز أيضاً أن يكون المراد إسقاط عقوبة الصغار؛ لأنّ ذلك أيضاً واجبٌ، فلا يحسن طلبه بالدعاء، ولا يجوز أن يكون المراد طلب زيادة منفعة على الثواب؛ لأنّ ذلك لا يسمّى مغفرةً، فثبتت أنه لا يمكن حمل قوله: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ إلا على إسقاط عقاب الكبيرة قبل التوبة.

وإذا ثبت تحقق شفاعة الملائكة للمذنبين، فكذلك ثبت شفاعة الأنبياء؛ للإجماع على عدم الفرق<sup>(٣٨)</sup>.

### جواب المناقشة:

أولاً: ظاهر سياق الآية الكريمة يفيد بأنّ الخاصّ الذي جاء بعد العام يفسّر العام، فهما في سياق واحد، فقول الملائكة: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾، يفسّر قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، فاستغفار الملائكة للمؤمنين هو بهذا الدعاء، ولا يفهم من الآية أنّ للملائكة استغفارين، أحدهما لمطلق من أسلم، والآخر لخصوص من تاب.

ثانياً: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَبَّا رَحِيمًا﴾<sup>(٣٩)</sup> - يصلح ردّاً على دعوى لعوبية الاستغفار للتائب.

ثالثاً: على فرض تحقق التوبة التي ترتّب عليها المغفرة لا مانع من استغفار الملائكة لهم، بناءً على ما أفاد الشيخ الطوسي، والشيخ الطبرسي من أنّ إسقاط العذاب من الله تعالى عن التائب تفضل منه<sup>(٤٠)</sup>.

رابعاً: إنّ التوبة لها مراتب ومستويات، ولا تلازم بين تحقق المغفرة وتحقق صرف التوبة، ومن أيّ مستوى كانت.

### المناقشة الثانية:

وهي تفهم من كلام العلّامة الطباطبائي<sup>(٤١)</sup>، أنّ التوبة هنا ليست التوبة عن المعصية التي هي فرع الإيمان، وإنّما التوبة هي الرجوع إلى الله تعالى بالإيمان، قال في تفسير: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: والمعنى: فاغفر للذين رجعوا إليك

بالإيمان بوحدانيتك، وسلوك سبilk الذي هو الإسلام، وقِهْم عذاب الجحيم، وهو: غاية المغفرة<sup>(٤٢)</sup>.

وأفاد في مورد تفسير: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾<sup>(٤٣)</sup>، أن المراد من التوبة أصل الإيمان، واستشهد بالآية التي هي محل البحث، قال: والمراد بن تاب مع النبي: المؤمنون؛ الذين رجعوا إلى الله بالإيمان، وإطلاق التوبة على أصل الإيمان - وهو رجوع من الشرك - كثير الورود في القرآن، قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلّذِينَ آمَنُوا بَنَا وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾<sup>(٤٤)</sup>، إلى غير ذلك<sup>(٤٥)</sup>.

### التأمّل في المناقشة:

أولاً: حمل التوبة على الإيمان خلاف الظاهر، ولا يصار إليه إلا بقرينة صارفة واضحة المعالم، وإطلاق استغفار الملائكة لمن في الأرض - من غير تخصيص بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤٦)</sup> - يمكن أن ينحصّر بالآية التي هي محل البحث، كما فعل ذلك الشيخ مكارم الشيرازي<sup>(٤٧)</sup>.

ثانياً: ما ورد من مرسلة ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، من أن استغفار الملائكة خاص للتابعين من الذنب، الرواية يرويها الشيخ الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، رفعه قال:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِيْلَهُ أَعْطَى التَّائِبِينَ ثَلَاثَ خَصَالٍ، لَوْ أَعْطَى خَصْلَةً مِنْهَا جَمِيعَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْجَوَا بِهَا، قَوْلُهُ عَزَّ ذِيْلَهُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»<sup>(٤٨)</sup>، فمن أحبه الله لم يعذبه، قوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَعْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ  
رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِيمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ \* رَبَّنَا  
وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتَ عَدْنَ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ  
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَقِيمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحْمَتَهُ وَذَلِكَ هُوَ  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَقَوْلُهُ عَزَّلَنَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا أَخْرَ ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ  
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً \* يُضَاعِفُ لَهُ الْعَذَابُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانَا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ  
اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾<sup>(٤٩)</sup>.

ثالثاً: ما ورد مستفيضاً - إن لم يكن متواتراً - من اختصاص استغفار الملائكة للمؤمنين بالمعنى الخاص<sup>(٥٠)</sup>، حيث إن المستفاد استغفار الذنوب التي هي فرع الإسلام والإيمان.

وهذا الوجه الأخير - وسابقه - يصلحان ردًا على مناقشة الرازى<sup>أيضاً</sup>.

#### الآية السادسة:

قوله عزَّلَنَ: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعةُ الشَّافِعِينَ﴾<sup>(٥١)</sup>.

احتجَ العتزلة<sup>(٥٢)</sup> بهذه الآية أيضاً؛ لعدم شمول الشفاعة لمرتكب الكبيرة؛ حيث إن المحرمين اقتربوا ما أوجب دخلوهم النار، فلا تنفعهم شفاعة الشافعين.

قال الزمخشري:

لو شفع لهم الشافعون جميعاً - من الملائكة، والنبىين، وغيرهم - لم تنفعهم شفاعتهم؛ لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله، وهم مسخوطٌ عليهم، وفيه دليلٌ على أن الشفاعة تنفع يومئذ؛ لأنها تزيد في درجات المرتضىين<sup>(٥٣)</sup>.

## المناقشة:

ما أطبق عليه المفسرون من كون الآية خاصةً بالكافرين، ولربما يُقال: إنَّ استدلال الرازبي بها على وقوع الشفاعة يصلح مناقشةً للمعتزلة، ودلالتها على ثبوت الشفاعة للMuslimين بناءً على مفهوم اللقب، أو بتعبيره: دليل الخطاب، فالكافرون لا تنفعهم شفاعة الشافعيين، يعني بالمفهوم: أنَّ شفاعة الشافعيين تنفع المسلمين<sup>(٥٤)</sup>.

وكذا العلامة الطباطبائي يرى دلالتها على وقوع الشفاعة بقرائن ثلاثٍ:  
الأولى: أنها تنفي الانتفاع عن طائفةٍ خاصةٍ من المجرمين الذين ذكرت الآية صفاتهم، لا عن جميع المجرمين.

الثانية: الشفاعة في الآية الكريمة مضافةٌ، لا مقطوعةٌ عن الإضافة، ونفي المصدر المضاف يشعر بوقوع الفعل في الخارج، ففرقٌ بين جملة: (لا تنفعهم الشفاعة)، وبين جملة: (فلا تنفعهم شفاعة الشافعيين).

الثالثة: كون المضاف إليه بصيغة الجمع يدلُّ على وقوع الشفاعة، ولو لم تقع كان الإتيان بصيغة الجمع لغوًّا؛ لأنَّ صيغة الفرد تقوم مقامها، فلا معنى للإتيان بصيغة الجمع<sup>(٥٥)</sup>.

لكنَّ مجرَّد كون الآية تثبت الشفاعة لا يصلح ردًا للمعتزلة؛ لأنَّ المعتزلة لا تنكر أصل وقوع الشفاعة، وقد تقدم عن الزمخشري أنَّ الآية تدلُّ على أنَّ الشفاعة تنفع في زيادة النفع.

نعم، ظاهر العلامة بأنَّ من اتصف بالصفات التي ذكرتها الآية الكريمة - من أنَّ المجرمين لا تشملهم الشفاعة - يفيد بأنَّ من لم يتصف بتلك الصفات من المجرمين فإنَّ الشفاعة تنفعه، وقد وضحَ كلامَه أكثر في موردٍ آخر، ومحصلٌ ما أفاد: أنَّ قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ \* إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ \* فِي جَنَّاتٍ يََسْأَلُونَ \*  
عَنِ الْمُجْرِمِينَ \* مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ \* وَكَمْ نَكُ نُطْعَمُ  
الْمُسْكِينَ \* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ \* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ \* حَتَّىٰ أَتَانَا  
إِلِيَّينِ﴾ (٥).

تبين الآيات أن كل نفسٍ مرهونةٍ بعملها، مؤاخذةً على ما ارتكبت من الذنب، إلا أصحاب اليمين، وأما الجرمون الذين سلكوا سقر فإنهم مرهونون بأعمالهم، لكن ليس كل مجرمين، بل الجرمون الذين يتصرفون بما وصفتهم به الآيات الكريمة، وأما من لم يتصرف بتلك الصفات فهو من أصحاب اليمين، وإن كان من المجرمين، لكن الله سبحانه فاك نفوسهم عن رهان الذنب والآثام بواسطة الشفاعة، فأصحاب اليمين هم المشفعون بالشفاعة، وبيان ذلك:

إن الآيات تعرّف أصحاب اليمين بانتفاء الأوصاف المذكورة في الآية الكريمة، والآيات من سورة المدثر، وهي مكية، نزلت في بدايات البعثة النبوية، ولم يشرع الله في ذلك الوقت الصلاة - والزكاة - بالكيفية التفصيلية في الأحكام الفقهية، فالمراد من الصلاة - وهي الصفة الأولى - في قوله: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ هو: التوجّه إلى الله تعالى بالخضوع إلى عبادته عمّن سواه، والمراد من الصفة الثانية (إطعام المسكين): مطلق الإنفاق على المحتاجين في سبيل الله، دون الصلاة والزكاة المعهودتين في الشريعة الإسلامية، والصفة الثالثة هي: الخوض، وهو الغور في ملاهي الحياة، وزخارف الدنيا، التي تصرف الإنسان عن الإقبال على الآخرة، وذكر يوم الحساب، والصفة الرابعة: التعمق في الطعن في آيات الله، التي تذكر يوم الحساب، وتندّر به، والتي تبشر بالجنة للموحدين.

وهذه الصفات الأربع أركان للدين؛ لأنّ الدين - بحسب الاعتقاد والعمل - يقوم بهذه المصال الأربعة، وأمّا بقية أركان الدين - كالنبوة - فهي لازمةٌ هذه الأركان الأربع، وأصحاب اليمين من لا يتّصف بهذه الصفات، فهم مرضىٌ عنهم في الدين والاعتقاد، سواء كانت أعمالهم مرضيةً فلا يحتاجون إلى الشفاعة يوم القيمة، أو لم تكن أعمالهم مرضيةً فهم المحتاجون إلى الشفاعة، وهم الذين لم يجتنبوا الكبائر، وأمّا الذين اجتنبوا الكبائر - ولم يجتنبوا الصغائر - فإنّهم غير محتاجين للشفاعة؛ لأنّ الله يقول: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنَدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٥٧)</sup>، فثبت أن الشفاعة لأهل الكبائر من أصحاب اليمين.<sup>(٥٨)</sup>

وإنما أطلق عليهم لقب: ( أصحاب اليمين ) في مقابل: ( أصحاب الشمال )، وقد يُطلق عليهم: ( أصحاب الميمنة ) مقابل: ( أصحاب الشمامة )، وهي مأخذةٌ مما اصطلاح عليه القرآن من إيتاء الإنسان يوم القيمة كتابه بيمنيه<sup>(٥٩)</sup>.

#### الآية السابعة:

وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذْرَمُ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾<sup>(٦٠)</sup>، وكذا قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾<sup>(٦١)</sup>، وكذا بقية الآيات النافية لوجود أنصار للظالمين يوم القيمة، ولو كان الرسول ﷺ يشفع للفاسق من أمته لوصفوا بأنّهم منصورون؛ لأنّه إذا تخلّص بسبب شفاعة الرسول ﷺ عن العذاب فقد بلغ الرسول النهاية في نصرته<sup>(٦٢)</sup>.

وقال الزمخشري في مورد الآية الثانية: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: اللام إشارة إلى من يدخل النار، وإعلامُ بأنّ من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة، ولا غيرها<sup>(٦٣)</sup>.

## المناقشة الأولى:

وهي للشيخ الطوسي قيئش، ومفادها: أن حقيقة الشفاعة تختلف عن حقيقة النصرة، قال في مورد الآية الأولى:

والنصير: هو المعين على العدو، فعلى هذا لا تدل الآية على أنه لا شفاعة لمرتكبي الكبائر؛ لأن لا أحد يقول: إن لهم معيناً على عدوهم في مورد الشفاعة، بل إنما نقول: لهم من يسأل في باهتم على وجه التضرع، ولا يسمى ذلك نصراً على حال<sup>(٦٤)</sup>.

وقال في مورد الآية الثانية: معناه: ليس للظالمين من يدفع عنهم على وجه المغالبة والقهقر؛ لأن الناصر هو: الذي يدفع عن المنصور على وجه المغالبة، ولا ينافي ذلك الشفاعة في أهل الكبائر؛ لأن الشفاعة هي: مسألة، وخصوص، وتضرع إلى الله تعالى، وليس من النصرة في شيء، وقوله عليه السلام: «يخرجون من النار بعد ما يصيرون حمماً وفحماً»، صريح بوقوع العفو عن مرتكبي الكبائر<sup>(٦٥)</sup>.

وبعد الشيخ الطبرسي الشیخ الأنصاری في هذه المناقشة<sup>(٦٦)</sup>، والفخر الرازي قسّاك بالمتبادر العرفي: لاختلاف أحدهما عن الآخر، قال:

إن العرف لا يسمى الشفيع ناصراً، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾<sup>(٦٧)</sup>، ففرق تعالى بين الشفيع والناصر، فلا يلزم من نفي الأنصار نفي الشفاعة<sup>(٦٨)</sup>.

## المناقشة الثانية:

للفارغ الرازي، مفادها: أن مدلول ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ سلب العموم، لا عموم السلب، وتقديم نظير هذه المناقشة له<sup>(٦٩)</sup>.

#### المناقشة الثالثة:

له أيضاً، قال: إن هذا الدليل النافي للشفاعة عامٌ في حق الكل، وفي كل الأوقات، والدليل المثبت للشفاعة خاصٌ في حق البعض، وفي بعض الأوقات، والخاص مقدم على العام<sup>(٧٠)</sup>.

#### المناقشة الرابعة:

له أيضاً، ومفادها: أن دلالة العموم إنما تدل على الاستغراق بالظهور الظني، والمسألة ليست ظنية، ولا بد فيها من العلم<sup>(٧١)</sup>.

#### المناقشة الخامسة:

العلامة الطباطبائي يرى في الآية الأولى عدم النصير، وعدم الشفيع؛ وذلك لخصوصية ترك العمل بوجوب الإنفاق، وليس كذلك باقي المعاصي الكبيرة<sup>(٧٢)</sup>.

#### الآية الثامنة:

قوله ﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ \* يَصْلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ \* وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾<sup>(٧٣)</sup>، يدل على أن كل الفجار يدخلون النار، وعنوان الفاجر يشمل الفاسق من المسلمين، وتدل على أنهم لا يغيبون عن النار، وإذا ثبت أنهم لا يغيبون عنها ثبت أنهم لا يخرجون منها، وإذا كان كذلك فليس هناك من يشفع لهم، فليس لهم نصيب من الشفاعة، لا في العفو عن العقاب، ولا في الإخراج من النار بعد أن أدخلهم الله فيها<sup>(٧٤)</sup>.

وربما يؤيد هذا المعنى بما يُطنّ من تصديق الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لخبر أبي ذر الذي يرويه الشيخ الكليني بسند إلى عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال:

« جاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟! فَقَالَ: لَا تَكُونُمْ عُمْرَتُمْ الدُّنْيَا، وَأَخْرَبْتُمُ الْآخِرَةَ، فَتَكَرَّهُونَ أَنْ تُنْقَلُوا مِنْ عُمْرَانِ إِلَى خَرَابٍ. فَقَالَ لَهُ: فَكَيْفَ تَرَى قَدْوَمَنَا عَلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ فَكَالْغَائِبِ يَقْدِمُ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَمَّا الْمُسِيءُ مِنْكُمْ فَكَالْآبَقِ يَرْدُ عَلَى مَوْلَاهُ. قَالَ: فَكَيْفَ تَرَى حَالَنَا عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: اعْرَضُوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى الْكِتَابِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾...الْحَ﴾<sup>(٧٥)</sup>.

فَإِنْ نَقَلَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكَلَامَ أَبِي ذَرٍّ فِيهِ لَمْسَةٌ تَصْدِيقٌ وَإِمْضَاءٌ لَهُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي جَاءَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَنَقْلُ الرَّازِيِّ عَنِ الْجَبَائِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ خَصَّصْنَا قَوْلَهُ: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ لِكَانَ بَعْضُ الْفُجَّارِ يَصِيرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَوْ صَارُوا إِلَيْهَا لَكَانُوا مِنَ الْأَبْرَارِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ لَا يَتَمَيَّزَ الْفُجَّارُ عَنِ الْأَبْرَارِ، وَذَلِكَ باطِلٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَيِّرَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، فَإِذَا نَبَذَنَ يَحْبُّ أَنْ لَا يَدْخُلَ الْفُجَّارُ الْجَنَّةَ، كَمَا لَا يَدْخُلُ الْأَبْرَارُ النَّارَ<sup>(٧٦)</sup>.

### المناقشة الأولى:

لِلشِّيخِ الطَّوْسِيِّ، وَمَفَادِهَا:

أَوْسَلاً: أَنَّ الْآيَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالْكَافِرِينَ.

وَثَانِيَاً: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ ثَوَابٌ دَائِمٌ عَلَى إِيمَانِهِمْ، فَلَا يَكُونُونَ مَلَازِمَنِ لِلنَّارِ، فَإِذَا دَخَلُوا النَّارَ فَإِنَّهُمْ يَخْرُجُونَ؛ حَتَّى يَوَافِوا ثَوَابِهِمْ<sup>(٧٧)</sup>.

وَقَالَ الشِّيخُ الطَّبرَسِيُّ فِي وَجْهِ اخْتِصَاصِهِ بِالْكَافِرِينَ: وَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْكَبِيرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَحْلِدُونَ فِي النَّارِ؛ وَلَا تَهُ سُبْحَانَهُ قَدْ ذَكَرَ الْمَكْذُوبِينَ بِالْدِينِ فِيمَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ، فَالْأَوَّلُ أَنْ تَكُونَ لِفَظَةُ الْفُجَّارِ مُخْصَوصَةٌ بِهِمْ<sup>(٧٨)</sup>.

## المناقشة الثانية:

للفخر الرازي، ومحصلتها: أنه مع التسليم أن العموم يفيد القطع، فإنه لا يُسلم بأن عنوان الفاجر يشمل الفاسق في الآية، بدليل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾<sup>(٧٩)</sup>؛ لأن المراد لا يخلو من أحد معنيين:

**الأول:** أولئك هم الكفرة من الفجرة، فتكون الفجرة قياداً للكفرة.

**والثاني:** أولئك هم الكفرة، وهم الفجرة.

والأول ليس صحيحاً، لأن كل كافر فاجر بالإجماع، فتقيد الكافر بالفاجر عبث، وإذا بطل المعنى الأول تعين المعنى الثاني، ويفيد حصر الفاجر بالكافر، إذا ثبت أن الكافر هو الفاجر لا غير، ثبت أن الفاسق من المسلمين ليس فاجراً.

وعلى فرض شمول عنوان الفاجر للمسلم، فإن قوله: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ بحاجة إلى تقدير، لأن ظاهرها أنهم في الحال غير غائبين عنها، وتقدير المعتزلة هو أنهم بعد أن يدخلوها فإنهم لا يغيبون عنها، ولكن التقدير عندنا هو: أنهم في الحال ليسوا غائبين عن استحقاق الكون في الجحيم، وثبتوا الاستحقاق لا ينافي العفو.

وعلى فرض أن تقديرهم هو الصحيح، فإن الآية تعارض ما دل على ثبوت الشفاعة، وهو أقوى دلالة، فيخصص هذه الآية بالكافرين<sup>(٨٠)</sup>.

## الآية التاسعة:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلْمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَتَتْ تُنْقِدُ مَنْ فِي النَّارِ﴾<sup>(٨١)</sup>.

قال القاضي عبد الجبار في تقرير ما يراه من عدم شمول الشفاعة لمرتكب الكبيرة إذا لم يتبع بهذه الآية:

تدل الآية على أن من أخبر الله تعالى أنه يعذب لا يخرج من النار، فإذا صح أنه أخبر بذلك في الفجّار والفساق، فيجب فيهم، ويدل أيضاً على أنه لا يشفع النبي ﷺ لهم؛ لأنّه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذًا من النار، وقد نفي الله تعالى عنه ذلك <sup>(٨٢)</sup>.

والمخشري وإن لم يصرّح باستفادة نفي الشفاعة للمذنبين من الآية، إلا أنه يستشعر منه ذلك، قال في مورد تفسيره للآية: قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ﴾ يفيد أن الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده، لا يقدر على ذلك أحد غيره، فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار، لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه <sup>(٨٣)</sup>.

#### المناقشة:

وأجاب الفخر الرازي بقوله: لا نسلم أن أهل الكبائر قد حق عليهم العذاب، وكيف يحق العذاب عليهم مع أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ <sup>(٨٤)</sup>؟! ومع قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ <sup>(٨٥)</sup>؟! والله أعلم <sup>(٨٦)</sup>.

وي يكن أن يقال: بأن شفاعة النبي ﷺ - والأولياء - إنما تكون بإذن الله تعالى، وأصل الشفاعة لله تعالى، كما قال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ <sup>(٨٧)</sup>، فالمنقذ من النار هو الله تعالى، وإن كان بشفاعة النبي ﷺ، ولا أحد غير الله ينقذ من في النار.

**النتيجة:** والحق أن تنقيح النقاش مع المعتزلة من خلال الروايات الواردة عن طريق بيت العصمة والطهارة، بعد التعرض إلى بعض روايات العامة، ولو أنهم

تمسّكوا بها لما وقعوا في الذي وقعوا فيه، وأمام استظهار دلالة شمول الشفاعة لأهل الكبائر - حتى ولو لم يتوبوا - من الآيات في نفسها فمشكلٌ جدًا، بل لو لم تكن أدلة أخرى سوى الآيات الكريمة لما كانرأي المعتزلة بعيدٍ.

### ثانياً: الروايات:

#### أولاًً: روايات العامة:

ما ينقله الفخر عن المعتزلة أربع روايات، استدلّ بها المعتزلة على عدم شمول الشفاعة لأصحاب الكبائر إذا لم يتوبوا<sup>(٨٨)</sup>:

**الأولى:** عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «السلام عليكم دار قومٌ مؤمنين، وإنَّ إِن شاء الله بكم لاحقون، وددتُ أَنْ أَنَا قد رأينا إخواننا. قالوا: أوليسنا إخوانك يا رسول الله؟! قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا: كيف تعرف من لم يأتِ بعد من أمّتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أنَّ رجلاً له خيلٌ غُرُّ محجلةٌ بين ظهري خيلٍ دهم بهم، ألا يعرف خيله؟! قالوا: بلِي يا رسول الله. قال: فإنَّهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليزادنَّ رجالٌ عن حوضي كما يزداد البعير الضالُّ، أنا ناديهم: ألا هلمُ. فيقال: إنَّهم قد بدّلوا بعده، فأقول: سحقاً، سحقاً<sup>(٨٩)</sup>.

و محل الشاهد أنَّ الرسول ﷺ لو كان شافعاً لهؤلاء لما قال لهم: سحقاً، سحقاً.

وكيف يكون شافعاً لهم في تخليصهم من العذاب الدائم وهو يمنعهم شربة ماء؟!

**الثانية:** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال لكتاب بن عجرة: أعادك الله - يا كعب بن عجرة - من إمارة السفهاء. قال: وما إماراة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون من بعدي، لا يهتدون بهديي، ولا يستثنون بستني، فمن صدقهم بكذبهم،

وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولستُ منهم، ولا يردون عليَّ حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني، وأنا منهم، وسيردون على حوضي، يا كعب بن عجرة، إِنَّه لَا يدخلُ الجَنَّةَ لَمْ نَبْتَ مِنْ سُحْتٍ، النار أولى به، يا كعب بن عجرة، الصوم جُنَاحٌ، والصدقة تطفئُ الْخَطِيَّةَ، والصلوة قُرْبَانٌ، - أو قال: - برهانٌ»..<sup>(٤٠)</sup>

والاستدلال بهذا الحديث من ثلاثة وجوهٍ:

**الأول:** عدم كونهم من النبي ﷺ، والنبي ﷺ ليس منهم، كنایةً عن براءة النبي ﷺ منهم، وإذا كان النبي ﷺ متبرئاً منهم، فكيف يشفع لهم؟!

**الثاني:** منع الرسول ﷺ أن يصلوا إليه الحوض، فامتناعه عن الشفاعة لهم أولى.

**الثالث:** قوله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَمْ نَبْتَ مِنْ سُحْتٍ» صريحٌ في أنه لا أثر للشفاعة في حقِّ صاحبِ الكبيرة.

**الرواية الثالثة:** عن أبي هريرة، قال: قام فينا النبي ﷺ، فذكر الغلوط، فعظّمه، وعظّم أمره، قال: «لَا أَلْفَينَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقْبِتِهِ شَاءَ لَهَا شَغَاءٌ، عَلَى رَقْبِتِهِ فِرْسٌ لَهَا حَمْمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقْبِتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رَغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلَكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقْبِتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلَكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقْبِتِهِ رَقَاعٌ تَخْفَقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلَكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ أَبْلَغْتُكَ. وَقَالَ أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي حِيَّانَ: فِرْسٌ لَهَا حَمْمَةٌ».<sup>(٤١)</sup>

وهذا الحديث صريحٌ في المطلوب، فإذا كان الرسول لا يملك له من الله شيئاً، فليس له في الشفاعة نصيبٌ؛ لأنَّ الشفاعة الْتِي يملكتها النبي ﷺ تكون في غير ذلك، أي: في زيادة الفضل.

لكنَّ هذا الحديث غريبٌ في معناه، ولا يستبعد وضعه.

الرواية الرابعة: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «قال الله: ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيمة؛ رجلٌ أعطى بي ثمْ غدر، ورجلٌ باع حرراً فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطِ أجراً»<sup>(٩٢)</sup>.

والاستدلال بأن يُقال: إذا كان النبي ﷺ خصيمٌ لهؤلاء، فكيف يكون شفيعهم؟!

#### المناقشة:

أجاب الفخر الرازي على الاستدلال ما محصله بأنَّ الأحاديث أخصٌ من المدعى، قال: وأمّا الأحاديث فهي دالةٌ على أنَّ محمداً ﷺ لا يشفع لبعض الناس، ولا يشفع في بعض مواطن القيمة، وذلك لا يدلُّ على أنه لا يشفع لأحدٍ - البته - من أصحاب الكبائر، ولا أنه يمتنع من الشفاعة في جميع المواطن<sup>(٩٣)</sup>.

وتقدّمت الإشارة إلى أحاديث تدلُّ على عدم نيل الشفاعة لمن لم يكن مؤمناً بالمعنى الخاص، ويبين الفخر بأنَّ الروايات الدالة على شمول الشفاعة لأهل الكبائر بجماعتها يثبت ذلك<sup>(٩٤)</sup>.

#### ردّ المناقشة:

لكنْ يبدو أنَّ الأحاديث الّتِي تدلُّ على أنَّ من ارتكب بعض الكبائر يخالد في النار من طرق العادة ليست دالةً على أنَّ من ارتكب قليلاً من الكبائر يخالد في النار،

بل كثير منها، كما نقل القاضي عبد الجبار بعضاً من تلك الأخبار، بل لربما يُقال: بأنّ كونها مستثنياتٍ من الكبائر التي لا تنافي الشفاعة أمرٌ مستهجنٌ.

وبعض الأفعال في الأحاديث المتقدمة التي توجب عدم دخول الجنة - وتوجب الخلود في النار - يبدو أنها لا تصدق عليها الكبائر، فضلاً عن كونها توجب الخلود في النار.

وأمّا الحديث النبوى: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمّي» فأجابـتـ المعتزلة على الاستدلال به بوجوهـ، قال القاضي عبد الجبار:

**الجواب:** أنّ هذا الخبر لم تثبت صحتـه أولاًـ، ولو صحـ فإنه منقولـ بطريق الآحادـ عن النبي ﷺ، ومسـألتنا طرـيقـها العلمـ، فلا يـصحـ الـاحتـجاجـ بهـ، ثمـ إنـهـ مـعارضـ بأـخـبارـ رـوـيـتـ عنـ النـبـيـ ﷺـ، نحوـ قولـهـ: «لا يـدخلـ الجـنـةـ غـامـ، ولا مدـمنـ حـمـرـ، ولا عـاقـ..»<sup>(٩٥)</sup>ـ، وقولـهـ ﷺـ: «مـنـ قـتـلـ نـفـسـهـ بـحـدـيدـتـهـ فـحـدـيـدـتـهـ فـيـ يـدـهـ، يـجـأـ بـهـ فـيـ بـطـنـهـ فـيـ نـارـ جـهـنـمـ خـالـدـاـ مـخـلـدـاـ»<sup>(٩٦)</sup>ـ، إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ، فـلـيـسـ يـوـجـدـ بـاـ أـورـدـوـهـ أـولـىـ بـاـ روـيـناـ، فـيـجـبـ أـنـ يـطـرـحـ جـمـيـعـاـ، أـوـ حـمـلـ أـحـدـهـمـ عـلـىـ الـآخـرـ، فـنـحـمـلـ مـاـ يـقـضـيـهـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ، وـنـقـوـلـ بـهـ، وـهـوـ: «ـشـفـاعـتـيـ لـأـهـلـ الـكـبـائـرـ مـنـ أـمـّـيـ إـذـاـ تـابـواـ»<sup>(٩٧)</sup>ـ.

### ثانيةً: روايات الخاصة:

إنّ الحديث المرويّ عن النبي ﷺ: «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّي» مع انضمامـهـ إلىـ الأـحـادـيثـ الـأـخـرىـ فيـ شـفـاعـةـ الـأـئـمـةـ ﷺـ، وـسـيـدـنـاـ فـاطـمـةـ الـزـهـرـاءـ ؓـ، الدـالـةـ عـلـىـ شـمـولـ الشـفـاعـةـ لـلـمـذـنبـينـ، فـإـنـهـ تـبـتـ ذـلـكـ، وـقـالـ السـيـدـ الـعـلـامـ الطـبـاطـبـائـيـ: الأـخـبارـ الدـالـةـ عـلـىـ وـقـوعـ شـفـاعـةـ النـبـيـ ﷺـ يـوـمـ الـقيـامـةـ مـنـ طـرـقـ أـئـمـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ - وـكـذـاـ مـنـ طـرـقـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ - بـالـغـةـ حدـ التـواتـرـ، وـهـيـ مـنـ

حيث الجموع إِنَّمَا تدلُّ على معنى واحدٍ، وهو: الشفاعة على المذنبين من أهل الإيمان بالخلص من دخول النار، وإِنَّمَا بالإخراج منها بعد الدخول فيها، والمتيقن منها عدم خلود المذنبين من أهل الإيمان في النار<sup>(٤٨)</sup>.

وحتى يتضح ما يثبت التواتر الإجمالي في الروايات لشمول الشفاعة للمذنبين، أستعرض بعض الروايات؛ للتتأمل فيها:

\* الحديث النبوى المشتمل على مضمون: «شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي» جاء في روايات متعددة، جاء في الحال في ضمن حديث عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، جاء فيه:

«جاء نفرٌ من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فسألته أعلمهم عن أشياء، فكان فيما سأله: أخبرنا عن سبع خصالٍ أعطاك الله من بين النبيين، وأعطيت أمتاك من بين الأمم. فقال النبي: أعطاني الله ﷺ فاتحة الكتاب، والأذان، والجماعـة في المسجد، ويوم الجمعة، والصلـاة على الجنائز، والإجـهار في ثلاث صـلات، والرخصـة لأمـتي عند الأمراض والسـفر، والشفـاعة لأصحابـ الكـبـائـرـ من أـمـتيـ»<sup>(٩٩)</sup>.

\* وفي من لا يحضره الفقيـهـ، قالـ: وـقالـ رسولـ اللهـ عـلـيـهـ السـلـامـ: «إـنـماـ شـفـاعـتـيـ لأـهـلـ الـكـبـائـرـ منـ أـمـتيـ»<sup>(١٠٠)</sup>.

\* وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: حدثني أبي، عن ابن محبوب، عن أبيأسامة، عن أبي عبد الله وأبي جعفر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قالا: «والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا، حتى تقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: مما لنا من شافعين، ولا صديق حميم، فلو أنّ لنا كرّة فنكـونـ منـ المؤـمنـينـ»<sup>(١٠١)</sup>.

\* وفي الفقيه: وسئل الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول الله عَزَّوجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ يَشَاءُ﴾، هل تدخل الكبائر في مشيئة الله؟ قال: «نعم، ذلك إليه عَزَّوجَلَّ، إن شاء عذب عليها، وإن شاء عفا»<sup>(١٠٢)</sup>.

\* وفي الحصال: ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن عليّ بن الحسين الرقّي، عن عبد الله بن جبلة، عن الحسن بن عبد الله، عن آبائه، عن جده الحسن بن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث طويل: «إِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي جَوَابِ نَفِرٍ مِّنَ الْيَهُودِ سَأَلُوهُ عَنِ الظُّلْمِ: «وَأَمَّا شَفَاعَتِي فِي أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ، مَا خَلَا أَهْلَ الشَّرْكِ، وَالظُّلْمِ»<sup>(١٠٣)</sup>. والمراد من الظلم هو: التعدّي على حقوق المؤمنين.

\* وروى الفتّال النيسابوري مرسلاً عن الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي، مَا خَلَا الشَّرْكِ، وَالظُّلْمِ»<sup>(١٠٤)</sup>.

\* وبعض الروايات تدلّ على عدم شمول الشفاعة لمن استخف بالصلوة، مثل معتبرة أبي بصير، عن أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إِنَّهُ لَمَّا احْتَضَرَ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي: يَا بْنِي، إِنَّهُ لَا يَنْالُ شَفَاعَتِنَا مِنْ اسْتِخْفَافٍ بِالصَّلَاةِ، وَلَا يَرْدُ عَلَيْنَا الْحَوْضُ مِنْ أَدْمَنَ هَذِهِ الْأَشْرِبَةِ». فقلتُ: يَا أَبَهُ، وَأَيِّ الْأَشْرِبَةِ؟ فَقَالَ: كُلُّ مَسْكِرٍ»<sup>(١٠٥)</sup>.

\* روى الشيخ الصدوق بسندٍ إلى الحسين بن خالد، عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: قال رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِحُوضِي فَلَا أُورِدُهُ حُوضِي، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِشَفَاعَتِي فَلَا أَنْالُهُ شَفَاعَتِي، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي، فَأَمَّا الْمُحْسِنُونَ فَمَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ».

\* قال الحسين بن خالد: فقلتُ للرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يا ابن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فما معنى قول الله عَزَّوجَلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى﴾؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا يشفعون إلا من ارتضى الله دينه<sup>(١٠٦)</sup>.

\* وقال الصدوق: حدثنا محمد بن موسى بن الم توكل عليه عن، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، قال: حدثنا النضر بن شعيب، عن خالد القلانسي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا قمتُ المقام محمود تشفّعت في أصحاب الكبار من أمتّي، فيشفّعني الله فيهم، والله لا تشفّعت في من آذى ذريّتي»<sup>(١٠٧)</sup>.

\* وروي عن محمد الباقر عليه السلام مرسلًا، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إنما شفاعتي لأهل الكبار من أمتّي»<sup>(١٠٨)</sup>.

\* وفي الخصال عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «هذه شرائع الدين.. - إلى أن قال: - وأصحاب المحدود فساقُ، لا مؤمنون، ولا كافرون، لا يخلدون في النار، ويخرجون منها يوماً، والشفاعة جائزة لهم، وللمستضعفين، إذا ارتضى الله دينهم»<sup>(١٠٩)</sup>.

فيستفاد من هذه الروايات شمول الشفاعة - وعمومها - لمرتكبي الكبار إجمالاً، سواء تابوا أم لم يتوبوا، لكنَّ الذي يضعف هذا العموم ما عقب به الصدوق الحديث توضيحاً لمعنى ارتضى الله دينه، قال: المؤمن هو الذي تسره حسناته، وتتسوؤه سيئاته؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سرته حسناته، وساءته سيئاته فهو مؤمن»، ومن ساءته سيئاته ندم عليها، والندم توبة، والتأب مستحق للشفاعة، والغفران، ومن لم تسؤه سيئاته فليس بمؤمن، وإذا لم يكن مؤمناً لم يستحق الشفاعة؛ لأنَّ الله عَزَّ ذِيلَهُ غير مرتضٍ لدینه<sup>(١١٠)</sup>.

فيدل على أنه لابد من الندم حتى يكن شموله للشفاعة، واستشهاد الصدوق بقوله أنَّ الحديث رواه في التوحيد بسند له اعتبار، قال عليه السلام: حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمданى عليه عن، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن

أبي عمير، قال: سمعتُ موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: «لا يخلد الله في النار إلاّ أهل الكفر، والجحود، وأهل الضلال، و الشرك، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾. قال: فقلتُ له: يا ابن رسول الله، فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟ قال: حدثني أبي، عن أبي علي عليهما السلام قال: سمعتُ رسول الله عليهما السلام يقول: «إِنَّا شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمّيِّ، فَأَمّا الْمُحْسِنُونَ مِنْهُمْ فَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ». قال ابن أبي عمير: فقلتُ له: يا ابن رسول الله، فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله - تعالى ذكره - يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفَقُونَ﴾، ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى؟! فقال: يا أبا أحمد، ما من مؤمنٍ يرتكب ذنباً إلاّ ساءه ذلك، وندم عليه، وقد قال النبي عليهما السلام: «كفى بالندم توبةً»، وقال عليهما السلام: «من سرته حسنة، وسأته سيئة فهو مؤمنٌ، فمن لم يندم على ذنبٍ يرتكبه فليس بمؤمنٍ، ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً، والله - تعالى ذكره - يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾. فقلتُ له: يا ابن رسول الله، وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنبٍ يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد، ما من أحدٍ يرتكب كبيرةً من المعاصي - وهو يعلم أنّه سيُعاقب عليها - إلاّ ندم على ما ارتكب، ومتي ندم كان تائباً، مستحقاً للشفاعة، ومتي لم يندم عليها كان مصرّاً، والمصرّ لا يغفر له؛ لأنّه غير مؤمنٍ بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبي عليهما السلام: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.»، وأمّا قول الله عزوجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فإنهم لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب؛ لعرفته بعاقبته في القيمة»<sup>(111)</sup>.

وهذا الحديث حاكمٌ على عموم - وإطلاق - الشفاعة لأهل الكبائر بوضوح؛ لأنَّه ناظرٌ إليه، فَيُستفاد منه أنَّ صاحبَ الكبيرة لا بدَّ من أنْ يستاءَ ممَّا فعلَ (الندم) حتَّى يكن شمول الشفاعة له، وأمَّا إذا لم يستأْ - بل يفعل الكبيرة ويبقى راضياً بفعله - فهذا ليس بمؤمن، ولا يستحق الشفاعة.

ويؤكِّد ذلك حديثٌ آخر يرويه الشيخ الكليني عن حفص المؤذن، عن أبي عبد الله عَلِيِّهِ فِي رسالته إلى أصحابه قال عَلِيِّهِ: «واعلموا أنَّه ليس يعني عنكم من الله أحدٌ من خلقه، لا ملكٌ مقرِّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا من دون ذلك، من سرَّه أن ينفعه شفاعة الشافعيين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضي عنه»<sup>(١١٢)</sup>.

ويكن أن يفرق بين من يرتكب الكبيرة وهو يعلم أنَّه يرتكب كبيرة على ما جاءت به الشريعة، وبين من يرتكبها من باب الشبهة، فالأول إذا بقي راضياً بفعله لا تشمله الشفاعة، بخلاف الثاني، وعدم شمول الشفاعة لمن كان مصراً على الذنب من غير تأسُّفٍ حتَّى موته لا يعني أنَّه يخلد في النار، بل يلقى جزاءه بقدر ما يستحقه من العذاب بجرمه، وممَّا يؤيَّد أنَّه لا بدَّ من حصول الاستئاء من الذنب حتَّى تشمله الشفاعة ما دلَّ على أنَّ الشفاعة تتأخَّر عنْ فجر بخارية الغير (أمة غيره) على رغم توبته، حتَّى يذوق عذاباً يأله، فعن صالح بن عقبة، عن أبي شبل قال: قلت لأبي عبد الله عَلِيِّهِ: رجلٌ مسلمٌ ابتُلِي، ففجر بخارية أخيه، فما توبته؟ قال: «يأتيه، فيخبره، ويسأله أن يجعل من ذلك في حلٍّ، ولا يعود. قال: قلت: فإن لم يجعله من ذلك في حلٍّ؟ قال: قد لقي الله عَزِيزَهُ وَهُوَ زَانٌ خائِنٌ. قال: قلت: فالنار مصيره؟ قال: شفاعة محمدٌ عَلِيِّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ - وشفاعتنا - تحبط بذنبكم يا عشر الشيعة، فلا تعودون وتتكلون على شفاعتنا، فوالله ما ينال شفاعتنا إذا ركب هذا حتَّى يصيبه ألم العذاب، ويرى هول جهنَّم»<sup>(١١٣)</sup>.

لكنَّ حديث ابن أبي عمير المتقدم يعارض على ما يُفهم من ظاهر ما رواه الصدوق في كتاب الفقيه قال: وقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، وأمّا التائبون فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾<sup>(١١٤)</sup>، فإنه يبيّن أنَّ التائب هو: المحسن، الذي لا يشمله هذا النوع من الشفاعة.

وربما يجمع بأنَّ التائب الذي تحققتْ توبته - وقد عُرِفتْ عند الناس معصيته، وتأنَّى بذلك، وعمل صالحًا - فهو من الحسينين، وأمّا الذي أساءه عمله - ولو قبل أن يموت - وندم على فعله، وكان مستوراً على فعله، فإنه المشار في روایة ابن أبي عمیر.

ولربما أشار إلى ذلك ما يرويه الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن بعض أصحابه، رفعه، قال: صعد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكوفة المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أيّها الناس، إنَّ الذنوب ثلاثة. ثم أمسك، فقال له حبّة العرني: يا أمير المؤمنين، قلت: الذنوب ثلاثة. ثم أمسكت؟! فقال: ما ذكرتها إلاّ وأنا أريد أن أفسّرها، ولكن عرض لي بُهْرُ حال بيني وبين الكلام، نعم، الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب نرجو لصاحبها، ونخاف عليه، قال: يا أمير المؤمنين، فبینها لنا. قال: نعم، أمّا الذنب المغفور فبعد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا، فالله أحلّ - وأكرم - من أن يعاقب عبده مرتين، وأمّا الذنب الذي لا يُغفر فمظالم العباد بعضهم البعض، إنَّ الله تبارك وتعالى إذا بُرِزَ لخلقه أقساماً على نفسه، فقال: وعزّتي، وجلالي، لا يجوزني ظلم ظلمٍ، ولو كفَّ بكفٌ، ولو مسحة بكفٌ، ولو نطحةٌ ما بين القرناء إلى الجماء، فيقتصر للعباد بعضهم من بعضٍ، حتى لا تبقى لأحدٍ على أحدٍ مظلمة، ثم يبعثهم للحساب، وأمّا الذنب الثالث: فذنبٌ ستره

الله على خلقه، ورزقه التوبة منه، فأصبح خائفاً من ذنبه، راجياً لربه، فنحن له كما هو لنفسه، نرجو له الرحمة، ونخاف عليه العذاب»<sup>(١١٥)</sup>.

ويُفهم من الحديث بأنَّ الله يَعْلَمُ إِذَا عَاقَبَ عَبْدَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى ذَنْبٍ ارتكبه، فَإِنَّهُ يَعْفُوُ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى شَفَاعَةٍ.

وما تقدَّم من الروايات يدلُّ على شمول الشفاعة للمذنبين، وتوجد بعض الروايات تدلُّ على شفاعةٍ أخرى في زيادة المنافع للخلائق، منها ما عن عليٍّ بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي العباس المكابر، قال: دخل مولى لأمرأة علىٍّ بن الحسين «صلوات الله عليهما» على أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُقال له: أبو أمين -، فقال: يا أبو جعفر، تغرون الناس، وتقولون: شفاعة محمدٍ، شفاعة محمدٍ! فغضب أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى تربَّد وجهه، ثم قال: ويحك يا أبو أمين، أغرك أن عفْ بطنك وفرجك؟! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويلك، فهل يشفع إلا ملن وجبت له النار؟! ثم قال: ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم القيمة. ثم قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنَّ رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ الشفاعة في أمته، ولنا شفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم. ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربعة، ومضر، وإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه، ويقول: يا رب، حق خدمتي، كان يقيني الحر والبرد»<sup>(١١٦)</sup>.

وفي المحسن: أبي، عن القاسم بن محمد، عن عليٍّ بن أبي حمزة، قال: قال رجلٌ لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنَّ لنا جاراً من الخوارج يقول: إنَّ محمداً يوم القيمة هم نفسه، فكيف يشفع؟! فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم القيمة»<sup>(١١٧)</sup>.

## **النتيجة النهائية:**

- أولاً:** إن استظهار شمول الشفاعة للمذنبين من القرآن الكريم - مع غضّ النظر عن الأحاديث - صعبٌ.
- ثانياً:** الأحاديث تدل على شمول الشفاعة للمذنبين، لأهل الكبائر وغيرهم، وعلى الإجمال نستفيد من مجموع الأحاديث المتقدمة عدّة أمورٍ
- الأول:** إن أهل الكبائر مشمولين لشفاعة النبي ﷺ، وهو القدر المتيقن مع حصول الاستيءام من العبد مما ارتكبه، ولو قبل موته.
- الثاني:** إن المحسنين لا تشملهم الشفاعة التي تكون للمذنبين.
- الثالث:** إن من أشرك لا تشمله الشفاعة.
- الرابع:** الظالم لا تناله الشفاعة.
- الخامس:** إن المستخلف بالصلوة لا تناله الشفاعة.
- السادس:** نيل الشفاعة للمؤمن بالمعنى الخاص.
- السابع:** إن من آذى أهل البيت ع - وذرية النبي ﷺ - لا تناله الشفاعة.
- الثامن:** إن المستضعفين - وأصحاب الحدود - يمكن أن تشملهم الشفاعة إذا ارتضى الله دينهم.
- التاسع:** إن الشفاعة لا تختص بالنبي ﷺ، بل تشمل الأئمة ع، والأولياء ع، والشيعة الصالحين أيضاً.
- العاشر:** إن الشفاعة قد تتأخر فتصل بعد النيل من العذاب، ويختلف ذلك باختلاف الجرم وحجمه.

**الحادي عشر:** إنَّ جمِيعَ الْخَلْقِ يَحْتَاجُونَ لِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أي: أَنَّ الشَّفَاعَةَ تَكُونُ عَلَى قَسْمَيْنِ؛ قَسْمٌ خَاصٌّ لِلْمُذْنَبِينَ، وَقَسْمٌ عَامٌ، فَتَشْمَلُ الشَّفَاعَةَ رَفْعَ الْدَّرَجَاتِ.

هذا والله العالم، والله سبحانه رءوفٌ بالعباد، حليمٌ، كريمٌ، فنسأَلُ الله تعالى التوفيق لنيل شفاعة أوليائه، وأحبّائه، وصفوته، وخاصّته «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، والحمد لله رب العالمين.

### المواهش:

- (١) الأنبياء عليه السلام: ٢٨.
- (٢) نقل الاستدلال الفخر الرازى، ج ٣، ص ٥٧، وما نقله الشیخ الطوسي عن قول أهل الوعيد، التبیان، ج ٧، ص ٢٤١.
- (٣) انظر ما قاله القاضي عبد الجبار في متشابه القرآن، ج ٢، ص ٤٩٩، والزمخشري، ج ٣، ص ٤٢١، وتفسير الفخر الرازى، ج ٣، ص ٥٧، وج ٢٢، ص ١٦٠.
- (٤) سورة النجم، آية: ٢٦.
- (٥) نقل قول ابن عباس الطبرسى في تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٩٦.
- (٦) تفسير الفخر الرازى، ج ٢٢، ص ١٦٠.
- (٧) لاحظ كلام الفخر الرازى، ج ٣، ص ٦٠، والنقل بتصرّفٍ.
- (٨) وإن لم يكن العلام في صدد الرد على المعتزلة، لكن يصلح كلامه لمناقشة المعتزلة.
- (٩) طه: ١٠٩.
- (١٠) مريم: الآيات: ٨٥ - ٨٧.
- (١١) يس: الآيات: ٦٠ - ٦١.
- (١٢) البقرة: ٨٠.
- (١٣) انظر تفسير الميزان، للقرينة الأولى والثانية ج ١، ص ١٧١، بتصرّفٍ للتوضيح.

- (١٤) تفسير الميزان، ج ١، ص ١٧٥.
- (١٥) المائدة: ١١٩.
- (١٦) مجمع البيان، ج ٣، ص ٤٦٢.
- (١٧) التوبه: ١٠٠.
- (١٨) التبيان، ج ٥، ص ٢٨٧.
- (١٩) مجمع البيان، ج ٥، ص ١١٢.
- (٢٠) المحادلة: ٢٢.
- (٢١) التبيان للشيخ الطوسي، ج ٩، ص ٥٥٧، ومجمع البيان للطبرسي، ج ٩، ص ٤٢٢.
- (٢٢) البينة: ٨-٧.
- (٢٣) التبيان، ج ١٠، ص ٣٩١، مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١٥.
- (٢٤) الكافي، ج ١١، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٥٣.
- (٢٥) الزخرف: ٨٦، تفسير الميزان، ج ١٤، ص ١١١.
- (٢٦) تفسير الميزان، ج ١٤، ص ١١١.
- (٢٧) أصول الكافي، ج ١، ص ٤٣١.
- (٢٨) الشيخ الكليني محمد بن يعقوب، والشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين، والشيخ الطوسي محمد بن الحسن.
- (٢٩) الكافي، ج ٧، ص ٢، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١٨٨، تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٧٥.
- (٣٠) التبيان، ج ٧، ص ٢٤١.
- (٣١) انظر مناقشة الفخر الرازي للمعتزلة، التفسير الكبير، ج ٣، ص ٦٠.
- (٣٢) المصدر السابق مع التصرف.
- (٣٣) تفسير التبيان، ج ٧، ص ٢٤٢.
- (٣٤) سورة غافر، الآيات: ٧ إلى ٩.
- (٣٥) نقل هذه المناقشة عن المعتزلة الفخر الرازي، ج ٣، ص ٥٨.

- (٣٦) الكشاف، ج ٤، ص ١٥٣ نشر البلاغة، وج ص ١٥٣ نشر البلاغة، وج ٤، ص ١٥٨ نشر أحياء التراث العربي.
- (٣٧) التفسير الكبير، ج ٣، ص ٦٢.
- (٣٨) تفسير الزمخشري، ج ٢٧، ص ٣٣ - ٣٤.
- (٣٩) النساء: ٦٤.
- (٤٠) التبيان، ج ٩، ص ٥٧، مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٢٨.
- (٤١) وإن لم يكن العلامة الطباطبائي في صدد نقاش المعتزلة.
- (٤٢) تفسير الميزان، ج ١٧، ص ٣٠٩.
- (٤٣) هود: ١١٢.
- (٤٤) المؤمن (غافر): ٧
- (٤٥) تفسير الميزان، ج ١١، ص ٤٩.
- (٤٦) الشورى: ٥
- (٤٧) تفسير الأمثل، ج ١٥، ص ٤٦٩. ولاحظ ما أفاده العلامة الطباطبائي تبليغ في الميزان، ج ١٨، ص ١١.
- (٤٨) البقرة: ٢٢٢.
- (٤٩) الفرقان: ٦٨ - ٧٠، والحديث في أصول الكافي ج ٢، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ باب التوبة، ح رقم: ٥.
- (٥٠) الكافي، ج ٨، ص ٣٤، وفي نفس الجزء ص ٣٠٤، علل الشرائع، ص ٥، عيون أخبار الإمام الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ، ج ٢، ص ٢٣٧، فضائل الشيعة للشيخ الصدوق، ص ٢٢، كمال الدين و تمام النعمة، ص ٢٥٤، شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج ٣، ص ٤٦٥.
- (٥١) المدثر: ٤٨.
- (٥٢) نقل احتجاج المعتزلة بهذه الآية ابن حزم الظاهري في الفصل في الملل، ج ٤، ص ٥٣، والفارخر الرازي في التفسير الكبير، ج ٣، ص ٥٧، القرطبي في تفسيره ج ١، ص ٣٧٨، والنسفي في تفسيره ج ١، ص ٤٢، وأبن حجر العسقلاني في فتح الباري، ج ١١، ص ٤٢٦، وبدر الدين العيني في عمدة

- القاري، ج ٢، ص ١٢٧، والمباركفورى في تحفة الأحوذى، ج ٧، ص ١٠٨؛ وشمس الحق العظيم آبادى في عون المعبود، ج ١٣، ص ٥٢، والقاري في مرقاة المفاتيح، ج ١٠، ص ٢٧٠، وغيرهم.
- (٥٣) تفسير الكشاف، ج ٤، ص ١٨٧، نشر مصطفى البابى ط ١٩٦٦ م.
- (٥٤) تفسير الفخر الرازى، ج ٣، ص ٦١.
- (٥٥) انظر تفسير الميزان، ج ١، ص ١٦٧، العلامة الطباطبائى، والفخر الرازى لم يوردا كلامهما ردًا على المعتزلة، ولكن لربما قائل يقول ذلك.
- (٥٦) سورة المدثر آيات ٣٩ - ٤٧.
- (٥٧) النساء: ٣١.
- (٥٨) هذا ما أفاده العلامة الطباطبائى في تفسير الميزان، ج ١، ص ١٦٩ - ١٧٠.
- (٥٩) تفسير الميزان، ج ١، ص ١٧٠.
- (٦٠) البقرة: ٢٧٠.
- (٦١) آل عمران: ١٩٢.
- (٦٢) عرض الفخر الرازى استدلال المعتزلة بهذه الآية الكريمة، التفسير الكبير، ج ٣، ص ٥٧، وج ٧، ص ٧٥، وصرح الزمخشري بالاستدلال بها في الكشاف ج ٣، ص ٤٢١.
- (٦٣) تفسير الكشاف، ج ١، ص ٤٨٩، نشر مصطفى البابى.
- (٦٤) تفسير التبيان، ج ٢، ص ٣٥٠.
- (٦٥) التبيان، ج ٣، ص ٨٣.
- (٦٦) مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٧٤.
- (٦٧) البقرة: ٤٨.
- (٦٨) التفسير الكبير، ج ٧، ص ٧٥.
- (٦٩) تفسير الفخر الرازى، ج ٣، ص ٦٥.
- (٧٠) التفسير الكبير، ج ٧، ص ٧٥.
- (٧١) التفسير الكبير، ج ٧، ص ٧٥.

- (٧٢) تفسير الميزان، ج ٢، ص ٣٩٦.
- (٧٣) الانفطار: ١٤-١٦.
- (٧٤) هذا ما نقله الفخر الرازي من تقريب المعتزلة لدلالة الآية على ما يرون، نقلُه بتصريحٍ<sup>١</sup>
- يسير، وانظر تفسيره ج ٣، ص ١٤٧، وج ٣١، ص ٨٤.
- (٧٥) أصول الكافي، ج ٢، ص ٤٥٨.
- (٧٦) التفسير الكبير، ج ٣١، ص ٨٤.
- (٧٧) التبيان، ج ١٠، ص ٢٩٣.
- (٧٨) تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٨.
- (٧٩) عبس: ٤٢.
- (٨٠) التفسير الكبير، ج ٣١، ص ٨٥.
- (٨١) الزمر: ١٩.
- (٨٢) متشابه القرآن، ج ٢، ص ٥٩٢.
- (٨٣) الكشاف ج ٤ - ص ١٢٣ نشر إحياء التراث العربي، وج ٣، ص ٣٩٣، نشر مصطفى البابي.
- (٨٤) النساء: ٤٨.
- (٨٥) الزمر: ٥٣.
- (٨٦) التفسير الكبير، ج ٢٦، ص ٢٢٨، نشر دار الكتب العلمية.
- (٨٧) الزمر: ٤٤.
- (٨٨) ينقل مناقشتهم بها الفخر الرازي في تفسيره ج ٣، ص ٥٥، نشر دار الكتب العلمية.
- (٨٩) صحيح مسلم، ج ١ باب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ص ٢١٨ ح رقم: ٢٤٩، صحيح ابن خزيمة، ج ١، ص ٦، ح ٦، سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٤٣٩، ح ٤٣٠٦....الخ.
- (٩٠) مسند أحمد بن حنبل، ج ٣ مسند جابر، ص ٣٢١ رقم ١٤٤٨١، المستدرك على الصحاحين، كتاب الأطعمة، ج ٤، ص ١٤١ رقم ٧١٦٣، وفيه في كتاب الفتنة والملائم ج ٤، ص ٤٦٨، رقم ٨٣٠٢؛ صحيح ابن حبان، ج ٥، ص ٩، رقم ١٧٢٣؛ سنن الترمذى، ج ٢ باب ما ذكر في فضل

الصلاه، ص ٥١٣ رقم ٦١٤؛ موارد الظمان، باب: فيمن يدخل على الأمراء السفهاء ج ١، ص ٣٧٨، رقم ١٥٦٩؛ مصنف عبد الرزاق، باب الأمراء ج ١١، ص ٣٤٦ رقم ٢٠٧١٩، المعجم الأوسط، باب: من اسمه عبد الله ج ٤، ص ٣٧٨، رقم ٤٤٨٠، المعجم الكبير، ج ١٩، ص ١٠٥، رقم ٢١٢.

(٩١) صحيح البخاري، باب: الغلول ج ٣، ص ١١١٨، رقم ٢٩٠٨، صحيح مسلم، وهو حديثُ فيه موارد أكثر مما في حديث البخاري، باب: غلظ تحريم الغلول، ج ٣، ص ١٤٦١، رقم ١٨٣١، صحيح ابن حبان، ج ١١، ص ١٨٢، رقم ٤٨٤٧، وص ١٨٤ رقم ٤٨٤٨، مسنده أحمد بن حنبل، باب: مسنده أبي هريرة، ج ٢، ص ٤٢٦، رقم ٩٤٩٩، تفسير الطبرى، ج ٤، ص ١٥٨.

(٩٢) صحيح البخاري، باب: إثم من باع حرّاً، ج ٢، ص ٧٧٦، رقم ٢١١٤، وفي باب الإجارة إلى صلاة العصر، ج ٢، ص ٧٩٢، رقم ٢١٥٠، صحيح بن حبان، باب: ذكر أوصاف قومٍ يكون خصمهم يوم القيمة، ج ٦، ص ٣٣٣، رقم ٧٣٣٩، سنن ابن ماجة، باب: الرهن مركوبٌ ومحلوبٌ، ج ٢، ص ٨١٦، رقم ٢٤٤٢، مسنده أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٣٥٨ رقم ٨٦٧٧، سنن البيهقي الكبرى، ج ٦، ص ١٤٠ رقم ١٠٨٣٦، وسننه الصغرى ج ٥، ص ٤١٣، رقم ٢١٣٢.

(٩٣) التفسير الكبير، ج ٣، ص ٦٦، وج ٣، ص ٦٢ وفق نشر دار الكتب العلمية.

(٩٤) التفسير الكبير، ج ٣، ص ٦٠.

(٩٥) «لا يدخل الجنة فاما». رواه مسلم، باب: بيان غلظ تحريم النمية، ج ١، ص ١٠١ رقم: ١٠٥، ومسنده أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٣٩١ رقم ٢٣٣٧٣، ص ٣٩٦ رقم ٢٣٤٠٧، وص ٣٩٩ رقم ٢٣٤٣٥، وص ٤٠٩ رقم ٢٣٤٩٧، وأما حديث: «لا يدخل الجنة مدمن خمرٍ» رواه ابن ماجة في سننه ج ٢، ص ١١٢٠، رقم ٣٣٧٦، جاء في ضمن حديث يرويه صحيح ابن حبان في ضمن حديث: «لا يدخل الجنة مدمن خمرٍ، ولا مؤمنٍ بسحرٍ، ولا قاطع...» ج ١٣، ص ٥٠٧ رقم ٦١٣٧، والناسائي في ضمن حديث: «لا يدخل الجنة مدمن خمرٍ، ولا متنانٍ، ولا عاقٍ والديه، ولا ولد زنية» ج ٣، ص ١٧٥ رقم ٤٩١٦، ومثله ص ١٧٦ رقم ٤٩٢٢، ومثله أيضاً ما عدا ذكر ابن زنية في ص ١٧٦، رقم ٤٩٢١، ومثله المعجم الكبير، ج ١١، ص ٩٩-٩٨ رقم ١١١٦٨ و ١١١٧٠، وفي مسنده أحمد بن حنبل قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمرٍ، وقاطع رحمٍ، ومصدقٌ بالسحر، ومن

مات مدمناً للخمر سقاه الله يعذك من نهر الغوطة. قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذى أهل النار ريح فروجهم». ج ٤، ص ٣٩٩، رقم ١٩٥٨٧.

(٩٦) جاء في صحيح البخاري ضمن حديث: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنّم يتردّى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسّى سماً فقتل نفسه فسمّه في يده يتحسّاه في نار جهنّم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بجديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنّم خالداً مخلداً فيها أبداً»، ج ٥، باب: شرب السم، والدواء، وبما يخاف منه، ص ٢١٧٩، رقم ٥٤٤٢، وفي صحيح مسلم - مضافاً إلى ما في صحيح البخاري - جاء فيه أيضاً: «ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحسّاه في نار جهنّم خالداً مخلداً فيها أبداً»، ج ١، باب: غلظ تحرير قتل الإنسان نفسه، ص ١٠٣، رقم ١٠٩، ومثله في صحيح ابن حبان ج ١٣، ص ٣٢٥، رقم ٥٩٨٦؛ سنن النسائي ج ١، ص ٦٣٨، رقم ٢٠٩٢، وحج ٨ منه ص ٢٣، رقم ١٥٦٥٥، وسنن الترمذى، ج ٤، ص ٣٨٦، رقم ٢٠٤٣ - ٢٠٤٤ الثاني يرويه الأعشى، عن أبي هريرة، وقال الترمذى في شأن سنته: هذا حديث صحيح، وهو أصح من الأول.

(٩٧) شرح الأصول الخمسة، ص ٤٦٥.

(٩٨) تفسير الميزان، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٩٩) الخصال، ص ٣٥٥.

(١٠٠) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٥٧٤.

(١٠١) تفسير علي بن إبراهيم، ج ٢، ص ١٢٣، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٧.

(١٠٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٥٧٤.

(١٠٣) الخصال، ص ٣٥٥، أمالى الشيخ الصدوق، ص ٢٦١، البحار ج ٨، ص ٣٨ - ٣٩، ج ١٠، ص ٣٠١.

(١٠٤) روضة الوعاظين، ص ٥٠١.

(١٠٥) الكافي، ج ٦، ص ٤٠١.

- (١٠٦) عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٢٤ - ١٢٥؛ أمالي الشيخ الصدوقي، ص ٥٦.  
Hadith number: ٤/١١.
- (١٠٧) أمالي الصدوقي، ص ٣٧٠.
- (١٠٨) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٣٤.
- (١٠٩) الخصال، ص ٦٠٨ - ٦٠٩، بحار الأنوار ج ٨، ص ٤٠، وج ١٠، ص ٢٢٨.
- (١١٠) عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٢٤ - ١٢٥؛ أمالي الشيخ الصدوقي، ص ٥٦.  
Hadith number: ٤/١١.
- (١١١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوقي، ص ٤٠٧ - ٤٠٨، وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٣٥.
- (١١٢) الكافي، ج ٨، ص ٤٠٥ و ١١، وبحار الأنوار، ج ٨، ص ٥٣.
- (١١٣) الكافي، ج ٥، ص ٤٧٠.
- (١١٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٥٧٤، وسائل الشيعة، ج ١٥، باب: صحة التوبة من الكبائر،  
ص ٣٣٤، ح ٤.
- (١١٥) أصول الكافي، ج ٢، ص ٤٤٣ باب: الذنوب ثلاثة.
- (١١٦) تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٠٢، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٧.
- (١١٧) المحسن، ص ١٨٤، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٤٢.

# لِدْرُوسٍ فِي الْأَخْلَاقِ السِّيَاسِيَّةِ

(الحلقة الثانية)

عادل علي الشعلة

نفتح هذه الحلقة بالإشارة إلى مبحث المذاهب الأخلاقية، لتتبين بعض الفروقات العامة بين المذاهب البشرية ومذهب خالق البشرية تَبَعَّدَنَا، وهو المذهب الذي يجب علينا استقاء أخلاقياتنا السياسية منه؛ لتحقيق سعادتنا الدنيوية والأخروية في مجال الاجتماع والسياسة.

## المذاهب الأخلاقية:

وإن مما لا شك فيه أن العالم المعاصر يعيش أزماتٍ أخلاقيةً حادةً في كل الأبعاد، في علاقة الإنسان بربه، أو بذاته، أو بالآخرين، وقد تعددت المذاهب، وتشعبت الحلول؛ لمعالجة هذه الأزمات المعقّدة، ويوجد في علم الأخلاق مذاهب ومدارس كثيرة، انحرف أكثرها، وأآل بها الأمر إلى مخالفة الأخلاق، وسوف أستعرضها بشكلٍ مختصر؛ لعرف بعدها الفارق بينها وبين المذهب الأخلاقي الذي بعث به نبيانا الكريم، محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي قد جعله محور بعثته بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعْثِثُ لِأُتْقِمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>.

طبعاً سوف يكون الحديث حول المذاهب الأخلاقية بشكل عام، لكن يمكن النظر إليها من الزاوية الاجتماعية والسياسية أيضاً، وحرى أن ألفت النظر إلى أن المراد من مصطلح (المذهب) هو الطريقة المتبعة، ولذا فنحن سوف نشير إلى الطرائق الأخلاقية

المتبعة عند المجتمعات البشرية، ولن أبين نقاط الخلل في هذه المذهب، فعرضها كافٍ لبيان خللها، كما أنّ البحث فيما لا ثمرة عملية فيه سيطول جداً، مما قد يوجب الملل والسام، ولذا سوف أجتنبه:

### المذهب الأول: المذهب المادي

وهو المذهب الذي يرى الأشياء كلّها بمنظار المادة دون أن يكون للإيان بالله والمسائل الروحية دخلاً في رؤيته، وهذا المذهب المادي ليس واحداً، بل فيه مدارس متعددة، وتعددت بسبب اختلاف النظرة إلى المادة، ويمكن تقسيم هذا المذهب المادي إلى المدارس التالية:

**المدرسة الأولى: مدرسة المذهب المادي التاريخي**: - مذهب الشيوعيين، وهي المدرسة التي تذهب إلى القول بأصل الاقتصاد، أي تعتبر الاقتصاد أساساً يُحدد كل شيء في الوجود، والأخلاق في هذه المدرسة - وفقاً للأصل الذي تتبناه - هي: كلما يؤدي إلى تقوية الاقتصاد الشيوعي، أو قل: كلما يجعل بالثورة الشيوعية، فتكون الثورة هي المعيار الأخلاقي، فالكذب يكون أمراً أخلاقياً حين يُسرّع بالثورة، بينما يكون الصدق أمراً غير أخلاقياً إذا أضر بالثورة.

**المدرسة الثانية: مدرسة المذهب المادي العملي (البرجماتي)**: ويسمى أيضاً بـ(مذهب الذرائع): وهي المدرسة التي تذهب إلى القول بأصلة العمل (براجماتيسم)<sup>(٢)</sup>.

ولا تعتبر أي قضية حقيقة إلا إذا كانت ذا فائدة عملية، فالمصدر الوحيد للحكم، والمقياس الذي يفصل بين الحق والباطل، والذي يفصل بين حقانية القضايا وأصدقيتها إذا ما تضاربت الآراء، واحتلت الأنظار في هذه المدرسة، فهو أفعع هذه

الأشياء - أو القضايا -، وما كانت له نتائج عمليةٌ في حياتنا العملية، فتجعل هدف الحياة منحصراً فيما كانت في شيءٍ منفعةٌ عمليةٌ ماديّةٌ، وتستخف في الوقت نفسه بالقيم المعنوية، والأخلاق في هذه المدرسة - وفقاً لهذا الأصل الذي تذهب إليه - فهي: الصفات والأفعال التي تهـد طريق الوصول إلى المنفعة العملية.

طبعاً، هذا المذهب وإن كان مرفوضاً عند أبناء المدرسة التوحيدية، إلا أنَّ الكثير منهم يعارضه عملياً، فالكثيرون يتبنّون المعتقدات والمواافق التي تُعينهم على تحقيق مصالحهم ومنافعهم الخاصة، فيكون واقعهم هو الذي يوجّه أفكارهم، وليس العكس، أي: ليست أفكارهم هي التي توجّه واقعهم، أو أخلاقياتهم، أو ممارساتهم، وربما قوله في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَيْهِ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً﴾<sup>(٢)</sup> - ربما هذه الآية - تُشير إلى المسألة التي نذكرها، فهي تُلفت النظر إلى أنَّ سلوكيات الإنسان تتحرّك وفق الظروف التي يعيشها، فحين تنزل به بليةٌ - أو مُصيبةٌ - ولا يجد أحداً ينجيه، يتوجّه لربّه، وحالقه، ويطمئنُ بما في جيبه وحسابه البنكي أكثر مما في السماء، فحاجته وظروفه هي التي تُذكّره بربّه، أمّا إذا لم تكن هناك ظروفٌ ضاغطةٌ، ولم تكن هناك حاجةٌ ماسّةٌ، فسوف ينسى الخالق المنعم المُتفضّل؛ هذا كله لأنَّه انساق مع الظروف التي تكون فيها الهيمنة لأهوائه، وشهواته، وغفلته، طبعاً هذه الهيمنة للأهواء باختياره، أو بضغوطات خارجيةٍ.

المدرسة الثالثة: مدرسة المذهب الماديُّ الفرديُّ: (مذهب الرأسماليين)، وهي المدرسة التي تذهب إلى القول بأسالة الفرد، وقد يُطلق عليها مدرسة مذهب الديمقراطيَّة المطلقة التي تُشجّع الفردية إلى أبعد الحدود، وتجعل الفرد مصدر الحكم على تصرّفاته، فللفرد اقتناه أيّ شيءٍ كان، وأن يعيش في ظلّ عرف المجتمع

وعاداته، وله أن يخرج عن هذا العرف وعاداته، شرعاً كان هذا العرف أو اجتماعياً، بلا فرقٍ بين ما إذا كانت تؤدي أفعاله - وقناعاته - إلى افتقار غيره أو لا، أو جرح مشاعر غيره أو لا، وقس على ذلك، فإذا جئنا إلى تملك مصادر الإنتاج ووسائله مثلاً، فإننا نجد أن الرأسمالية تتيح إلى الفرد - باعتباره صاحب رأس المال - أن يأخذ الفوائد المالية عند منح القروض للآخرين، ولذلك تجد هناك أزمات أخلاقية حادةً، بسبب ذلك يتحكم فردٌ - أو جماعةٌ محدودةٌ - في طبقات المجتمع الواسعة، وتستغلّ مواردهم وطاقتهم لصالحها، لدرجة أن هذه الرأسمالية قد استخدمت الدولة درعاً لحماية فردٍ - أو أكثر - من أصحاب الملايين، وتركت الآلاف يعيشون الكدح والفقر، ولذا تجد قوانين هذا البلد - فضلاً عن غيره - تصاغ لصلاح فردٍ، أو أكثر، والشعوب في العالم تتطلع للديمقراطية لا لإيمانها بها، ولا لكونها الوسيلة المُحققة للسعادة، ولو كانت كذلك لحققت السعادة لشعوبها، ولما كانت هناك فئة محدودة هي التي تنتفع على حساب الملايين من الناس، وإنما تكون الشعوب في بلدانها الإسلامية تعيش الظلم، والقهر، والجور، فهي تبحث عن مخرج يخفّف من هذا الظلم والجور.

أليست هذه الديمقراطية - التي يُراد تبشيرها في العالم - هي التي تخدم فئة محدودةً؛ لتسلب - ظلماً وعدواناً - حقوق الملايين في العالم، وتُسخر قوانين الأنظمة، والدول، وقوانين الأمم المتحدة - وغيرها - من أجلصالحها؟! ألم تتبّن دولنا العربية ديمocratiاتٍ تُبيح لها سرقة الشعوب، وقتلها بخيوطٍ حريرية؟!

فالخلاصة: أنه طالما كانت الحرية الشخصية - والمصالح الفردية - هي مدار حقائق الأشياء وصدقها، فسوف تسود الأنانية، والاحتقار، وحب الذات، وغيرها من الأخلاقيات المريضة التي جرّتها ثقافة الرأسمالية، والأخلاق - بناءً على النظرة التي تتبناها هذه المدرسة - هي: التي توصل وتنسجم مع منافع الفرد الشخصية.



### **المذهب الثاني: المذهب الاجتماعي:**

مذهب الاشتراكين، وهو المذهب الذي يذهب إلى القول بأصلية المجتمع (الجماعة)، وليس للفرد - كما يذهب إليه المذهب الرأسمالي -، والأخلاق في هذا المذهب، هي: تلك الأفعال التي يعود نفعها على الغير. وأماماً إن عاد نفعها على الذات فهي أفعال غير أخلاقية، وعلى هذا الأساس تُكتب حرية الفرد، وتصادر أملاكه، ويُجبر على تصرفه لصالح الجماعة، فهم يفرون الفرد من أجل مصلحة الجماعة.

### **المذهب الثالث: المذهب الفلسفى:**

وفيه مدرستان - إن صح التعبير - :

**المدرسة الأولى:** مدرسة مذهب الفلاسفة العقليين: وهي المدرسة التي تذهب إلى القول بأصلية العقل، والأخلاق - بناءً على هذا الأصل - هي عبارة عن: الصفات - والأعمال - التي تساعد الإنسان على تحكيم عقله، وتُمكّنه من السيطرة على شهواته، ونزواته، وأهوائه النفسيّة في حركة الحياة. وهذا بحاجة لدراسة تأثير السلوكيات في واقع الفرد والمجتمع؛ لتمييز السلوكيات الحسنة من غيرها، وهو يحصل بالبحث والاستدلال.

**المدرسة الثانية:** مدرسة مذهب الفلاسفة الوجدانيين: وهي المدرسة التي تذهب إلى القول بأصلية الوجود لا العقل، والأخلاق - بناء على هذا الأصل - هي عبارة عن: تلك الأمور التي يُدركها الوجود بلا حاجة إلى برهان. ككون العدل، والإيثار، والشجاعة أموراً حسنة، وككون الظلم، والأثانية، والجبن أموراً قبيحة، وهذه الأمور مما يُشخصها الوجود، ويُعطي حكماً بشأنها، بلا حاجة إلى إقامة الأدلة والبراهين. طبعاً، هذه المدرسة لا تنكر بأن الوجود عاجز عن إدراك بعض الأمور، ولذا فإنها تستعين بالشريعة للتمييز بين الأمور الأخلاقية عن غيرها.

ومن خلال استعراض هذه المذاهب والمدارس تبيّن لنا الاختلاف - والتضارب - فيما بينها، الأمر الذي يوصلنا لحقيقة محدوديّة العقل البشريّ في إدراك الحقائق الواقعية، وضرورة الاستناد لعقلٍ كاملٍ يكفي البشرية من التجارب المدمرة والقاتلة، وليس هناك من عقلٍ كاملٍ إلّا الشارع المقدّس؛ فهو سيد العقلاه؛ لأنَّه الوحي المُنزل من خالق العقل تَعَانِيقًا، والعقل البشريّ مهما توصلَ إلَيْهِ، فسوف يسلك الطريق الملائم - والنافع - بانتظار اللذائذ، والمنافع الآنية المؤقتة، التي سوف ينهيها الموت، وإذا تبيّن ما بعد الموت وجود منافع أبدية، فما قيمة الفانية حينها؟!

ولذا فليس أمامنا إلّا خيار المذهب التوحيدى، هذا المذهب الذي صاغته يد الصانع الحكيم، يدُّ الذي لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه، يدُّ الذي خلق الإنسان لسعادته في الدنيا والآخرة، ودولة بقيّة الله الأعظم (روحاني) لتراب مقدمه (الداء) ستكون النموذج الإلهي المُحقّق للسعادتين؛ الدنيوية، والأخروية، حين تعجز كل الأطروحتين الأرضية في معالجة الأزمات الأخلاقية المتنوعة الأبعاد.

#### **المذهب الرابع: المذهب التوحيدى:**

وهو المذهب الذي يذهب إلى القول بأنَّ العالم عبارةٌ عن وحدةٍ مُتماسكة، قطب دائرتها واجب الوجود سبحانه، فهو الذي خلق الإنسان؛ ليقترب منه، وسيُميته؛ ليعود إليه، فيجازيه، والأخلاق - بناءً على هذا الأصل - هي: الصفات - والأفعال - التي تساعد الإنسان في سيره إلى الله. فإذا تحلى بها استطاع القرب من الله أكثر فأكثر، وسيكون لقربه الأثر الكبير في إنقاذه - وإنقاد المجتمع البشري من

حوله -، فبالقرب تزول عناصر الشرّ - وقوى الانحراف - في الفرد، والمجتمع،  
وعندها تسود العدالة، ويعمّ الأمان، وينتشر الرخاء.

وهذا المذهب هو الذي بعث به الأنبياء، وآخرهم نبينا محمد بن عبد الله ﷺ،  
وهو المذهب الوحيد الموجب لسعادة الإنسان، المذهب الوحيد لأنّه يتذرّ - أو  
يتعرّ - على الإنسان التمييز بين محسناته عن مساوتها من دون الرجوع إلى  
ما أوحاه الله، موعد الطبائع والسمجايا إلى أنبيائه عليهما السلام، وبالشرع وحده يعرف طريق  
كمال النفوس، وما هو جمالها، وجلالها، وما يكون موصلاً إليه تعالى، فهو سبحانه  
العالم، الحكيم، وما عداه فهو قاصرٌ، ناقصٌ، وكيف يوصل إلى الكمال من كان  
مُحتاجاً إليه؟!

### ما هي خصائص الأخلاق في الإسلام؟

الحديث حول الأخلاق السياسية في الإسلام ليس موجّهاً للسياسيين فقط، بل  
هو حديث شاملٌ؛ لأنَّ التخصيص بالسياسة بُعدٌ تطبيقيٌّ فقط على حالة خاصةٍ؛  
لتكون أقرب للفهم لشريحةٍ واسعةٍ جدًا، سيما في هذا العصر الذي أصبح كُلُّ شيءٍ  
مرتبطًا بالسياسة.

وكيف كان، تكميلًا للبحث أقول: بأنَّ لكلَّ مذهبٍ من المذاهب خصائصه التي  
تميّزه عن غيره، تحدّد هوّيته، وتبيّن مرتكيزاته، وتبلور أهدافه، وترسم طريقته،  
وتطبع كافية ممارساته، والبنية الفكرية - القاعدة المفاهيمية - هي الأساس الذي  
تقوّم بها الخصائص المنهجية بشكلٍ عامٍ، وبما أنَّ القاعدة الفكرية للمذهب الإسلامي  
قاعدة إليها، ويستمدّ خصائصه منها دون سواها، فسوف تتميّز أخلاقياته السياسية

عن غيرها من أخلاقيات المذاهب الأخرى، وهنا أشير لبعض المصادص التي تتميز بها الأخلاق السياسية باعتبارها مفردةً من مفردات الإسلام:

**أولاً:** شموليتها للبعدين الجسماني والروحياني، فإن الإسلام لا يقتصر في نظرته إلى الأخلاق على البعد المادي وحده، أو على البعد الروحياني وحده، كما أنه لا يركز في المجال الاجتماعي إما على الفرد، أو على المجتمع فحسب؛ لأن هذه الرؤية ناقصة، جزئية، بل ينظر إلى الأخلاق نظرةً كليّةً، كما ينظرها إلى الإنسان باعتبار جوانبه المادّية، والروحية، والفردية، والاجتماعية، وهي جوانب متداخلة، وفي تفاعلٍ مستمرٍ، وهذا لا يمكن فصلها عن بعضها البعض، ومن الواضحات بأنَّ نظرةً كهذه من شأنها المُساهمة في صياغة مذهبٍ أخلاقيٍ منسجمٌ، ومنتجٌ، ومتقدمٌ، وحالٍ.

**ثانياً:** صناعتها السماوية، فإن التعاليم - والقيم السياسية الأخلاقية في الرؤية الإسلامية - ليست من صنع الفكر البشري، وإنما هي من صنع الغيب؛ باعتبار كونها من الإسلام، والإسلام وحيٌ سماويٌ، ودينٌ ربانيٌ.

**ثالثاً:** ربانيتها (أصلالة الثقافة والانتماء)، إذ بما أنَّ قيم - وتعاليم الأخلاق السياسية - مستقاةٌ من تعاليم الله تعالى كما قلنا، فإنَّ من سيجعلها علاجاً لأمراضه السياسية، ومن سيحكمها في جميع أخلاقياته وعلاقاته، فإنَّ قلبه سوف يعمّر بتوحيد الله سبحانه في بعدِ من أبعاد تشريعاته، وبذلك تتّصف نظراته - وأخلاقياته - بالربانية، وقد قال تعالى: ﴿صِبْعَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ صِبْعَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُون﴾<sup>(٤)</sup>، فتلقي الأخلاق السياسية من الإسلام يُخرج الإنسان من خانات الجاهلية، والأعراف المُحرفة، وإغراءات الأهواء، وممارسات الباطل، ويُدخله في دائرة الإسلام، ويصوغ أعرافه، ويوجهه أهواه، ويُفتن ممارساته وفق الحق والصدق.

رابعاً: انسجامها مع العقل، وهذه الميزة تتأسس على أساس أنه لا تناقض بين العقل والدين في المنظور الإسلامي، فإن الدين الحنيف لم ينفي دور العقل في عملية تقييم سلوكيات وأفعال الإنسان، بل أعطاه دوره في ذلك، ولكن، بما أن إدراك العقل نسبيٌّ، وليس له القدرة الذاتية على التقييم وحده، فقد أعطاه دوره في أفق علاقته بالغيب، ومن حيث هو بعدٌ غيبيٌّ في الإنسان الخليفة، وعلى هذا الأساس فالنظرية الأخلاقية الإسلامية ليست مجرد انعكاسٍ لواقع الأمة الإسلامية، وإنما هي - بالإضافة إلى ذلك - تنطلق من الدين الحنيف لتعالج الواقع، وبذلك لا تكون المعالجة وفق رؤية عقلية محدودة قد يتبيّن قصرها جداً، وإنما ستكون وفق رؤية عقلية كاملة باعتبار أن الدين - بما يتضمنه من قيم روحية وأخلاقية ذات مصدرٍ غيبيٍّ - سيد العقلاً، وهذه محطة افتراقٍ بين نظرية الإسلام والغرب للعقل، فالغرب - خاصةً المذهب المادي - جعل العقل مقابل الغيب، وبهذا ينفون الغيب إطلاقاً، وهذا ما لا يتبنّاه الإسلام.

#### **القواعد العامة لصناعة الأخلاق السياسية:**

وفي الحديث العملي يمكن القول - بدايةً - : إنّ النفس الإنسانية أرقى الموجودات، وأشرف المخلوقات، وهي باقيةٌ أبديةٌ، بخلاف الجسد، فإنه فان زائل، وهذه النفس لذائذ وآلام، ومهلكاتٌ ومنجياتٌ، أمّا آلامها - ومهلكتها - فهي رذائل الأخلاق، وبها تهبط إلى أحسن الدرجات إذا لم تُوجّه التوجيه السليم، وأمّا لذائذها - ومنجياتها - فهي تمسكها بالفضائل، وبها ترتفع إلى ملوكوت الله، وتتوصل إلى مقام القرب، وعلمي الأخلاق والسير والسلوك هما العلمان المتکفلان ببيان طريق رياضة النفس، وطرق معالجة رذائل الأخلاق، وطرق التحلّي بفضائلها، وقبل الدخول في تفاصيل المسائل الأخلاقية، أرغب في استعراض القواعد العامة المفيدة في معالجة المعاصي السياسية:

## **القاعدة الأولى: اليقظة الباطنية تجاه أوضاعنا الأخلاقية السياسية:**

موقعية اليقظة السياسية: إنّ أوّل خطوةٍ في طريق طيّ منازل الكمال وتغيير الأخلاق السياسية هي اليقظة، والإفادة من سبات الغفلة السياسية، ومن غير الممكن طيّ هذا الطريق بالغفلة القلبية عن الهدف الذي خلقنا لأجله.

### **تعريف اليقظة السياسية:**

(١) اليقظة هتفُ في الضمير، يُحرّك الإحساس بالقصير، والعقوق، والحرمان، والبعد من المثالق المنعم بسبب المعاصي، والجرائم السياسية التي قام بها، أو يقوم بها، اليقظة شعلةٌ تتقدّم في داخل الإنسان؛ ليتنفس على ذاته.

(٢) اليقظة محاكمةٌ باطنيةٌ للأوضاع المتردّية الموجبة لعصية الله تعالى، فيبصر بسبب هذه المحاكمة طريقه، ومن هنا فهي نورٌ، كما قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: «الْيَقَظَةُ نُورٌ»<sup>(٥)</sup>.

(٣) اليقظة تعني التنبّه لإنسانيّتي؛ أتّني إنسانٌ ولست حيواناً، ولذا فيجب أن يكون هناك فارقٌ بيني وبين الحيوان في مساري وحياتي، فلماذا غلت المادّيات في حياتي على الروحانيّات؟! لماذا أصبحت نظرتي ورؤيتي غريزية؟! ولماذا أصبحت معاملاتي وتصرّفاتي بهيمية؟! لماذا أفكّر في اقتطاف المنصب السياسي من الصالحين؟! ولماذا أعمل على استيلاء المكاسب السياسية بلا وجه حقّ؟! ولماذا أسقط الآخرين لمجرّد اختلافهم معي في رؤيتي، أو موقفي السياسي؟! أليست أعلى هذه غرائزية، بهيمية، شهوّية؟! أما آن لي أن أغير نظرتي وأخلاقي؟! أما آن لي أن أتحرّر من حيوانيّتي، وأسير إلى حرم الإنسانية؟!

٤) اليقظة تعني التنبّه إلى أنّ لي أهدافاً ساميةً من العمل السياسي، يجب أن أصل إليها، كخدمة المظلومين، والمستضعفين، والمضطهدين، تقرّباً لوجه الله أكرم الوجوه؛ لنيل رضوانه، وجنانه، ومرافقة ﴿الَّذِينَ أَعْمَلُوا عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنُ أُولئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٦)</sup>، وليس من أجل أهداف سياسيةٍ فانية زائلة، كالقرب من السلطان خوفاً من شرّه، أو طمعاً في خيره.

٥) اليقظة تعني الالتفات إلى قصر العمر، وكون الموت قادماً لا محالة، ويجب الإعداد لما بعد الموت، وأنّ طول الأمل، وتخيل وجود المُتسع من الوقت، من أهمّ أسباب الغفلة المؤدية لنسيان الغaiات الحقيقة، ولذا فـأي قيمة للبعد عن الله بممارسة العاصي السياسية؛ تقرّباً لمسؤولٍ سياسيٍ سيفارق الحياة الدنيا في أيّ لحظةٍ من اللحظات؟! نعم، إنّها لخسارةٌ عظمى أن أقترب من ملكٍ أو سلطانٍ صغيرٍ أو كبيرٍ، وأغضب مالك الملك، مجرّي الفلك.

### تحديات اليقظة السياسية:

وهناك تحدياتٌ بشأن اليقظة السياسية يجب التنبّه إليها لتحقيقها:

**التحدي الأول:** خلق اليقظة السياسية في الباطن، وهي التي حثّنا عليها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام بقوله: «ضَادُوا الْغَفْلَةَ بِالْيَقْظَةِ»<sup>(٧)</sup>، ومن هذه الكلمة النورانية نفهم أنّ تحصيل اليقظة باختيار الإنسان، وقد سمّيت اليقظة من هذا النوع بـ(اليقظة الكسبية)، وهي تُقابل اليقظة المُسمّاة بـ(اليقظة الجذبية)، وهي التي يتطلّف الله بها على مَنْ يشاء من عباده المجاهدين فيه، أو في سبيله.

**التحدي الثاني:** جعل اليقظة مستمرةً طوال مسيرة العمل السياسي.

**التحدي الثالث:** جعل اليقظة راسخةً متजذرةً في النفس، لا تهزّها أعاشير الغفلة.

## طرق اليقظة السياسية:

ويكمننا مواجهة هذه التحديات الثلاثة، وتحصيل اليقظة المستمرة الراسخة بواسطة الطرق الآتية، وسبعين أوّلاً طرق تحصيل اليقظة الكسبية:  
أوّلاً: طرق تحصيل اليقظة الكسبية: ويمكنا الحصول على (اليقظة الكسبية) من خلال الطرق التالية:

### الطريق الأوّل: التلاوة السياسية:

بعنِّي أن يجعل السياسي له ورداً قرآنياً يومياً، ويتدبر في آيات الله تدبراً من منظار واقعه السياسي، ويعالج حاله وأوضاعه السياسية من خلال التأمل القرآني، وإسقاط الآيات القرآنية على واقعه، وأنّا مُطمئنُ بأنّ الحياة السياسية قد أهنتنا لدرجة أنَّ الكثير منا ما عادت له علاقة بالقرآن، بينما نُقل عن رسولنا الكريم عليه وآله وسليمه: «من قرأ عشر آياتٍ في ليلةٍ لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آيةً كتب من الذاكرين»<sup>(٨)</sup>، فخر وجنَا من ديوان الغافلين متوقفًّا على قراءة عشر آيات، ودخولنا في ديوان الذاكرين متوقفًّا على قراءة خمسين آيةً، وإذا كان كذلك فأيَّ يقظة هذه بلا تلاوة قرآنيةٍ خمسينية؟! نعم، إنَّ للتلاوة أثرها في صناعة يقظة سياسيةٍ مؤثرة، وفاعلة، وذات حصانة ومناعة.

نعم، من شأن القرآن أن يهزَّ الأعمق، فمن كان مُغمساً بالمحرمات السياسية، ووصل مثلاً لقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَعْيِظًا وَ زَفِيرًا﴾ \* وإذا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقْرَنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾<sup>(٩)</sup>، فإنَّ باطنَه سوف يتغيَّر، وكيف لا يتغيَّر لو توقفَ، وتدبَّر، وتأملَ، وتخيلَ نفسه مُلقَأً في الجحيم؟! نعم، بالقرآن سوف تتغيَّر أمراض الأخلاق السياسية، وكيف لا تتغيَّر وقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٠)</sup>؟! وإذا كان ذلك فما أحرى بالإنسان

حين يبرّ بآيات العذاب أن يقول كما علّمنا الإمام زين العابدين عليه السلام: «آه وَأَهْ حُزْنَاه، لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا أَبْدًا، آه وَأَهْ حُزْنَاه مِنْ مَلَائِكَةٍ غَلَاظٍ شَدَادٍ لَا يَرْحَمُونَ مَنْ شَكَّا وَبَكَّى، آه وَأَهْ حُزْنَاه مِنْ رَبٍّ شَدِيدٍ الْقُوَى، آه وَأَهْ حُزْنَاه، أَنَا جَلِيسٌ مَنْ نَاحَ عَلَى نَفْسِهِ وَبَكَى»<sup>(11)</sup>.

ومن هنا فإذا لم يكن هناك تأثير في باطننا كقراء سياسيين حينما نقف بين يدي القرآن، فلنترحم على أنفسنا، ولنبكي عليها، مرددين قول زين العابدين عليه السلام: «إلهي إلينك أشكوا قلباً قاسياً»<sup>(12)</sup>، نبكي؛ لعدم تأثرنا بأدفي مستوياته؛ لأن هناك أناساً قد قتلهم، فأين نحن من أولئك؟! يقول صاحب سفينة البحار - كما في المنقول عنه - في بيان سبب وفاة علي بن الفضيل - الزاهد العابد: كان علي بن الفضيل يوماً واقفاً قرب ماء زمزم في المسجد الحرام، فسمع قارئاً يقرأ: «وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئذٍ مُقْرَرَّينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعْشَى وُجُوهُهُمُ النَّارُ»، فصعق ومات<sup>(13)</sup>. فلماذا صعق ومات؟! لأنّه أسمع نفسه، وجعلها المقصودة بهذه الآية، ولذلك أعطت مفعولها القاتل، أمّا مثلي - وأمثالي المساكين - فنقرأ القرآن وكأنّه قصة حدثت لغيرنا، ولسنا معنيين بها.

### الطريق الثاني: المداومة على ذكر الله:

كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «بِدَوَامِ ذِكْرِ اللهِ تَنْجَابُ الْغَفْلَةِ»<sup>(14)</sup>، وكما علّمنا طلب هذا الهم في دعاء كميل: «واجعل لسانك بذكرك لهجاً وقلبي بحبك مُتّيماً»، وفي مدرسة أهل البيت عليهما السلام من التراث الدعائي الضخم، الذي يوقظنا، وينبهنا من سنة الغفلة، ولذا فحربي بنا أن نلازم الصحيفة السجادية؛ لنتعلم منها كيف نخاطب ربّنا، ونبته بها نفوسنا، فمن شأن ذلك شد الوجдан بالله رب العالمين، وتعويد القلب حالة الاتصال بمحبوبه الأوحد، وهذه التجارب الذكرية - إن صح

التعير- سيكون لها تأثيراتها في خضم الحوادث السياسية الاستثنائية، وللحرّ تجربة ذكرية رائدة، فقد هزّ المشهد الكربياني إلى حدّ أخذت الرعدة جسمه، حتّى قال له المهاجر بن أوس: إنَّ أمرك لُرِيبٌ! والله ما رأيت منك في موقفٍ قطٍّ مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوك، فما هذا الذي أرى منك؟! فقال له الحرُّ: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، فو الله لا أختار على الجنة شيئاً، ولو قُطعت، وأحرقت. ثمَّ ضرب فرسه، فلحق الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطلب منه التوبة<sup>(١٥)</sup>.

فالحقيقة هي التي تحدّد الخيارات، فالسياسي إما أن يخضع لإغراءات المال، أرضاً وسيارة بآخر موديل، أو منصباً، حينما يقف مع السلطان، ويكون أدلة للظلم، والجور، والقهر، أو يرفض كل ذلك ويقف مع المستضعفين، والمظلومين، وتحديد أيّ الخيارات بحاجة لحقيقة سياسية مُتحرّرة، فلننته - ونتضرّع - إلى الله صادقين في أن يهدينا طريق الخلاص من المعاصي السياسية، ويعيننا على تطهير أنفسنا وصلاحها.

### المواهش:

(١) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٧٣ و ٣٨٢.

(٢) اشتَقَّت من اللُّفْظ اليوناني: (براجما)، وتعني: «العمل». ويعرفها قاموس «ويبستر» بأنّها: تيارٌ فلسفِيُّ، أنشأه «تشارلز بيرس»، و«وليام جيمس»، يدعُو إلى أنَّ حقيقة كلِّ المفاهيم لا تثبت إلا بالتجربة العلمية، نشأت البراجماتيَّة في الولايات المتحدة الأمريكية، في أواخر القرن التاسع عشر، حيث ظهر هذا اللُّفْظ للمرَّة الأولى في مقالٍ لـ«تشارلز بيرس» عام: ١٨٧٨، وهي مذهبٌ - أو معتقدٌ - فلسفِيٌّ يركِّز على العواقب، والنفعية، والعملية، ويعتبرها المكونات الحيوية للحقيقة.

- (٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.
- (٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.
- (٥) تصنیف غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٤٤٨، الحديث ١٠٢٨٨.
- (٦) سورة النساء، الآية: ٦٩.
- (٧) غرر الحكم ودرر الكلم، ج ٤، ص ٢٣٢ ، الحديث ٥٩٢٥
- (٨) البيان في تفسير القرآن، ص ٢٥.
- (٩) سورة الفرقان، الآيات ١٢ - ١٣.
- (١٠) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
- (١١) الصحيفة السجّادية، دعاؤه عَلَيْهِ الْكَلَامُ في التأوّه.
- (١٢) مناجاة الشاكين.
- (١٣) سفينـة البحـار، ج ٧، ص ١٠٣، الطـبعة الـحدـيثـة.
- (١٤) فروع الكافي، ج ٣، ص ٢٧٠.
- (١٥) الملـهـوف عـلـى قـتـلـى الطـفـوفـ، ص ١٥٩.

# المنهجية الصحيحة لدراسة العلوم الدينية

(الحلقة الثانية)

محاضرة ألقاها سماحة العلامة الشيخ معين دقق العامل<sup>رحمه</sup> في الحسينية البحرينية  
في قم المقدسة، بتاريخ ١٩/٥/٢٠٠٦ هـ الموافق ١٤٢٧ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلوات، وأتم التسليم، على المبعوث رحمة  
للعالمين، سيدنا، ونبينا محمد، وعلى اهداه المهدىين من آل النبيين الطاهرين.

روى الشيخ الكليني في الكافي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن  
محمد، عن المقرئ، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله الصادق ع عليهما السلام أنه قال:  
«من تعلم العلم، وعمل به، وعلم الله، دُعِيَ في ملكوت السموات عظيماً، فقيل: تعلم  
الله، وعمل الله، وعلم الله». <sup>(١)</sup>

هذه الرواية المباركة رواها أيضاً الشيخ الطوسي بسند آخر يصل إلى حفص بن  
غياث <sup>(٢)</sup>، الذي هو وإن كان من العامة، إلا أنَّ الشيخ ذكر في العدة على أنه ممن  
أجمع الطائفة على العمل برواياتهم.

المهم بنظر الإمام في هذه الأمور الثلاثة - التعلم، والعمل، والتعليم - أن يكون  
الله تبارك وتعالى، حيث إنه من ضروريات الإسلام أنَّ النية هي الأساس في العمل،  
ولا ينظر إلى العمل في الإسلام من ناحية الكم بقدر ما ينظر فيه من ناحية النية،  
والكيفية، وهناك شواهد متعددة في القرآن الكريم - وفي غيره - تشير إلى مسألة  
النية، وإن كان العمل بالميزان الكمي لا قيمة له، قال تعالى: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى  
حُبِّهِ مسْكِينًا وَآتِيًّا وَآسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا  
شُكُورًا﴾ <sup>(٣)</sup>، من ناحية الكم لم يكن مقدار الإطعام إلا أفراداً من شعير لا قيمة لها

في المنظور الدنيوي، إلا أنه لما دخل لوجه الله نزلت فيهم سورة كاملة، مع أنَّ الكثير ممن أدعى لهم الصحبة لرسول الله قد أنفقوا القناطير المقنطرة، فلم ينزل فيه إلاَّ الذم، قال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَا لَهُ رِءَاءً النَّاسُ﴾<sup>(٤)</sup>.

إذن العمل يُقاس بحسب النية، لا بحسب الكم، فعملنا في هذه الحوزة مهما بقينا فيها، طالت المدة أو قصرت، المدار على النية، وليس المدار على كثرة الدرس، ولا على طول البقاء في هذه الحوزة، بقدر ما يكون المدار على نيتنا في التعلم، والعمل، والتعليم.

وجزاء هذا الإنسان الذي يقوم بهذه الأمور الثلاثة لله: «دُعِيَ به في ملَكوت السماوات عظيماً».

دُعِيَ هنا بمعنى: ذُكر اسمه، ونُوَّه باسمه، وانحصر النداء بملَكوت السماوات، ولم يذكر الأرض، مع أنه عادةً في القرآن الكريم إذا ذكر ملَكوت السماوات يقرن بالأرض، بينما في هذه الرواية انحصر الأمر بملَكوت السماوات، ولم يذكر الأرض، المراد بالملَكوت هنا: المسلط عليهم في عالم السماوات، وهم سُكّان العالم العلوي.  
يريد الإمام أن يقول: إنَّ هذا التنويم باسم من تعلم، وعمل، وعلم الله، جاء من العالم العلوي، أمَّا العالم السفلي فليس دائمًا يكون التنويم فيه معتبراً عند الله تعالى؛ إذ أنَّ مقاييس هذه الأرض غير مقاييس السماء، حيث يقول الباري عَزَّوجلَّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسَبُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فمقاييس يوم القيمة مختلفة، وبهذه المقاييس الإلهية في يوم القيمة يأتي التنويم، ويذكر اسمه في العالم العلوي.

هذا ما أحببت أن أشرع به، ثمَّ نتابع ما بدأنا به في الجلسة السابقة، وقد كنا في الجلسة السابقة قد أشرنا إلى جملةٍ من الموصفات العلمية - والفكريَّة - في الطالب

الّذى يتّصف بالتحصيل، وأشارنا أيضًا إلى جملةٍ من الموصفات الخلقية - والمعنوية - في هذا الطالب الّتي يكمل بعضها بعضاً.

وفي هذه الجلسة سوف نتكلّم حول أركان الدراسة الحوزويّة، ومقصودنا من أركان الدراسة الحوزويّة هو: كلّ أمرٍ لو أخلَّ به لا يصحُّ أن يُقال: إنَّه توجد دراسة حوزويّة، أو يوجد تحصيلٌ علميٌّ.

تحصيل العلم في الحوزة يعتمد على أركان ثلاثةٍ رئيسيةٍ:  
**الركن الأوّل: الأستاذ.**

**الرken الثاني: الطالب.**

**الركن الثالث: المادة العلمية.**

وبدون هذه الأركان الثلاثة لا ينعقد تحصيلٌ علميٌّ، ولكلّ ركنٍ من هذه الأركان ثلاثة شرائط ومواصفاتٍ.

### **الركن الأوّل: الأستاذ:**

ورد عن الإمام الباقر ع عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِه﴾<sup>(٦)</sup>، عن الطعام، فقال: «إِنَّه عَلِمَه عَمَّنْ يَأْخُذُه»<sup>(٧)</sup>، فطعامنا في هذه الحوزة هو العلم، فيجب أن نتأمّل - وننظر - عَمَّنْ نَأْخُذُ هَذَا الْعِلْمَ.

### **فكرة خاطئة:**

للأسف الشديد، يدور بين الفينة والأخرى في أذهان الكثير أئمَّةٍ في الحوزة يمكن له أن يستغنى عن الأستاذ، خصوصاً عندما ينهي شيئاً من المقدّمات والسطوح، فيتردد على ألسنة الطلبة أئمَّةٍ من الممکن حينئذ أن يكون الطالب عصاميًّا، بمعنى أئمَّةٍ يستغنى عن الأستاذ، فلا بدَّ لنا أولاً أن ثبت خطأً هذه الفكرة، ثم نتكلّم عن كيفية

انتخاب الأستاذ، وما هي الشرائط التي يجب أن يتّصف بها؛ حتى تكون الأركان للتحصيل العلمي كلّها متناسبةً، ومتناسبةً.

هذه المقوله مقوله قدية، وليس جديده في حوزاتنا، وهي أئنه ليس من الضروري أن يؤخذ العلم من أفواه الرجال، فإنّ العلم مبثوث في بطون الكتب، وإن الطالب يتلّك مجموعةً من المقدّمات التي يستطيع بواسطتها فهم الكتب، فتكون دراسته أسرع.

والبعض متّا قد لا ينظر إلى هذه الفكرة، ولكن عملياً نجد أنّ الكثير متّا يلتزم بها، ويمارسها، وهذه النظريّة مدخلة على مستويين، مستوى نظريًّا، ومستوى تجرببيًّا عمليًّا:

**المستوى النظري:** يمكن لنا أن نثبت التفاوت بين الطالب الذي يحضر عند أستاذ، والطالب الذي يتّخذ أن يكون طالباً عصاميًّا، ويدرس بنفسه في عدة نقاطٍ

**النقطة الأولى:** الطالب الذي يريد أن ينظر في الكتب المصنفة والحواشي عادةً يكون النظر في هذه الحاشية إلى الجهة التي ترتبط بالطلب الذي يدرسه فعلاً، فينظر من زاوية واحدة، والحال أنّ كثيراً من المطالب يرتبط فهمها - وحلّها، ورفع المشكلة فيها - على أن يوجد سلطُّ كاملاً على مطالب الكتاب، وهذا يفقده الطالب العصامي، بخلاف حضوره عند مدرسٍ قديرٍ.

**النقطة الثانية:** المطالب التي تسطّر في الكتب، والحواشي، والتعليق، عادةً تسطّر على طريقة: «إنّ الليب بالإشارة يفهم»، خلافاً لشرح الأستاذ، فإنه يتّألف من أمثلة، وتطبيقات، وإذا لم يفهم الطالب يكرر الشرح بأسلوب آخر، وهكذا.

**النقطة الثالثة:** هناك كثير من الفوائد الجمّة التي يفقدها الطالب العصامي من الحضور في الدرس، فمثلاً عند طرُّ شبهةٍ في ذهن الطالب، يقوم الأستاذ بدفع هذه

الشبهة، أو أنه يقوم الأستاذ ببيان المطلب بأمثلةٍ مختلفةٍ، أو دعم المطلب من قبل طالب آخر...

**النقطة الرابعة:** نلاحظ أنَّ الحضور في الدرس يلزم الطالب بالتتابع أكثر من الدراسة لوحده، وهذا يجعل المسيرة العلمية للطالب الذي يدرس عند مدرسٍ أسرع من الطالب الذي يدرس لوحده؛ لأنَّ الالتزام فيها أكثر.

**النقطة الخامسة:** الطالب العصامي قد يفهم مطلباً من المطالب على نحو الاشتباه، فيستنتج منه نتيجةً خاطئةً، وتكون هذه النتيجة المشتبهة - التي استنتجها الطالب - مقدمةً لنتيجةٍ أخرى، وهكذا الحال بالنسبة للنتيجة الثانية، والنتيجة تتبع أحسنَ المقدمات، فإذا كانت المقدمة مشتبهةً فالنتيجة تكون مشتبهةً كذلك، بينما هذا عادةً لا يحصل في الدرس عند أستاذ؛ لأنَّه - عادةً - في الدرس يقوم الأستاذ بتكرار المطلب، فيستبعد عادةً أنه في كل عمليَّة تكرارٍ يقوم الطالب بفهم المطلب بطريقةٍ خاطئةً.

**المستوى العملي:** على المستوى العمليِّ التجريبيِّ الذي غارسه كُلُّنا في الحوزة العلمية، أو نقرأ عنه عن السلف الصالح من علمائنا، يمكن سرده في نقاطٍ أيضاً:

**النقطة الأولى:** نجد أنَّ السلف الصالح من علمائنا كانوا يواظبون على الحضور عند الأستاذ، فمثلاً شخصيةٌ مثل الحق الميرزا حبيب الله الرشتي، وشخصيةٌ مثل المجدد الشيرازي، كانوا من أركان درس صاحب الجواهر، وشخصيةٌ مثل الشيخ البروجردي الذي كان عنده إجازة اجتهاد، عندما حضر درس الحق العراقي كان مواظباً على حضور درسه، بل إذا خضنا أكثر في بعد التاريخيِّ نجد أنَّ سيرة السلف الصالح من علمائنا كانت قائمةً على أنَّ كلَّ عالمٍ - يدرك أنَّ غيره أعلم في فنٍ - يحضر عنده، كالشهيدين؛ الأول، الثاني، وقبلهما العلام، فنجدهم قد حضروا لدى

مجموعةٍ من علماء العامة؛ لكون هذا العامي متخصصاً في فنٍ من الفنون هم لم يطلعوا عليه.

إذن فالتجربة والسيرة لدى السلف الصالح من علمائنا كانت قائمةً على ركينية الأستاذ في طلب العلم.

النقطة الثانية: الكثير من الانحرافات التي حصلت عند بعض الموزويين نشأت من نظرية العاصمية، وهذا المطلب يعتمد على النقطة الخامسة التي ذكرناها في المستوى النظري، وهو أنه قد اشتبه في فهم مطلبٍ، فت تكون عنده سلسلةٌ من النتائج الخطأة، وتصبح عنده مجموعةٌ من الاشتباكات، وبالتالي يكون عنده فكرٌ اشتباهٍ؛ لكونه لم يتللمذ - بما للكلمة من معنى - على يد أستاذٍ، وهذه العملية في كثيرٍ من الأحيان تنتهي من بعدٍ أخلاقيٍّ نفسيٍّ، وهو الغرور.

وتحصل أنَّ في عملية التحصيل العلمي يكون الأستاذ هو الركن الركين، لكن ليس بمعنى أنَّ كلَّ شيءٍ هو الأستاذ، فلو درسنا عند أعلم أستاذٍ - وهو النبي الأعظم عليه السلام - ولم نطبق ما ينبغي أن يطبق، فلا تستفيد شيئاً.

## كيف ننتخب الأستاذ؟

قد أشرنا في الجلسة السابقة على أنه يوجد عندنا ضعفٌ في المنهجية، فأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام يقول: «أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه»<sup>(٨)</sup>، أي: استفاد من تجارب الآخرين، وكلّنا عندنا تجارب، وكثيرٌ منها كان فاشلاً، فلا بدّ أن نبحث نظرياً عن مسألة انتخاب الأستاذ.

لا يوجد في الحوزة العلمية أستاذٌ واحدٌ ينفع لكلٍ طلاب العلوم الدينية، وإلاّ لو كان كذلك لأصبحت الحوزة كلّها أستاذًا واحدًا، بل الأستاذ أشبه ما يكون بنسخة الدواء، فهي تنفع لمريضٍ، ولا تنفع لآخر، وعدم نفعه للأخر لا يضر بقيمة الدواء،

فإذا كان أستاذٌ ينفع أحداً، ولا ينفع آخر، لا يكون ذلك نقصاً في الأستاذ؛ لأن الاستعدادات، والذهنيات، والرغبات، والمتطلبات، متفاوتةٌ بين طالب وآخر.

والشيء السائد عندنا - من المقدمات إلى البحث الخارج - أنَّ الطالب ينتخب الأستاذ عن طريق السؤال، ولكنَّ السؤال لا يحلُّ المشكلة، وكثيراً ما يكون السؤال خاطئاً؛ لأنَّه لا يوجد جوابٌ متفقٌ عليه؛ باعتبار أنَّ كلَّ واحدٍ في عملية جوابه ينظر إلى نفسه، وتجربته، وهنا جاءت المغالطة، فليس كلَّ ما هو نافعٌ لأحدٍ هو نافع للآخر.

فقبل أن أسأل عند من أدرس، هناك أسئلةٌ يجب أن أوجهها لنفسي، وهي: ماذا أريد؟ ما هي توقعاتي من الدرس والمدرس؟ وأقوم بإعداد قائمة بالقواعد العامة، وقائمة بالقواعد الخاصة التي تخمني أنا فقط، وبعد تجربتي للأساتذة أقوم بوضع علامةٍ على كلَّ قاعدةٍ من القواعد، وفي الختام: الأستاذ الذي يأخذ أكبر علامةً يكون هو الأستاذ المناسب لي، وهذه القائمة تكون خاصةً بي، فربما يكون للآخرين قواعد خاصةٌ بهم.

وهذا الأسلوب ينبغي أن يجدد في كلَّ سنة، فهناك ضوابط تختلف، وتتجدد؛ لأنَّ معلومات الطالب تزداد، فيشعر من نفسه أنَّ هذا الأستاذ لم يعد ينفعه، فيذهب لأستاذ آخر، ويطبق عليه هذه القواعد، وهكذا.

وهذه الطريقة لا تأخذ وقتاً، لأنَّ بعض المدرسين قد يجسم أمره في جلسةٍ أو جلستين، وربما مدرسٌ آخر يحتاج إلى أسبوعٍ، أو أسبوعين؛ لكي يعرف أنه يناسبه أو لا.

ونفس هذا الأسلوب تستطيع أن تقوم به المدارس لانتخاب الأستاذة، لكن بشرط أنْ تضمَّ حلقات الدرس مجموعةً من الطلبة المتقاربين استعداداً وقدرةً وذهنيةً...

وعلى أي حال، حتماً هذه الطريقة أفضل من توجيه السؤال عشوائياً، نعم، من المستحسن للطالب المبتدئ أن يستفيد من تجارب الآخرين، ولكن هذا لا يعني عن التجربة بنفسه.

ومن الأساليب الناجحة في كيفية اختيار الأستاذ أنه إذا استشعر الطالب أنّ عند حضوره لدرس أستاذ أنه عالم، فليعلم الطالب أنّ درس هذا المدرس لا ينفعه، أمّا لو استشعر في محضر الأستاذ أنه جاهل، فدرسه ينفعه.

### العلاقة بين الطالب والأستاذ:

الطالب قد يكون بالنسبة للأستاذ علةً محرّكةً، وعلةً فاعليةً، بمعنى أنّ الأستاذ إذا رأى أنّ هذا الطالب مجده، دائمًا يسأل، دائمًا يلاحقه، ويتبعه في كلّ صغيرة وكبيرة، سوف يضطرّ هذا الأستاذ أن يحسن من تحضير الدرس، ومطالعته، أمّا لو لم يبال التلميذ بشرح الأستاذ، سوف يتراخي الأستاذ، وربما يأتي إلى الدرس بدون مطالعة، فالطالب لا بدّ أن يكون علةً في استفادة نفسه؛ لأنّه سوف ينعكس أثر ذلك عليه.

فمن المهم جدًا أن يتبع التلميذ درسه مع الأستاذ؛ لكي يجبر الأستاذ على المطالعة الجيدة، مضافاً إلى أنّ نفس الأخذ، والرد، والسؤال، والجواب، يفتح آفاقاً أمام الذهن العلمي للطالب، وكثيرٌ من الشبهات التي ربما تكون عالقة في ذهنه تحلّ. مضافاً إلى المتابعة المعنوية، والمتابعة الاجتماعية، والمتابعة النفسية، غير المتابعة العلمية، وهناك قسمٌ من هذا الشيء من وظيفة الأستاذ، ومن حقّ الطالب على الأستاذ، وهناك أيضاً جزءٌ كبيرٌ في عملية التواصل بين الطالب والأستاذ يرتبط بالطالب نفسه.

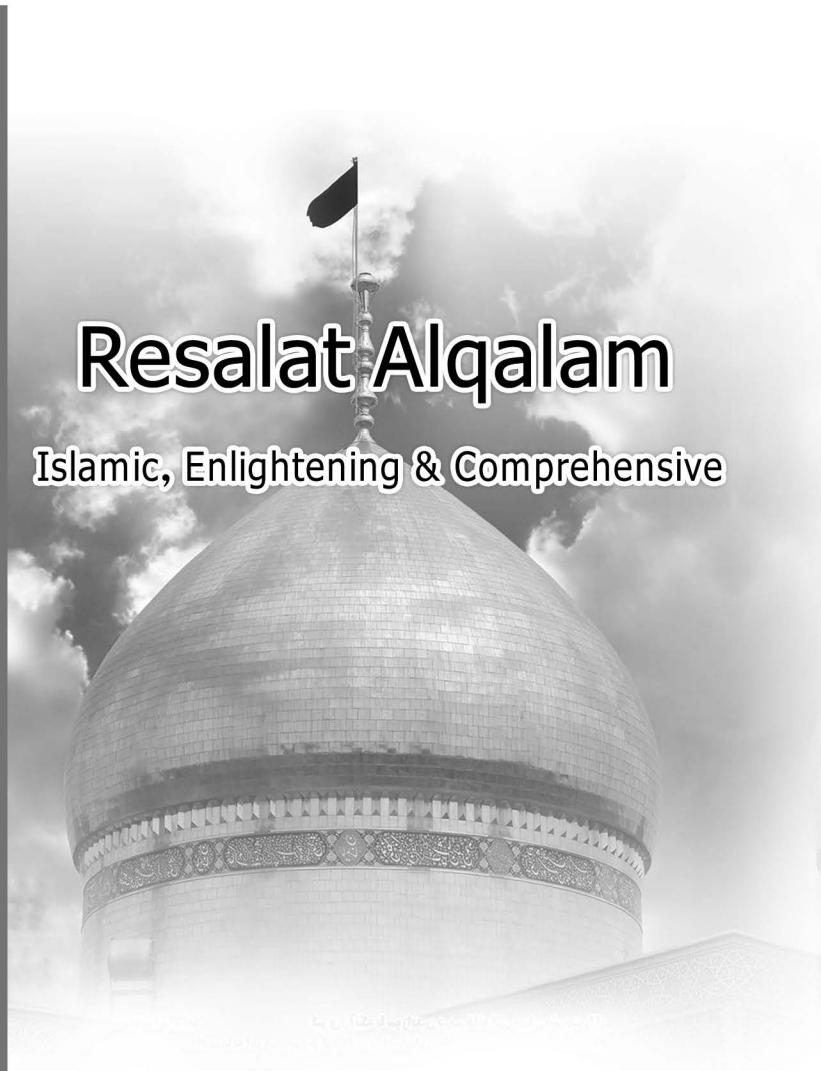
هذا ما يمكن أن نذكره - على نحو الاختصار - في الركن الأول من أركان التحصيل العلمي، وهو الأستاذ، والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على محمد، وآله الطاهرين.

### المواهش:

- (١) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (٢) الأمالى: ص ٤٧.
- (٣) الإنسان: ٨-٩.
- (٤) البقرة: ٢٦٤.
- (٥) الزمر: ٤٧.
- (٦) عبس: ٢٤.
- (٧) الكافي ج ١ ص ٥٠. وفي هذه الرواية لم يكن الإمام بصدّ التفسير المفهومي للأية، بل كان بصدّ التطبيق المصداقى لها.
- (٨) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٥.



- General Supervisor & Executive Manager:  
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:  
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:  
Ali Ahmad Aljofairi
- Publishing Committee:  
Abdulraoof Hassan Alrabia  
Aziz Hassan Salman  
Fadhel Abduljaleel Al Zaki  
Ghazi Abdulhassan



# Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

A Periodical Magazine Issued by the  
Bahraini Students  
of the Educational Hawza the  
Holy City of Qom